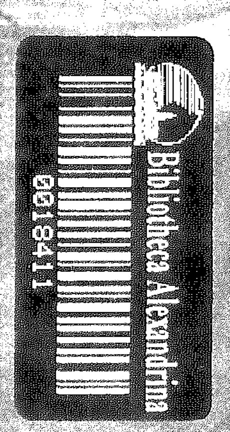
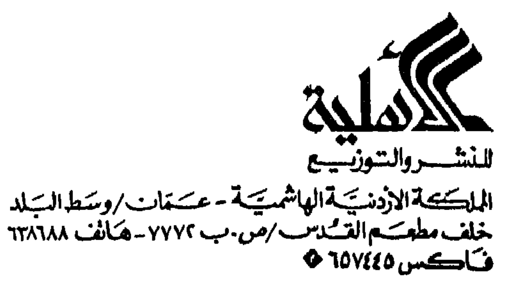
التاريخ الشفوي للأردن وفلسطين




أيّام زمان
التاريخ الشفوي للأردن وفلسطين

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

٩٥٦,٥
طلعـ طلعت شناعة
أيام زمان : التاريخ الشفوي للأردن وفلسطين / طلعت شناعة . -
عمان : الأهلية للنشر، ١٩٩٣ .
(٢٣٢) ص .
ر.أ ١٩٩٢/١٢/٩٣٦ .
١ الأردن - تاريخ ٢ . فلسطين - تاريخ
أ. العنوان
(تمت الفهرسة بعرفة المكتبة الوطنية)



المملكة الأردنية الهاشمية - عمان / وسط البلد
خلف مطعم القدس / ص.ب ٧٧٧٢ - هاتف ٦٣٨٦٨٨
فاكس ٦٥٧٤٤٥

طلعت شناعة

أيّام زمان

التاريخ الشفوي للأردن وفلسطين

قدّم له: طاهر المصري





الإهداء

إلى أبي وأمي . . .

وإلى الكبار

في كل زمان

طلعت . . .

تقـــديم

بقلم: طاهر المصري

إن تاريخ العالم والأمم تصنعه الأحداث الكبار وتؤثر به وتوجهه شخصيات تاريخيّة.

أمـا تاريخ الشعـوب فتصنعـه الأحداث البسيطة، ويكون كل أفراد المجتمع مساهمين في توجيه دفّته.

الأحداث اليومية وصانعوها تتراكم لتتحول من وقائع صغيرة إلى تاريخ وعادات وتقاليد. فالمجتمع عبارة عن مجموعة من الأفراد وأحداثه في حياتهم وتصرفاتهم.

كتـــاب «أيام زمـان»، هو من تلك الكتب التي سوف تهم المـواطن الأردني والفلسطيني بالتأكيد، لأنه يوثق تلك التفاصيل وحياة الكثير من الناس الطيبين الذين ساهموا في صناعة مسيرة البلد، وصياغة التاريخ الشعبي والمحلي.

ورغم أن الكتاب يضم مجموعة من المقابلات المتعددة أجراها المؤلف خلال السنين الماضية، إلاّ أن الجهد المنساب بين ثناياها ووضعها في كتاب لاحقاً، هو جهد مثمر وضروري.

فانتقاء الشخصيات والخوض معها في إنجازاتها أو سيرة حياتها وتوثيق ذلك يعد خطوة رائدة نحو إثراء المكتبة الأردنية والتراث الشعبي.

وإذا ما بقي هذا التـراث حيّاً ومتجدداً كما يحاول المؤلف طلعت شناعه أن يفعـل، فإن العـادات الطيبة والتقاليد الحميدة سوف تبقى باستمرار. وهذا سوف يفسح المجال للأجيال القادمة، وفي بعض الحالات لجيلنا الحالي أن يرتبط أكثر

بماضيه وتاريخه.

إن القصص والأحداث التي يذكرها الكتاب لا ترتبط بالماضي أو بالتاريخ فقط، ولكنها تحتوي على الكثير من إنجازات «الأوائل»: أول قابلة، أول مهندس، أو طبيب..». ولذلك فإن هناك ومن خلال الربط الذكي، حديث عن إنجازات في المستقبل تمت في الماضي.

وثمّة إثبات قائم على البساطة بأن التاريخ الشعبي وبالتأكيد السياسي بين الشعبين الأردني والفلسطيني مرتبط إلى نقطة اللاعودة، وأن هذا الترابط لم تصنعه الجغرافيا وحسب، بل صنعه الشعبان عبر عملية طويلة وهادئة من التفاعل والتمازج والتضامن.

وهؤلاء الناس الذين يروون إنجازاتهم ويستعرضون أمامنا حياتهم البسيطة، زاخرة بالعطاء، هم المثال الحي والتجدّد على الذين صنعوا وحدة الماضي ووحدة المستقبل.

في بلاد الغرب، نجد كل صاحب تجربة يكتب عنها، والكتابة عندهم واجب وهي ليست في السياسة فقط، ولكن في كل مناحي الحياة.

من هنا، أصبح لهم تراكم ثقافي كبير. أما نحن في الشرق، والأردن يدخل ضمن هذا الإطار، فقد مرّت علينا أحداث جسام وتغيّر مسار منطقتنا مرات.. ومرات. وظهرت دول واختفت أخرى وحدثت تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية مهمة. ولا نجد إلّا المصادر العربية التي تؤرّخ لتلك الأحداث.

فإلى متى سنبقى متلقية؟ ومتى سيبادر من صنع أو ساهم في صياغة (تواريخنا) إلى توثيق الأحداث التي مرّت بهم وعلى الوطن. طلعت شناعه يساهم بشكل متواضع وحسب إمكاناته في توثيق بعض تاريخ شعبنا الأردني والفلسطيني.

وسوف يستمتع القارىء لـ «أيام زمان» بعد أن يفيء إلى بيته بعد معاناة يومه.

إشـارات

لم يكن ببالي أن هذه الأحاديث سوف تكون كتاباً أو مشروعاً لعدة كتب قادمة. أذكر أني حين فكرت بأول حديث (مع الحاجة أنيسة شقير). كان ذلك إشباعاً لرغبة كامنة لاكتشاف عوالم الكبار في المجالات المختلفة.

هي الطموح في الاكتشاف وهي ـ الرغبة ـ في الإبحار داخل نفوس أفنت عمرها وهي تكدح وتعمل لذاتها وللآخرين.

وامتـدت الـرغبـة ضمن سلسلة حملت أسمـاء مثـل «أيام زمـان»، «حديث الذكريات»، «حديث غير عادي»، «حوار مع أول..».

وقد ساهم في استمرارها طبيعة عملي في جريدة «الدستور» وتشجيع الناس أنفسهم ممن التقيتهم والقرّاء أيضاً.

ذهبت إلى «أيام زمان» ليس كباحث بل كعاشق لحياة الذين لا أعرفهم وربما أكون قد أحببتهم لو عرفتهم من قبل.

الحياة ـ حياة أبطال هذا الكتاب وحياة الأرض والوطن والمبدأ والشوق هدفي ـ. وكـانت الأردن وفلسطين ـ تحديداً ـ مثل عيني اليمين وعيني الشمال، بها قادتني الخطوات لأنسج غلالة طموحي.

حرصت أن أضع الشخصيّات بين يدي وفكر القارىء، فألغيت صيغة السؤال والجـواب ـ كمـا هو متبـع في الصحـافة ـ، وربما لأزيح أية عوائق بين المتكلم والقارىء بحيث يشعر الطرفان أنهما معاً في جلسة أو خيمة أو دردشة أو بيت دافىء.

الكلام لأصحابه وهي مسؤوليتهم ـ الذين قالوه ـ وليس لي غاية في التدخل بين

كلماتهم وتاريخهم.

هناك الكثير مما أود قوله، بل أن هناك حكايات تسبق وتتخلل تلك الأحاديث ومتاعب وإحراجات ومناكفات وظروفاً صعبة ليس هذا مكانها.

وكما قلت هذه أحاديث ممتدة، وسوف يتلوها أحاديث مع آخرين كبار في مواقفهم وأعمالهم.

كل الشكر للذين أسعفوني بجهودهم وتشجيعهم طيلة الفترة التي امتدت بينها الأحاديث منذ عام (١٩٨٨ ـ ١٩٩٢) وأخص هنا زملائي في جريدة «الدستور» التي كانت ولا تزال حقلي الذي أزرع فيه طموحي.

طلعت شناعه

المهندس
أحمد الناصر

من قريـة «إيدون» قضاء إربد إلى وزارة الأشغال ومؤسسة الإسكان لم يكن الـطريق سهلاً. بل مليئا بالشقاء والتعب والعمل. المهندس أحمد الناصر الذي يهوى الأدب والثقافة واضطر لدخول كلية الهندسة لأن أهله أرادوا ذلك، كان له نشاط سياسي. أخلص لهذه ولتلك، ودفع ثمن الأولى إحالته على التقاعد بعدما وصل قمة السلم الوظيفي ودفع ثمن الثانية السجن. حياة حافلة، وفيها من الظرف أيضاً ما جعل صاحبنا يبتسم رغم كل شيء. هذه بعض ما أراد ذكره «أبو باسل» الذي أورث أولاده حب الهندسة والمشاريع الإسكانية. التقيته في منزله القديم وكانت هذه الذكريات:

من «إيدون»:

ولدت في قرية «إيدون» / إربد في أسرة مكونة من ثلاثة أشقاء وأنا الرابع. كان والدي يعمل مزارعاً وتاجرا، وكان كثيرا ما يخسر في تجارته. والدتي كانت ربة بيت، بسيطة مثل كل نساء قريتنا. استفدت من أبي الثقة بالنفس والأخلاق الحميدة. كان شديدا، وبسيطا مع جلسائه الذين كانوا من الأقارب والنسائب. بينما أخذت عن والدتي النظام والنظافة وقوة الشخصية. كان بيت أبي يتكون من غرفتين من الطين والحجر.

ورحلتي بدأت في العلم في القرية حيث درست حتى الصف الرابع ابتدائي وقد علمني الأساتذة (عزالدين الملكاوي ورشدي مريش) ثم درست في جرش وعلمني

المرحوم (عبد الغني الريماوي وفضل الدلقموني) وكان معي في الصف المحامي محمود جيموخا «شركسي».

وقتهـا كنت أسكن مع أخي علي الذي كان مديرا لبريد جرش سنة **١٩٣٩**. تركت الأسرة في إيدون ثم انتقلت إلى عمان حيث درست في المدرسة «العبدلية» الصف الخامس حيث علمني الأستاذ محمود القنواتي. ثم درست الصف السادس في «تجهيز عمان» ولم يكن سواها في العاصمة.

وكانت تعلِّم حتى الصف الثاني الثانوي. ومن أترابي في تلك المدرسة السادة: (زهير كحالة، عبد الفتاح طبلت، د. صالح العرموطي). ومن المدرِّسين السادة: بهاء الدين طوقان، كنج شكري، يعقوب هاشم وعلي سيدو الكردي والشيخ بهاء الدين.

عرار كان هناك:

عدت بعدها إلى إربد حيث درست الصف السابع. خلال هذه الفترة نشطت الحركة الثقافية في مدرسة إربد، وأقيمت عدة نشاطات وتمثيليات شاركت فيها. كما شاركت في النشاط الخطابي وألقيت كلمة عن الكشافة لأنني كنت منخرطا فيها. وأذكر أن الشاعر مصطفى وهبي التل «عرار» كان معنا وقد ألقى قصيدته الشهيرة والتي منها:

ماذا على الناس من سكري وعربدتي
ماذا على الناس من كفري وإيماني
ماذا على الناس من حبي مكحلة بين الخرابيش أهواها وتهواني
قالوا تمشكجت في يافا
فقلت لهم إني تمشكجت رغم العاذل الحاني.

وكان «عرار» صغير الحجم وكان يلدغ مثل الأطفال وكانت له شخصية قوية.

أمـا النشـاطـات الكشفية، فقـد قمنـا بزيارة فلسـطين ولبنـان وسـوريا قبـل استقلالهما. وكذلك قمنا برحلة إلى العقبة رغم سوء المواصلات. وقد حصل لنا حادث مرعب وطـريق حيث ركبنا ثلاثة قوارب صغيرة وفجأة انقلب المركب الذي كنت فيه ومعي ٢٦ شخصاً مات منهم أربعة. كان معنا في تلك الرحلة الأستاذ لطفي عثمان والأستاذ سعد الخوري. وعندما عدنا إلى الشاطىء كان المشهد حزينا. لكن الأستاذ لطفي عثمان غيّر الموقف إلى دعابة بما كان يتمتع به من ظرف وخفة دم.

وهنـا أذكر أن أحد رفاقنا (اللواء محمد عبد الرحمن الخصاونة) حين انقلب المركب استنجد بالأستاذ لطفي عثمان، فقال له الأخير «أنا أستاذك في البر وليس في البحر».

ومن رفاق المدرسة في إربد: مريود التل، سلطي التل، د. حسن غرايبة، عبد الكريم خريس، وأحمد خريس.

في السلط:

أكملت الصف الثالث الثانوي في السلط، إذ لم يكن هناك صف رابع ثانوي في المملكة إلا في السلط. ومن أساتذتي في هذه المرحلة السادة: حمد الفرحان (مدير المدرسة)، بشير الصباغ، جريس القسوس، حامد مريش، لطفي عثمان، ومن زمـلائي في مدرسـة السلط السـادة: (حكمت الساكت، نذير رشيد، سامح بطاينة، محمد عبد الرحمن خصاونة ومصطفى الخصاونة.

وكان معنا أيضا السادة: (حمدالله النابلسي، إبراهيم أبو هبيشان، سعد التل). ومن أساتذتنا: حسني فريز (مدير المدرسة)، خليل السالم، غالب الصناع والبرقاوي.

غُرفة في مصر:

عام ١٩٤٨ ذهبت للدراسة في مصر. فدرست التوجيهي بالقاهرة في المدرسة الإبراهيمية وهي إحدى أبرز ثلاث مدارس كانت محصورة بأبناء الذوات. كانت أجرة الغرفة التي استأجرتها وابن عمي د. عدنان الناصر ثلاثة جنيهات مصرية شاملة للتنظيف والغسيل ووجبة الإفطار. كان أهلي يرسلون لي ثمانية دنانير (غير منتظمة).

وممن درسوا معي السادة: عيسى مدانات، محمد النوباني، حسن غرايبة، د. نوفان الحمود، د. جميل بدور، د. جميل قاعين، والمهندس شفيق الزوايدة، د. نبيه شوارب «خوري». ثم انتقلت إلى الأسكندرية ودخلت كلية الهندسة المدنية في الجامعة التي كانت تسمى «جامعة فاروق الأول»، جامعة الأسكندرية حالياً. وعام ١٩٥٦ حصلت على بكالوريوس بالهندسة المدنية. من زملائي في الجامعة، وزير الإسكان المصري المهندس حسب الله الكفراوي، ومن الأردنيين: المهندس أحمد مجيد دهقان.

كنا نقضي أوقاتنا بين الدراسة والذهاب إلى السينما والمقاهي البحرية وكانت تذكرة السينما بثلاثة قروش وكنا نشاهد فيها فيلمين كاملين. كان عندي مذياع صغير أستمع من خلاله إلى أغاني أم كلثوم والأخبار حيث كانت تلك المرحلة تموج بالحركات السياسية وعلى مستوى الوطن العربي. وكان الطلبة الأردنيون أنشط وأوعى الطلبة وأكثرهم صلة بالحركات اليسارية والقومية والوطنية. طبعا كان ذلك يتم بالسر. أذكر عندما نشأ حلف بغداد ثرنا ضده ونشطنا لإجهاضه بمشاركة القوى الوطنية في مصر. كنت ميالا إلى دراسة الأدب والثقافة، لكن أهلي جعلوني مهندسا في مصر. عشت عهد الملكية والجمهورية (فاروق وعبد الناصر)، بما في كل مرحلة من مخاضات نتج عنها حريق القاهرة وحادث الإسماعيلية الشهيرين. وفي أحد لقاءاتنا مع عبد الناصر في كلية الحقوق بالأسكندرية أذكر أننا لم نتح له المجال لإكمال خطابه وهتفنا ضد الدكتاتورية التي كان يمثلها وطالبنا بعودة محمد نجيب.

مهندسون:

عدت إلى الأردن وعملت مهندسا في وزارة الأشغال عام ١٩٥٦ وكان عدد المهندسين وقتها لا يتجاوز الخمسة عشر مهندسا (على مستوى الأردن)، حيث قمنا بتأسيس جمعية المهندسين، وكانت تتألف من ٢٦ عضوا نصفهم لم يكن حاصلا على شهادة بالهندسة، ثم تحولت عام ١٩٥٨ إلى نقابة للمهندسين وكانت تجري فيها انتخابات ديمقراطية تتنافس فيها سرا الكتل اليسارية والقومية.

في سنة ١٩٥٩ تزوجت من السيدة يسرى النجداوي ورزقت بثلاثة أولاد: باسل، ياسر، فراس، الأول والثاني مهندسين والثالث يعمل في إدارة الأعمال. كان أول راتب أحصل عليه في وزارة الأشغال ٣٧ دينارا ونصف وكنت أسكن بالأجرة في بيت بجبل اللويبدة في منزل السيد/ عبد الكريم الحمود.

أعمال حرة:

كنت أساهم في تلك الفترة بنشاطات النقابة بالإضافة إلى النشاط السياسي. مكثت «بالأشغال» حتى عام ١٩٦٣.

عملت في مجال الأعمال الحرة، وافتتحت مكتبا للإنشاءات الهندسية بقيت أعمل به ٧ سنوات. ومن أبرز المشاريع التي أشرفت عليها مشروع «الحمة» وبيوت سكنية عديدة ومحلات تجارية كثيرة. وكان دخلي في هذا المجال يقارب عشرة أضعاف راتبي من الوظيفة.

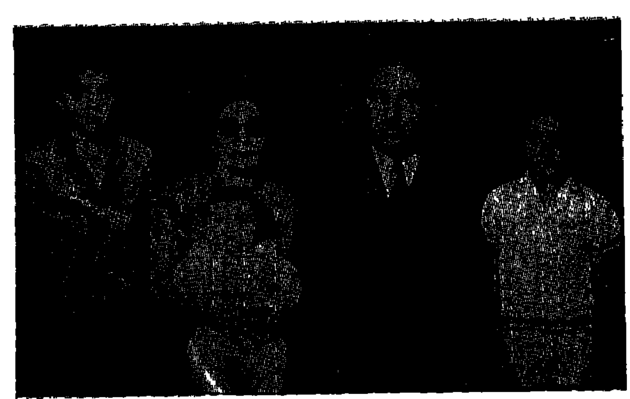
عدت بعدها إلى مؤسسة الإسكان بعد أن توقف العمل في المملكة بسبب أحداث عام ١٩٧٠. حيث قمت ببناء عمارتي في الشميساني التي أسكنها الآن. ولم يكن سواها وبيت آخر للدكتور سابيلا، ثم بنى السيد ذوقان الهنداوي وبدر السلطي بيوتهما من بعدي.

لقد أفنيت زهرة شبابي في مؤسسة الإسكان منذ عام ١٩٧٠ إلى نهاية ١٩٩١

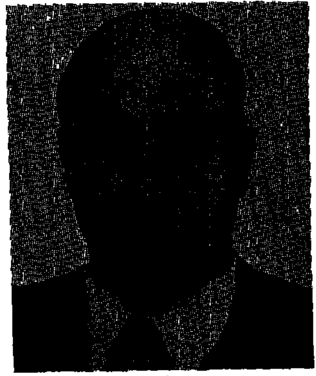
حيث كانت المؤسسة عبارة عن بضعة مهندسين لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة.

وقد بوشر بأول مشاريعها (المؤسسة): مشروع إسكان القويسمة ومشروع إسكان الموظفين ثم ضاحية الحسين وتوالت المشاريع من الجنوب إلى أقصى الشمال.

بدأت بالإسكان مهندسا بمشروع إسكان الزرقاء وانتهيت مساعدا للمدير العام مرورا برئيس قسم الإشراف ورئيس قسم الصيانة ومدير عام التنفيذ ومستشار فمساعدا جتى أحالوني على التقاعد في ١/١/١٩٩٢.



مع العائلة عام ١٩٧٠



المهندس أحمد الناصر

الدكتور أحمد أبو قورة
رجل الهلال الأحمر الأول في العالم

ثلاث ساعات كان يمكن أن تتضاعف، لولا إشارة زميلي المصور، الذي حرك رأسه ذات اليمين وذات الشمال، فعرفت أن الوقت قد أدركنا رغم أن الحديث ذو شجون.

فإن تجلس مع الدكتور أحمد أبو قورة رجل الهلال الأحمر الأول في العالم، والوحيد الذي حافظ على منصبه منذ ١٩٦٤ وعايش أحداثا هامة ـ كما تولى وزارة الصحة وهي المحطة الوحيدة التي لم يتوقف عندها ضيفنا، وذكرها ـ بسرعة ـ، بينما أفاض في تفاصيل أخرى من حياته: كان هادئا طوال الجلسة، وتحدث كلاعب الشطرنج كلمة.. كلمة وبعد تفكير وتركيز.. وهكذا دار شريط الذكريات:

كنت صيادا، فاصطادني الشعر:

ولدت في السلط عام ١٩١٨، والدي كان تاجر أقمشة، وقد تعلمت في الكتّاب المرحلة الابتدائية والثانوية.

حياتي كانت بسيطة جدا، لم تكن هناك أجهزة كهربائية، فلا تلفزة ولا مذياع فلم يكن لدينا سوى المطالعة والكتب. وكنت أحرص على قراءة مجلة «الرسالة» للمرحوم محمد حسن الزيّات وكذلك الكتب المدرسية. هوايتي الأخرى كانت الصيد والمشي في محيط السلط.

الطبيعة جعلتني أتأمل أكثر وأحب الزهور والطيور ولا أزال أحتفظ بالحمائم في بيتي. وقد قلت في ذلك:

«حي فصل الربيع فصل الحياة فهو عيد الفتيان والفتيات
«واسترق غمزة ترى الغمزات هي رمز الفتى ولحن الفتاة. كل قلب يهوى وقلبي خالِ».

سنة ١٩٣٧ وفي فحص الدراسة الثانوية طُلِب منا كتابة موضوع حول توديع المدرسة، حاولت الكتابة، فلم أستطع إلا أن أنظم شعرا، فكان المطلع:

«وداعا أيها الأم الرؤوم وأنتم يا أساتذتي وداعا».
«لقد هذّبتم جسمي وروحي واستدلتم على الجهل قناعا».
.. وكان ذلك آخر عهدي بنظم الشعر!!

أسرة محافظة:

أحببت السلط ولا أزال، أحببت ماءها وواديها وجبالها وكرومها وأهلها.

أسرتي كانت تتكون من أربعة ذكور وثلاثة بنات نأكل من صحن واحد ونعيش في بيت واحد وضعنا المادي كان متوسطا. والدي كان متدينا، وكنت أرقبه وهو ينسحب من بيننا ليذهب إلى المسجد لأداء صلاة الفجر يوميا.

أما والدتي فقد منحتني شيئا اسمه الحب الإنساني، وأن كان في شيء من ذلك الحب فهو منها.

كانت حريصة علينا، وإذا ما تأخر أحد أخوتي، كانت توقظنا لنبحث عنه ولا تنام حتى تطمئن علينا جميعا. عشنا محافظين ولا نزال، ولم نك من القبائل أو العشائر حتى تم ضمنا لعشيرة العواملة في السلط.

المدرسة كانت بعيدة نحو كيلو مترين، وأيام البرد القارص كنا نسير ونشهد عذاب الطريق وأجسادنا الطريّة. تزاملت في المدرسة مع «حمد الفرحان» في الصف التاسع والعاشر وكان يأتي الطلاب من الكرك وإربد وعمان وباقي الإمارة كذلك كان معنا المرحوم وصفي التل و د. خليل السالم والمرحوم شفيق ارشيدات والمرحوم

هزاع المجالي والمرحوم عبد الرزاق خليفة ونعيم التل وجريس الريحاني وآخرون.

الجامعة السورية:

تولى أخي الكبير محمـود مسؤوليتنا، فكان لي أبا مع وجود الوالد الذي ترك المسؤولية المادية له، وطلب منا أن نتعاون مع أخينا الأكبر لمواجهة الحياة.

عام ١٩٣٩، ذهبت مع والدي إلى الشام ودخلت كلية الطب. كنا أربعة من الأردن في الكلية لم يكمل منهم سواي. فقد تحول أحدهم لدراسة الحقوق، والآخر لم يكمل تعليمه، والثالث ذهب إلى بغداد لينضم إلى ثورة رشيد الكيلاني، ومن هناك انتقل إلى ألمانيا وبقي حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. إنه «شوقي أبو عميرة».

أبي أوصلني إلى دمشق وعـاد، لأواجـه المـرحلة الهـامة وحيدا. كان راتبي الشهـري ثلاثة جنيهات فلسطينية، وكانت تكفي وزيادة وعندما وصل عدد الطلبة الأردنيين سبعين طالباً فكرنا بعمل رابطة وانتخبت رئيسا لها، بينما كان السيد ضيف الله الحمود نائبا للرئيس.

سعيت لتشكيل رابطة الطلاب السوريين وكنت من أقوى المرشحين لولا وقوف بعض الطلبة ضدي. ومع ذلك لم أترك الرابطة وبقيت أعمل مع آخرين حتى شكلنا نِاديا، وكنا نوزع الخبز على الطلبة المحتاجين.

الإضراب:

عنـدمـا بلغنـا السنة الخامسة قرر مجلس الجامعة أن يجري فحصا لطلاب الطب، وكان هذا لا ينطبق علينا، فأضربنا ولم ندخل الامتحان، فانتدبوني لبحث الموضوع مع مجلس الأساتذة الذي كان يمثله الأستاذ بشير العظمة وطلب منا أن ندخل الامتحان بصورة شكلية فقط وذلك لمجرد تطبيقه في الأعوام التالية.

قلت له أريد أن أسمع من الدكتور مرشد خاطر الذي كان أستاذا لعلم الجراحة

وجميع الطلبة يثقون بكلامه لما تمتع به من خلق طيب وهكذا كان.

إلا أن الحادثة، أثارت الدكتور بشير العظمة ضدّي شخصياً. وفي فحص الدكتوراة كانت لجنة الفحص مكونة من خمسة أساتذة وكان الوحيد الذي يناقشني لفترة زادت على النصف ساعة فانتبه أحد الخمسة، فقال لي: أنظر إلى المجهر، يكفي هذا! وأفلتُّ من الشرك الذي نصبه لي الدكتور العظمة.

ولن أنسى ما حييت عندما كان الدكتور مرشد خاطر يعطينا درسا وسمعنا صوت المظاهرة أيام الحكم الفرنسي، فتوقف عن المحاضرة وقال: أنتم أحرار إن أردتم البقاء أو الخروج ومشاركة إخوانكم إنني أقدر مشاعركم!

هذا موقف من أستاذ جامعي يعد نادرا هذه الأيام!

كلنا عرب:

في سنة من السنوات كنا في محاضرة للدكتور حسني سبح «أستاذ الأمراض الباطنية» ورئيس الجامعة، وقد أضرب صفنا، ونزلنا إلى حديقة الجامعة، فجاء أحد الطلبة «من دولة عربية» وقال: يا أستاذ نحن غرباء وليس لنا علاقة.

فلم يلتفت إليه الدكتور سبح وقال له: يا بني كلنا عرب! درسنا الطب باللغة العربية والذين درّسوها هم الذين عملوا وترجموا ووضعوا الكتب باللغة العربية. وكتب الجراحة التي ألفها د. مرشد خاطر ليس لها مثيل، وكذلك كتب الأمراض الداخلية التي ألفها الدكتور حسني سبح، وهذا ما جعل دمشق والجامعة السورية مركز إشعاع وطني.

عام ١٩٤٧ حصلت على شهادة الدكتوراة في الطب العام بعدها عدت إلى عمان وبدأت العمل لفتح عيادة، وعينت أول طبيب في بلدة عمان سنة ١٩٤٨.

لم أستطع الاستمرار أكثر من ستة شهور بسبب الرشاوي. كنت أراقب محلات الطعام ومحلات المعيشة. وكنت أنزل في جولات وأضطر لإغلاق كثير من

المحلات وإتلاف الطعام. وكان أصحابها يسيرون خلفي مظاهرة كي أعود عن قراري.

أثنـاء إقـامتي في عمـان من نهـاية ١٩٤٧ ـ ١٩٥٠ حاولت تأسيس رابـطة للخريجين من الجامعات، ولم تنجح المساعي لأن الاتجاهات السياسية للخريجين كانت مختلفة. . وكانت عيادتي مكاناً لاجتماع بعض هؤلاء طوال ساعات النهار.

الأشعة قادمة. . من لندن!

سافرت إلى إنجلترا سنة «١٩٥٠» لدراسة علم الأشعة «التشخيص بالأشعة» وشاركت في دورة هناك لمدة عام واحد.

وأثناء إقامتي في لندن، جاء إليها المرحوم سليمان النابلسي وكان وزيرا للمالية. فزار بعض المستشفيات، وحينما رأى أجهزة الأشعة وعلم بأنني أدرس الأشعة، سأل هل ثمة أشعة في الأردن. فأجبت: لا! قال: لو اشترينا أجهزة أشعة تراك تعود لتعمل بها عندنا؟.

وأبرق إلى عمان، إلى الدكتور جميل التوتنجي وزير الصحة وكلفوني مع لجنة لشراء الجهاز. . وفي نهاية ١٩٥٢ وصل الجهاز وبدأت العمل عليه.

لم نجـد موظفين للعمل على التصوير، حتى افتتحه جلالة الحسين واستمر العمل يتسع في دائرة الأشعة حتى عام ١٩٥٦ عندما ذهبت في دورة إلى «بوسطن» في جامعة هارفارد لعمل دورة معالجة بالأشعة لمدة ستة أشهر. عدت بعدها لأفتتح قسما للأشعة. وتطور القسم واتسع، وافتتح جلالة الحسين قسما جديدا للأشعة بجانب مستشفى البشير.

مجالس وأحزاب:

عام ١٩٥١ عدت إلى عمان من دمشق. كانت عيادتي في المساء تجمع عددا من الإخوة منهم: محمد عودة القرعان، حسني فريز، حمد الفرحان، د. عبد السلام

المجالي «أحيانا»، عبد الوهاب المجالي، د. متري شرايحة، نجيب الرشدان، والشيخ إبراهيم القطان.

وكان يأتي أحيانا المرحوم وصفي التل والدكتور مصطفى خليفة ومحمد طوقان. وعندما تنتهي كنا نذهب إلى بيت آخر ونكمل السهرة، فنلعب «البريدج» وباقي أنواع «الشدّة» وبقينا كذلك حتى عام ١٩٦٢، عندما تشكلت أول وزارة للمرحوم وصفي التل ودخل بعض أفراد الشلة فيها، وكانوا يطلقون علينا شلة «الأرمن» لكثرة الأسماء التي تنتهي بالألف والنون.

سنة ١٩٥٣ في عهد وزارة المرحوم فوزي الملقي شكلنا ما يسمى بالرابطة الفكرية، وكان هدفها أدبيا، وأصدرت مجلة أدبية، لكنها لم تدم لأن الناس كانوا يعشقون السياسة أكثر من الأدب وخاصة الحزبيين منهم.

عام ١٩٤٨ تأسست جمعية الهلال الأحمر الأردني في عمان وكان يرأسها د. جميل التوتنجي وزير الصحة والسكرتير العام كان د. عبد الرحمن فرعون وأعضاؤها من الشخصيات الكبيرة كالحاج محمد علي بدير وتوفيق قطان و د. منيف الرزاز.

في عيادة الرزاز:

كما قلت إن اجتماعاتنا لم تنقطع وإن أخذت أشكالا مختلفة، فالذين يعشقون الأدب كانوا يجتمعون في عيادتي والذين يعشون السياسة كانوا يجتمعون في عيادة الدكتور منيف الرزاز، وأحيانا كنا نجتمع في جلسات سياسية وثقافية.

دخلت عضوا في جمعية الهلال الأحمر الأردني سنة ١٩٥٠ وانتخبت سكرتيرا عاما. وبقيت كذلك حتى عام ١٩٦٤ عندما انتخبت رئيسا للجمعية ولا أزال حتى الآن.

تركت أثرا:

الشيء الوحيد الذي أستطيع القول أنني تركته كأثر باق، أنني الذي فكر بإنشاء مستشفى عمان الكبير سنة ١٩٦٦ ليكون مرجعا لكافة المستشفيات. لكنني استقلت من اللجنة المالية لمشاكل تتعلق بقيمة العطاء فقد ارتفعت تكاليف المستشفى من مليونين ونصف المليون دينار إلى ثلاثة ملايين ومائة ألف دينار.

ونزل عدد الأسرة من «٦٥٠» سريرا إلى «٥٥٠» سريرا، فخرجت بعدما أقيمت دعوى وطلب الكشف عن الأسباب!!

كذلك فقد عملت مخططا لمستشفى في جرش والمفرق «الحاليين».

واجتمعنا:

عام ١٩٦٥ حضرت مؤتمرا للهلال والصليب الأحمر، فلم أجد ما يسمى بالتكتل العربي ولم يكن لمجموع الدول العربية أي أثر في المؤتمر، حتى أن أحد المرشحين لم يحصل على مجموع الأصوات العربية التي كانت لا تقل عن «٩» أصوات فحصل على ثلاثة فقط!

عدت إلى عمان، ووجهت كتابا إلى الجمعيات العربية القائمة دعوتهم بعقد اجتماع، على أن يحددوا الزمان والمكان الذي يريدونه. وبعد مضي ثلاثة شهور لم أتسلم الردود فوجهت كتابا آخر عينت فيه مكان الاجتماع في عمان والزمان صيف ١٩٦٦.

حضر الاجتماع أربعة وفود من «لبنان، سوريا، العراق، السعودية، والأردن» فقررنا تأجيل الاجتماع لفترة أخرى ربما لزيادة العدد. وبعد ثلاثة شهور عقدنا الاجتماع الثاني وكان العدد قد بلغ ثمانية وفود بما فيها الأردن. اعترضت مصر يومها، وتساءلت كيف أدعو لعقد اجتماع وأنا لست بصاحب حق.

واجتمعنا في القاهرة عام ١٩٦٩ وطلبنا أن يكون اللقاء سنويا.

وهكذا انتقلنا إلى بيروت والكويت والرياض بناء على طلب من جلالة المغفور له الملك فيصل حيث تم تأسيس أمانة عامة لجمعيات الهلال الأحمر والصليب الأحمر، ومن هناك أخذ يشتد ساعد المجموعة العربية، وبدأت تأخذ دورها في الوسط الدولي، وأنشئت جمعيات الهلال الأحمر في كافة أنحاء العالم العربي باستثناء دولة عُمان.

المساواة.. مطلوبة:

طلبت تعديل المواد الدستورية حتى يتساوى الهلال الأحمر والصليب الأحمر في العالم واحتدمت المعركة عام ١٩٧٩. وهنا لا بد أذكر أن أسعد لحظة في حياتي كانت عندما أعادوني في إحدى المؤتمرات محمولا على الأعناق بعدما بذلت جهدا لتحقيق مبدأ المساواة بين الهلال والصليب الأحمر ونجحت في مسعاي وتم التعديل. وكان ذلك في «جنيف» وبحضور مائة جمعية من بلاد العالم.

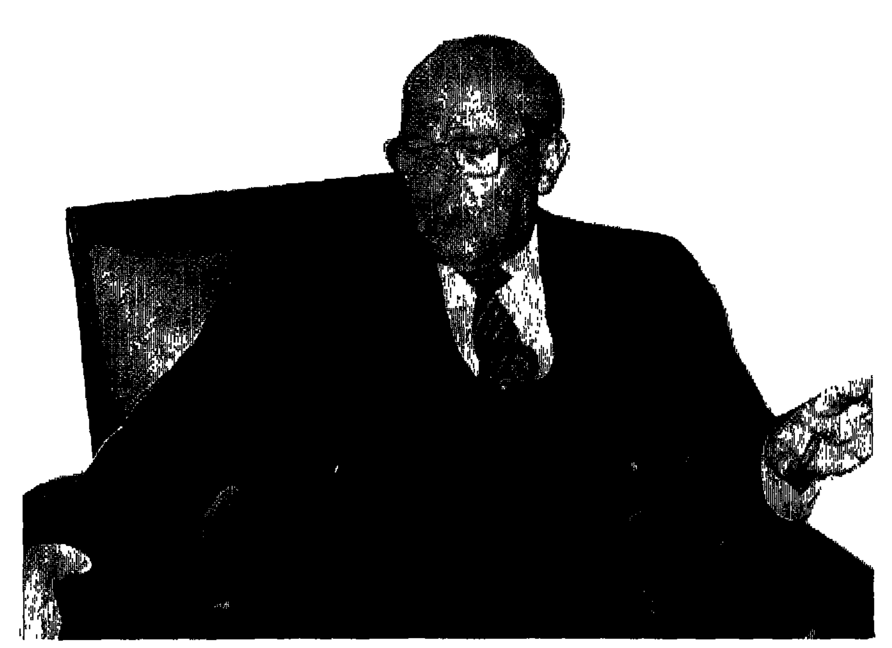
وفي عام ١٩٨٥ طلبت تعديل دستور الصليب الأحمر والهلال الأحمر ليصبح دستورا واحدا مشتركا وتقرر ذلك عام ١٩٨٦.

أزعم بعد هذه الرحلة أنني حققت ثلاثة أشياء ناضلت من أجلها: إدخال اللغة العربية لغة رئيسية للهلال والصليب وتحقيق مبدأ المساواة بينهما دوليا وعالميا.

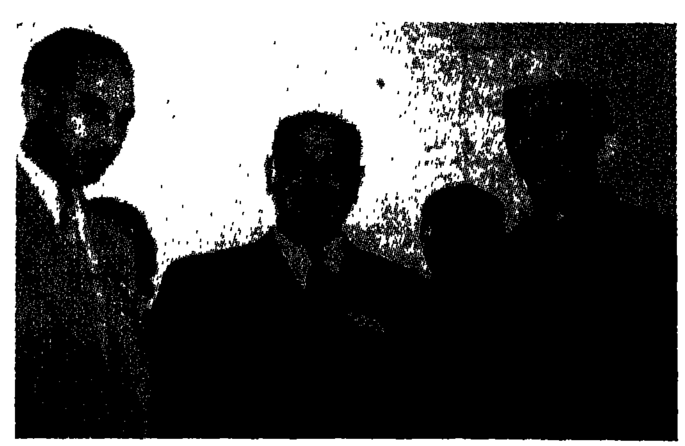
بسرعة:

قابلت المغفور له جلالة الملك فيصل قبل اغتياله بعشرة أيام وذلك لأشكره باسم المجموعة العربية لمكرمته كذلك قابلت العديد من زعماء العالم كملك النرويج والسويد ومحافظ كندا والزعيم الراحل نهرو ورئيس جمهورية الصين الشعبية الحالي والرئيس الراحل ضياء الحق والرئيس التونسي السابق بورقيبة وآخرين.

كما حصلت على عدة أوسمة وحملت حقيبة وزارة الصحة عام ١٩٦٥.



د. أحمد أبو قوره



مع الزعيم الراحل نهرو عام ١٩٥٦.



مع الوسيلة الحبيب بورقيبة عام ١٩٦٥

أديب الدسوقي

ذاهب إلى منازلة «الدسوقي»!

هكذا قلت للصديق مؤنس الرزاز، الذي استعنت بـ «معلوماته» و «خبرته» قبل أن أشرع بالحديث مع ضيفي «أديب الدسوقي». طبعاً لم يعلق «أبو منيف» على كلامي باعتباري سأتلاشى أمام أسطورة الملاكمة في الخمسينات والستينات والسبعينات وبطل الشرق الأوسط لسيل من السنوات.

كذلك استعنت بذاكرة الصديق «أبو خلدون» مدير التحرير، وودعتهما متجها إلى «القويسمة» حيث يسكن منافسي «على الورق» طبعا ـ أديب الدسوقي.

استقبلني بكهولته ـ وأرجو أن تمر هذه الكلمة على خير ـ لأن محدثي يرفض الاستسلام لسن العجز، وطوال حديثنا وهو يحرك يديه وجسده كما لو كان في حلبة الملاكمة، مما جعلني «أبدل» مكاني عدة مرات إتقاء خطأ ما.

مع ذلك، فقد قبلت التحدي، و «فزت» بهذا الحوار الذي أمتعني وبدوري أهديه إلى الصديقين ـ صاحبي الفضل فيه ـ مؤنس الرزاز و «أبو خلدون».

والآن.. إلى حلبة الملاكمة!!

المجنون:

ولدت في يافا عام ١٩١٤، والدي كان رياضيا يحب المشي كثيرا ويلعب المصارعة وهو الذي شجعني وله الفضل في توجيهي والعناية بمأكلي وملبسي وكان

بالنسبة لي طبيبا ومدربا وراعيا. عمل والدي في تجارة البرتقال وقد تزوج من امرأتين، وكان لذلك أثره، حيث عشت في كنف خالتي - زوجة أبي - وهي التي ربتني، بينما اعتنت أمي بشقيقي. وكثيرا ما كانت خالتي تتحمل ثمن مشاكستي، حيث كان أبي يضربها إذا ما أذنبت.

أخي، كان يكبرني بأربعين يوما وكان حنونا، يمنحني ما يحصل عليه من الطيبات.

أنجبت زوجتا أبي كل واحدة ثلاثة أولاد ذكور وأنثى، وعشنا جميعا في دار وسيعة وسط كرم كبير. منذ صغري كنت أحب المشي والركض من يافا إلى بيت دجن، وكان أهالي (يازور) و (بيت دجن) يرونني ويقولون: أجا المجنون!!

وعندما كبرت أصبحوا يقولون: جاء بطلنا!!

البحر:

كنت أذهب إلى البحر يوميا وأركض هناك، وذات يوم قلت لوالدي: أريد أن ألعب المصارعة. وقتها كنت ألعب كرة القدم وأجد متعة في عراك الأولاد والفوز عليهم وضربهم.

وما أن سمع أبي برغبتي، حتى أمسك بي وأخذ يمارس المصارعة معي، فكانت (علقة) ساخنة جعلت أمي وخالتي تصرخان به وتقولان: قتلت الولد! فكان يرد عليهما: «بدي إياه يصير زلمة».

ثم انضممت إلى النادي الرياضي الإسلامي بيافا وصرت أتدرب على المصارعة، حتى جاء الدكتور حقي مازين الذي كان يزور البلاد في إجازة فقد كان يعيش في فرنسا، نظر إلي ضمن مجموعة المصارعين ودعا إلى إيجاد فريق للملاكمة، واختارني لأكون ملاكما.

من فرحتي قلت له: أنا بطل أغلب الأولاد جميعا، ومنذ ذلك اليوم جعلوني

ملاكما وهجرت المصارعة.

لعبت مع كل أبطال البلد وهزمتهم، بعدها جاء بطل تركيا محمود أضنة وكان يتهرب من لقائي لكثرة ما سمع عني و . . هزمته. كنت أتدرب كل يوم ساعتين، آكل جيدا وأتدرب جيدا، أصحو فجرا وأركض إلى (بيت دجن)، وكان تلاميذ المدارس ينتظرون مروري فيقفون على طول الشارع لرؤيتي . .

حداد:

أنهيت تعليمي الثانوي في يافا بدرجة جيد، وكنت أحلم بدراسة الزراعة وطلب أبي أن أسافر إلى بيروت اختلفنا. قلت له: بل أريد الذهاب إلى أي مخرطة للعمل حدادا.

وقد كان، وعملت «لحيم أكسجين» دون أن يؤثر ذلك على هوايتي وتدريباتي.

عام ١٩٣٦ دخلت عالم السياسة، عندما اندلعت الثورات في فلسطين، فشهدت الإضراب الذي بدأه أهل الشمال وكنا في النادي الإسلامي نحمس الشباب على الجهاد وذهبنا إلى (غزة) على «البسكليتات» لنوحي لأهلنا في الجنوب أن وفدا قادما إليهم، كنا فرحين لذلك العمل رغم المشقة وطول الطريق وعثراتها.

الإنجليز سجنوني مع أبي وأخي في معتقل صرفند العسكري عام ٣٦ و٣٨ وبقيت في السجن حتى الحرب العالمية الثانية.

كنت أستغل وجودي في السجن، فأتدرب، وكان الإنجليز يأخذونني لألعب مع أبطالهم ثم يعيدونني إلى المعتقل.

مصر وأبطالها:

خرجت من السجن بعد سنة كاملة، وبدأت أكافح في الحياة، فعملت في الدهان والمقاولات قبل أن أتزوج.

أعلنت التحـدي أمام أبطال مصر عام ١٩٣٩ وهزمت أبطالها (عبده كبريت) و (محمود صلاح الدين) على التوالي.

المصريون لم يصدقوا ذلك وعرضوا على اللعب مقابل خمس وثلاثين جنيها في بطولة مصر وفزت بالمباراة مما استفز الصحافة المصرية وقتها التي هاجمتني وشنت حملة شعواء ضدي.

في عام ١٩٤٥ لعبت مع بطل مصر محمد فرج وهزمته وحصلت على بطولة الشرق. وهكذا هزمت أغلب أبطال مصر.

كذلـك لعبت مع بطل سوريا ولبنان (معروف الموصلي) وهزمته. عملت في الطرق وكونت فريقا في الجيش هزم منتخب الجيش البريطاني في (الحبانية).

سوريا والكويت:

أثنـاء عبوري الحدود السورية تعرفت على شرطي قادني إلى العقيد إبراهيم الحسيني الذي عرض علي التدريب تاركا الراتب الذي أحدده. وفعلاً عملت في وزارتي الـداخلية والـدفاع مرة واحدة، وكنت أداوم صباحا في الجيش ومساء في الشرطة مقابل (٥٠٠) ليرة سورية وكانت وقتها ثروة هائلة.

أوجدت فريقا للملاكمة لعب مع فريق مصر الدولي وفاز عليه، ثم انتقلت إلى الكويت وبقيت فيها عشرين عاما.

عودة إلى يافا، ففي عام ١٩٤٨ كنت آخر من خرج في مركب (سنت لاري) وكانت تحميل الشباب والأولاد على المركب للهجرة بعدما اشتعلت الحرب في فلسطين.

زوجتي خافت علي ألا أعود، وسرنا إلى (بورسعيد) وهناك بقينا ثلاثة عشر يوما وسط البحر وذلك بسبب انتشار مرض الكوليرا في الأراضي المصرية.

بعدها أخذوني إلى (الحكمدار) الذي قلت له: جئنا لنسلمكم الأطفال والنساء

ثم نعود إلى فلسطين، ثم توجهت إلى مكتب البريد وأرسلت برقية إلى رئيس وزراء مصر (النقراشي باشا) قلت له فيها:

«لجأنا إلى مصر من قنابل اليهود بعد احتلالهم يافا ورفعوا العلم اليهودي فوق المآذن، سلحونا، جندونا لنعود للجهاد، خير من عودتنا إلى أسر اليهود»!!

ثم عدت إلى المركب، فاكتشفت أنهم سحبوه إلى الحجر الصحي (المظاليتا) وفي الصباح حضر محافظ (بورسعيد) وسأل عني، كنت أملك بنطلونا قصيرا وقميصا نصف كم، هما ما خرجت بهما من يافا.

المفتي يطلبني:

أثناء عودتي إلى فلسطين لمقارعة العدو، أرسل سماحة المفتي الحاج أمين الحسيني في طلبي ودعاني إلى مصر وهناك قال لي:

(يا ولدي اترك التفكير في موضوع القتال واهتم بالملاكمة، نحن يهمنا سمعتك الرياضية، وعندما يذكر اسمك يرفع اسم فلسطين في هذا الميدان).

وأقيمت لي (حفلة ملاكمة) حضرها محمد صالح باشا حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين في مصر والسيد عبد الرحمن عزام أمين عام الجامعة العربية والحاج أمين الحسيني.

ولعبت مع بطل مصر وكتبت عني الصحف كثيرا مما أسعد المفتي.

أنا.. والطنبور.. والمخدر:

تعرفت على الملاكم فهد الطنبور من خلال والده (مسعود)، الذي كان معي في العراق، وعندما مات أرسلت ميراثه (٥٠) دينار إلى (فهد) الذي عاد ليصرفها دون أن يعطي أخوته.

كان (فهد) بمنزلة الابن عندي، فأنا من رباه بعد رحيل أبيه ود'رت الأيام ولعبت لعبتها لألتقيه عام ١٩٦٦ في أول مبارة في عمان.

لم أكن أمنح الأمر من الأهمية، وكأني سأنازل ملاكما من الدرجة الثانية أو الثالثة.

يوم المباراة حدثت مؤامرة طرفها المنظمون للمباراة بالاتفاق مع الحكم (الذي كان منهم)، وقبل اللقاء بساعة واحدة أعدوا زجاجات (الكولا) ووضعوا على «المنشفة» التي تمسح بها أجساد الملاكمين مادة مخدرة كما وضعوا «حبات» مخدرة في زجاجة الكولا بسبب التعب والإرهاق شربت «الزجاجة» وبعد ست جولات أعلن الحكم فوز (الطنبور).

أذكر أنني كنت طوال المباراة مثل (الدائخ) لا حول لي ولا قوة، الجمهور تعاطف معي ـ كالعادة. ولم يصدق أنني مهزومٌ فثار وأشعل المهدرجات، المدرج الروماني.

طالبت بمباراة ثانية واشترطت إحضار كل ما يلزم من مواد وأدوات من بيتي، كما اشترطت ألا يقترب مني أحد من غير عائلتي. وفزت عليه بعد ست جولات وكان الحكم وقتها غريب البكري.

أهل فهد أشعلوا المدرجات واشتبكوا مع الجمهور ونقلوني بسيارة الشرطة إلى البيت.

هزمت هؤلاء:

فزت على البطل مصطفى الأرناؤوط بالوزن الثقيل وكان بطلا لسوريا ولبنان من عام ٣٢ ـ ١٩٣٨، وتم النزال بيننا في يافا يوم ١٩٣٨/٦/٢٢.

فزت على البطل محمد رميش في حلب عام ١٩٣٩ بالضربة القاضية كما فزت بالنقاط على بطولة الشرق الأوسط وفلسطين، وهزمت البطل عزيز عبدالله الملقب بـ «سنحاريب صليبا» وهذا النزال أجري للمرة الثانية بعد مرور ثلاثة أشهر على النزال الأول الذي أوقف بعد الجولة السابعة لتدخل الجمهور ولم تعلن النتيجة وكان هذا في مدينة حيفا.

كذلك هزمت البطل البريطاني هاري باو بطل استكلندا أثناء وجوده مع القوات البريطانية إبان الحرب العالمية الثانية في معسكر صرفند المعروف بفلسطين.

عام ١٩٤٤ هزمت بطل ويلز في حيفا وبطل مصر في الوزن الثقيل عرفة السيد في القاهرة في نفس السنة.

كلاي يرفض:

التقيت محمد علي كلاي بطل العالم السابق في الملاكمة في الكويت عام ١٩٧٥ وعندما عرضت تحديه، رفض وادعى أن السبب هو أننا ننتمي لنفس العقيدة (الإسلام) والحقيقة غير ذلك.

كان «كاسيوس كلاي» ـ وهذا هو اسمه ـ قد حضر إلى الكويت لجمع المال للمسلمين في أمريكا، وحل ضيفا على وزارة الإعلام الكويتية والتقينا في فندق «هيلتون» بحضور رجال الإعلام والصحافة قلت لكلاي، بما أنك قد حضرت لبلاد الشرق لجمع المال للمسلمين وأحضرت معك ملاكما أمريكيا آخر غير معروف، فما رأيك لو لعبنا أنت وأنا في جميع المدن التي ستزورها ويكون الدخل أكبر. فما كان منه سوى أن صرخ وقال: أنا أمريكي. ولم يقل أنا مسلم.

حكاية المذيع.. وغرفة الملابس:

من أسرار حياتي في الملاكمة ما حدث عام ١٩٦٤، عندما تحداني بطل مصر محمد فرج على لقب بطولة الشرق الأوسط في الكويت.

فقبل المباراة التي جرت بنادي القادسية، دخل الملحق العسكري المصري في الكويت إلى غرفة تغيير الملابس وحاول إقناعي بالخروج من المباراة بالتعادل، وظل يلح علي من أجل مصر. فقلت له إن اللقاء يجب أن يكون رياضيا صرفا، وأنا لا أقبل على نفسي التفاوض. إن كان بطل مصر أفضل مني فليهزمني.

وأضفت، ماذا تريدني أن أقول لسفير الأردن ـ كان وقتئذ السيد محمد

الجنيدي ـ الذي يحضر المباراة، وكيف تريدني أن أواجه الجمهور الأردني العريض الذي يملأ جنبات الملعب؟.

يومها، كان المعلق الإذاعي الشهير أحمد سعيد يضايقني بتعليقاته، فتركت الغرفة حانقا وتوجهت فورا إلى الحلبة، ووسط هتاف الجمهور العريض، طرحت بطل مصر بالضربة القاضية وفي الجولة الرابعة.

اليهود في كل مكان:

عام ١٩٦٢ حضر إلى مصر بطل العالم وقتذاك (بيترسون) وما أن علمت بخبر وصوله، حتى ذهبت إلى السفارة الأمريكية في عمان وطلبت مقابلة القائم بالأعمال، وقلت له إنني أدعو البطل الأمريكي (بيترسون) لزيارة الأردن للتوقيع على عقد المباراة.

وكتبت الصحف الأمريكية عن الموضوع، وعرضت، أنا الشهادات التي تثبت تمثيل لبطولة الشرق الأوسط وفوزي على أبطال أوروبا.

وتم الاتفاق وطلب مني دفع التأمين اللازم، وعندما علم بالخبر وما كتبته الصحف العالمية، استدعاني جلالة الحسين وتشرفت بلقائه، ووعدني بدفع التأمين اللازم.

وتدخلت الصهيونية العالمية لحرماني من منازلة بطل أمريكا وأوروبا، والمعروف أن جميع منظمي حفلات الملاكمة والرياضة في العالم بالإضافة لوسائل الإعلام من اليهود.

أعنف مباراة:

أقوى مباراة لعبتها كانت مع البطل البريطاني هارولد كين وكان مرشحا لبطولة العالم وقد انتصرت عليه بالنقاط. أما عن سن اللعب، فلا أظن أن هناك عمرا

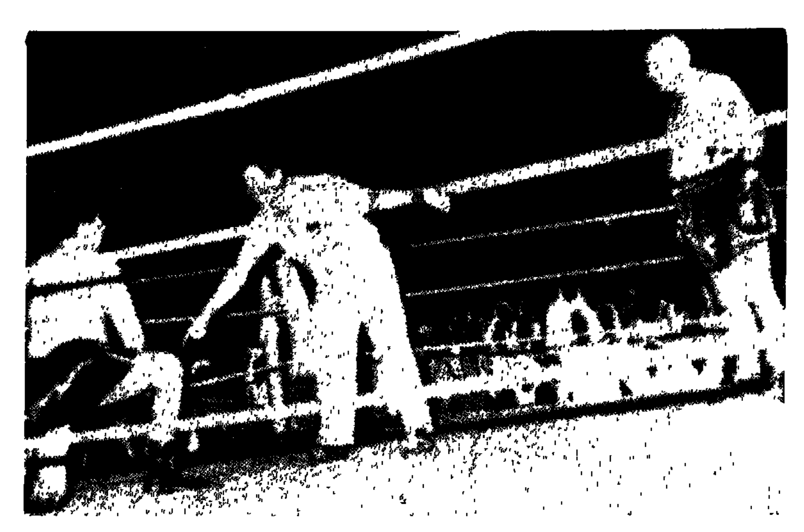
للملاكم، وأنا لا أزال جاهزا مستعدا للتحدي رغم بلوغي «٧٦» عاماً، فهل من مبارز؟!!



أديب الدسوقي



«الدسوقي» يستعرض أمجاده



مع بطل مصر محمد فرج في الكويت

الحاج إسماعيل أبو ريان

عندما سئل الزعيم الفرنسي ديغول عن الرجل الذي يستطيع أن يحكم فرنسا، قال إنه الذي يعرف طعم أنواع الجبنة التي يشتهر بها الفرنسيون وهي بالطبع كثيرة ومتنوعة.

ورغم أن الحاج إسماعيل أبو ريان ليس زعيما سياسيا، إلا أنه يرعى مصالح أكثر من (٤٠) ألف نسمة هم سكان مخيم الحسين. وهو كذلك منذ (١٤) سنة وفي انتخابات حرة.

إنه «حلال المشاكل» وشيخ المخيم الممتد على مساحة (١٣٢) دونما، بل إن جهوده تصل إلى خارج المخيم، وأيضا خارج الأردن في صلح عشائرية. التقيناه لنتحدث عن ذكرياته وبعض محطات حياته العامرة بمحبة الناس والانشغال بقضاياهم المختلفة.

وكانت هذه السطور:

من الدوايمة:

ولدت عام **١٩٢٢** وتحديدا يوم الثاني والعشرين من شهر أيلول في بلدة الدوايمة قضاء الخليل. تقع القرية على أجمل هضاب جنوب فلسطين على أرض تمتد إلى ٦٢ ألف دونم، وكانت قد أقيمت على أنقاض «تل الدوير» الذي كان يشكل البوابة الغربية للقدس الشريف في زمن الكنعانيين. وفيها «الدوايمة» آثار ومعالم قديمة ومقامات للصالحين كمقام الشيخ علي والشيخ محمود الكيلاني وأهم

ساحـاتهـا «الزاوية. . وسوق البحرين». كان أبي يعمل مزارعا وكان يزرع القمح والشعير والذرة. وكانت عندنا أملاك أكثر من سوانا (حوالي ٥ آلاف دونم). كنا عائلة واحـدة (مـع عمي وزوجتـه) بالإضافة إلى (٧) رؤوس من البقر و(٢٠) زوج من الحمام و (٤٠) دجاجة نتقاسم بيتاً واحدا ونأكل من صحن واحد وكان ثمة مكان خاص بالحيوانات.

تعلمت في «الكتاب» وختمت القرآن في ثاني سنة، ثم تابعت دراستي حتى بلغت الصف الخامس الابتدائي. وأذكر جاءنا معلم من حكومة فلسطين اسمه علي الدويك / الخليل، وقد استأجرت له البلدة «عقدا» أي بيتا ليعيش فيه ونادى المنادي داعيا من لديه ابنا ليرسله إلى المدرسة ليتعلم. تركت الدراسة وعملت مع والدي في الـزراعة حتى **١٩٤٧** حيث صرت أعمل في تجارة السلاح. وكان سعر «البارودة الجـديدة» ثلاثين جنيها فلسطينيا ورشاش الستن بـ «١٥» جنيها. كنا نبيعها لأبناء البلد للدفاع عن أنفسهم. ولم تحدث مشاكل في هذا الشأن سوى اعتراض الجنود المصريين لنا في «الفالوجة» ولما عرفوا أننا نحمل تصاريح سمحوا لنا.

على هودج:

عام **١٩٤٩** كانت الدوايمة آخر بلدة تسقط بيد اليهود، خرجنا شرقا إلى «دورا» وكان لي أصدقاء هناك وقضيت مع عائلتي ثلاث ليال تحت شجرة زيتون حتى وجدوا لنا «عقدا / بيتا» مكثنا فيه سبعة شهور.

تزوجت عام **١٩٤٢** وكانت امرأتي من عشيرة أخرى، ودفعت مهرها ستين جنيها فلسـطينيا، وارتفعت المهـور والمعيشـة بعد الحرب العالمية الثانية. أرسلت أمي وشقيقتي لمشاهدة العروس واتفقنا وتم الزفاف وكانت العادة أن تركب العروس في «هودج» وتدور في البلدة وخلفها المغنيات صفا وراء صف. ومن الأغاني التي كان يرددنهـا للعـرس: «فـرهـدت من فوق جملهـا، والسعـد والـزين دملها، يا فلان

ـ العريس ـ، برخ جملها». بنيت لي وزوجتي بيتا في نفس بيت أبي بمساحة (أربعة x أربعة) وقد كلف البناء (٢٢) جنيها وطرشناه بنصف جنيه. ولدت لي بنت عام **١٩٤٣** اسميتها «زينب» ثم ذهبت إلى قرية «السموع» وهناك فتحت «بقالة» ومكثت في «السموع» مئة يوم. لم نكن نشتري سوى السكر والأرز والشاي والملابس ونبادل الزيت والحنطة والبيض واللحم. وكان من العار على أبناء البلدة أن يمتهنوا البيع والشراء، وكانت هذه المهنة لتجار الخليل وما حولها وهنا أذكر منهم على سبيل المثال الحاج محمد الجعبري والحاج محمد سعادة.

مع الثوار:

كان صاع القمح حوالي رطلين ووقية. هناك الرطل الخليلي والرطل النابلسي / حوالي (١٠) أواق وثلث. جئت إلى الخليل واستأجرت بيتا في كرم تين وعنب في منطقة «وادي التفاح» غرب الخليل. كانت تجمعنا بالثوار مناسبات عديدة، أذكر منهم السادة: عبد الحليم الشلف، ساكت السموعي، «السيخ»، وسليمان عبد الحميد العواملة، وإبراهيم العواملة ومحمد أبو هنية. وقد تعرفت بالقائد المعروف الشهيد عبد القادر الحسيني، ولا زلت أعتقد أن القضية الفلسطينية خسرت الكثير باستشهاده.

كان الإنجليز يخرجون الأهالي كلهم بحثا عن سبعة مناضلين (عام **١٩٤٦**). أذكر في الأعوام الأخيرة قبل الاحتلال؛ كنا نحرس قريتنا، وذات يوم خرقت صفو سمائنا طائرة بريطانية وأخذت تسقط القذائف وكان في صحبتي إبراهيم أبو فروة، ورغم ما رأيناه استل مسدسه «الكرداغ» الطاحونة وراح يطلق عليها الطلقات عله ينال منها. ومرت الأيام ولا زلت أشهد مثل الذي حدث من إطلاق الرصاص في الهواء ودون مبرر أو فائدة.

وفي عام **١٩٥٢** اتجهنا إلى أريحا ومكثنا فيها حتى عام **١٩٥٥**، وفي العام

التـالي حضرت إلى مخيم الحسين في عمان. وإذا سألتني عن أصعب المراحل الزمنية في حياتي فهي احتلال فلسطين وكذلك يوم قابلنا أقاربنا على الجسر عام ١٩٦٧، وبالطبع أيام حرب الخليج.

خيم وبطانيات:

عندما أنشىء مخيم الحسين عام ١٩٥٠ كانت كل عائلة تحصل على خيمة حسب حجمها. كان عدد سكان المخيم ١٠ آلاف نسمة معظمهم من تجمع مدن وقرى فلسطين وكان فيه مدير خدمات، وتغير أثناء وجودي فيه (٨) مدراء للخدمات. أما المخصصات فكانت عبارة عن طحين وأرز وسكر وجبنة وسردين ومعلبات. وفي فصل الشتاء كانوا يوزعون الكاز من مكتب مدير الخدمات. وبالمناسبة كان يأتينا الـدور بعد انتهاء منتصف فصل الشتاء. ثم تضاعف العدد وتوسع، وبدأ المخيم بعشرة شوارع وانتهى بخمسين شارعا «سفلى وعلوى». وأذكر أن الناس كانوا يقضون الليل يضربون الخيم لإنزال الثلج عنها. وكان أغلبهم تحت خط الفقر.

أرض المخيم مستـأجرة من ملاكين منذ عام ١٩٥٠، وأغلب أراضيه للحاج محمـد البلبيسي وقـد استـأجـرته «وكالة الغوث» بسعر ثلاثة دنانير للدونم الواحد (مساحة المخيم ١٣٢ دونما) وعدد السكان حوالي (٤٠) ألف نسمة. وأكثر العشائر عددا أهالي اللد ثم أهالي قرى حيفا ويافا والرملة.

عملت في المخيم بائع قماش لمدة (١٣) سنة، و(٢٣) سنة قضيتها في محل مفروشات حتى كبر الأولاد ومنذ عامين (استقلت).

رئيس منتخب:

منذ ١٤ سنة وأنا رئيس لجنة مصالح المخيم وقد انتخبني الناس كوني أعرف في المسـائل العشائرية أكثر من سواي. وأقوم بإصلاح ذات البين ومعظمها «أخذ عطوات»، وإذا ما حسبتهـا ستجدني قد شاركت في حل (٣٠) ألف قضية خلال

وجودي في مخيم الحسين. تعلمت شؤون العرف العشائري من والدي وأعمامي وكنت أذهب معهم في الجاهات وأنا الآن أتابع رسالتهم التي بدأوها. مشاكل الناس كانت في البداية (على فتح الشباك وحدود أرض) وأغلبها الآن حوادث سيارات.

قابلت في حياتي المرحوم أحمد الشقيري وكان أنبل شخصية ولم تعرف فلسطين له مثيلاً الذي أسس منظمة التحرير الفلسطينية، وكان يزورني في المخيم ونتبادل الأحاديث، وعندما مات دفناه في «أبو عبيدة» بالغور. كذلك قابلت الرئيس ياسر عرفات في أمور عشائرية وأمور تهم المخيم سواء هنا في قصر الضيافة. ومن أهم الزعماء الذين أحبهم جلالة الملك الحسين والذي أسأل الله له الصحة والعافية وهو يسأل عنا ونلقيه عنا ونلتقيه في المناسبات. أما الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فقد تعرفت به عام ١٩٤٨ في معكسر «عراق المنشية» وكان برتبة «بكباشي» ومعه كان صلاح سالم وزكريا محي الدين ومحمد نجيب.

٥٢ سنة تدخين:

كان والدي يحضر لي سجائر «الهيشة» وكان يقول «الرأس اللي ما فيهاش كيف حلال قطعها». وبالطبع لم يكن الناس وقتها يعرفون مضار التدخين. أسرتي مع أولادي وأحفادي حوالي ٣٥ شخصا. ومن الأغاني التي كنا نرددها العتابا والميجنا، ومن ذلك: فلسطين العزيزة رجال ما. . لها.

وملكتها اليهود بكثرة مالها

ابن ابن «الحسيني» اليوم ما. . لها.

وهنا المقصود الثائر عبد القادر الحسيني. بالنسبة لي أعرف فلسطين من الناقورة شمالا إلى «عوجا حفير» جنوبا. زرت: سوريا، ودول الخليج، وتركيا، وألمانيا، وبلغاريا، وإسبانيا، ومصر. حياتنا كلها نكبات، وعلى كل حال فإنني أحمد الله الذي أمرنا أن نصبر على القضاء والقدر. أذهب أحيانا لحل مشاكل عشائرية في

سوريا والسعـودية والعـراق. أمـا أهم الشخصيات التي أثـرت على حياتي فهي: المرحوم الشيخ أحمد سليمان أبو ريان والشيخ أحمد عثمان أبو ريان وعمي الحاج أحمد محمود أبو ريان ووالدي المرحوم الحاج محمد محمود أبو رمان. . وآخرون.



مع جلالة الملك الحسين



○ مع أفراد الأسرة عام ١٩٦٥.

أنور الخطيب التميمي

تحتل القدس مساحة كبيرة في قلبه ووجدانه ودائما يرى صلاح الدين الأيوبي قائدها ومنقذها وهو يتأمل جراحها بين الحلم والواقع.

أنور الخطيب التميمي آخر محافظ للقدس قبل سقوطها عام ١٩٦٧ والوزير ثلاث مرات في الحكومات الأردنية (التجارة، الجمارك مع دولة سمير الرفاعي، الاقتصاد الوطني مع دولة فوزي الملقي، الأشغال العامة مع دولة سليمان النابلسي) وهو بعض تاريخها وأبرز شخصياتها.

التقيناه في «الصويفية» بعمان وها نحن نقرأ معه ومن خلاله صفحات من تاريخنا العربي، وثمة صفحات لم نشر إليها ربما يكون لنا معها حديث آخر بناء على رغبة ضيفنا..

بداية:

ولدت في مدنية الخليل عام ١٩١٧، وبعد أن أكملت الصف الثاني ثانوي فيها التحقت بالكلية العربية بالقدس حيث أكملت الدراسة الثانوية وحصلت على الدبلوم في علم النفس. عملت مدرسا في بئر السبع ثم انتقلت إلى المدرسة الرشيدية الثانوية بالقدس، بعدها التحقت بمدرسة الحقوق المسائية في القدس وبعد أن حصلت على الشهادة المتوسطة ألقي القبض علي بتهمة الاشتراك في الثورة الفلسطينية واعتقلت لعدة أشهر وفصلت من عملي استنادا إلى قانون الطوارىء.

غادرت القدس خفية بعد محاولة القبض علي ثانية وتقديمي للمحاكمة بتهمة

أمنية خطيرة، وبعد إقامة قصيرة في بغداد واصلت رحلتي إلى مسقط عاصمة عُمان حيث بقيت هناك طيلة سنوات الحرب العالمية الثانية.

عدت إلى القدس عام ١٩٤٥ حيث عينت سكرتيرا عام للمجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين وهي المؤسسة المسؤولة عن إدارة المحاكم العليا برئاسة جمال الحسيني، كما تم انتخابي سكرتيرا لجمعية المشروع الإنشائي برئاسة موسى العلمي.

بعـد عودتي إلى القـدس واصلت دراسة الحقوق حيث حصلت على شهادة الليسانس ثم الدبلوم في القانون.

شكلت بعد قرار التقسيم مجموعة من المناضلين برئاستي على نفقة المجلس الإسلامي الأعلى لحراسة أملاك الأوقاف وخاصة مقبرة مأمن الله وفندق بالاس في شارع مأمن الله بالقدس.. وانسحبت إلى داخل السور بعد استشهاد بعض رجالي وسقوط حي مأمن الله بالكامل في يد الهاجناه.

صحفي أيضا:

بعد نكبة ١٩٤٨ ناديت بوجوب بناء جيش فلسطيني لاسترداد ما فقدناه من وطن على أن يتم تمويله من اقتطاع نسبة معينة من داخل البترول العربي، وكنت أول من نادى بشعار «بترول العرب للعرب» في سلسلة مقالات كتبتها في جريدة الصريح المقدسية لصاحبها هاشم السبع.

عينت رئيسا لأول بلدية في القدس العربية بعد الهدنة الثانية في فلسطين وبقيت لمدة سنة ثم عزلوني لأسباب سياسية.

مارست المحـاماة لسنوات عديدة وأسست مع نخبة من رفاقي مجلة الهدف المقدسية، وانتخبوني نائبا عن مدينة القدس سنة ١٩٥١ إلى سنة ١٩٥٤ وشاركت في ثلاث وزارات أردنية.

كما كنت أول سفير للأردن في مصر في منتصف الستينات، عدت إلى القدس وعملت محافظا لها حتى سقوطها في حزيران ١٩٦٧ واعتقلت من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي وأبعدت إلى صفد لمدة ثلاثة شهور. والآن أنا في القدس وقد أسست مع بعض الزملاء والهيئة الإسلامية التي تدير شؤون المسلمين في المناطق المحتلة وذلك في غياب السلطة الوطنية.

سقوط القدس:

صباح الأربعاء السابع من حزيران ١٩٦٧ وقفت وراء نافذة دائرة الأوقاف الإسلامية المطلة على ساحات المسجد الأقصى لأرقب زحف القوات الإسرائيلية من قمة جبل الزيتون (الطور) باتجاه منحدرات وادي الجوز ثم صعودا إلى باب الأسباط فالمسجد الأقصى المبارك.

كانت عقارب الساعة الثامنة والنصف، وأول ما لفت نظري ما يجري على قمة جبل الطور، وبجوار مستشفى «المطلع» إذا شاهدت سربا من الطائرات الإسرائيلية المقاتلة تنقض على مواقع هناك، تلقي قنابلها وحممها على موقع صغير تخندق فيه خمسة من جنود الجيش العربي وأبدوا مقاومة بطولية حالت دون تقدم القوات الزاحفة ومنعتها من مواصلة سيرها، مما اضطر قائد المظليين الكولونيل مردخاي غور إلى طلب النجدة من الطيران، ولولا هذه النجدة لتوقف الزحف أمام مقاومة هذه الفئة المؤمنة ساعات وساعات.

وبعد أن تم إخماد المقاومة واستشهاد رجالها، استأنفت القوات الإسرائيلية زحفها ببطء وحذر، حتى وصلت باب الأسباط حوالي العاشرة والنصف وكانت وهي تتقدم تطلق وابلا من قنابل المدافع على اختلاف أنواعها حتى وصلت باب الأسباط ودمرته بالقنابل اليدوية التي كنت أسمع دويها من موقعي، رغم أن المقاومة كانت ضعيفة لا تتعدى طلقات الذين احتفظوا بمراكزهم على سور المدينة.

وما كادت عقارب الساعة تقارب الحادية عشرة من ذلك اليوم الأسود المنكود

حتى اقتحمت القوة الإسرائيلية الزاحفة باب الأسباط ومنه اندفعت كالإعصار الهائج إلى ساحة المسجد الأقصى.

وما كاد الكولونيل مردخاي غور الذي كان يتقدم الغزاة يطل على الساحات النيرة المضيئة، حتى هاله المنظر وغمرته الدهشة والفرح وهو بين مصدق ومكذب بأن حلم الأجيال المتعاقبة على مدى ألفي سنة قد أصبح حقيقة ملموسة.

سارع مردخاي غور إلى جهاز اللاسلكي ليزف النبأ إلى رئيسه المباشر الجنرال عوزي ناركيتس صارخا وبصوت متهدج: سيدي الجنرال: أنا أحادثك من جبل البيت وعلى بعد خطوات من قدس الأقداس ويجيبه الجنرال: عافاك وأحسنت صنعا.

رأيت هذه القوة الإسرائيلية المندفعة بشكل هستيري تطلق النار بضراوة حتى واصلت مدخل المسجد الأقصى الرئيسي فدمرته تحسبا لوجود مسلحين فيه.

وما كادت الأمور تهدأ قليلا حتى شاهدت بناظري اثنين من ضباط الجيش الإسرائيلي يقفان فوق سيارة عسكرية نصبا عليها سلما متحركا صعدا عليه وهما يحملان علما إسرائيليا فنشراه فوق قبة الصخرة.

رأيت هذا العلم الغريب عن دنيا الإسلام والعروبة يرتفع فوق القبة الطاهرة، وهكذا، وقع ما كنا دائما نخشاه وتقشعر جلودنا لمجرد تصوره وغدا الكابوس الرهيب حقيقة يصفع حواسنا كلها. ارتفع العلم الإسرائيلي فوق أقدس مقدساتنا ليضع أمامنا الحقيقة المرة، وهي أننا أصبحنا محتلين أذلاء.

لقاء «أشكول»:

أذكر في نيسان ١٩٦٨ زارني في بيتي في القدس «موشي ساسون» وهو سفير إسرائيل بالقاهرة الآن، وكان آنذاك يمثل رئيس الوزراء الإسرائيلي لدى المناطق المحتلة وأبلغني برغبة أشكول بمقابلتي، وفعلا تم اللقاء في منزله في «رحافيا»

بالقـدس الجـديدة، ومـا كاد يستقـر بي المقام حتى فاجأني «أشكول» بمحاضرة تاريخية اجتماعية مفادها أن التاريخ لا يعيد نفسه، وأن على العرب ألا يعتمدوا على الماضي، وأنا أستغرب وأتعجب وأتقول في نفسي عن أي مناسبة يتكلم «أشكول».

وهل رغب في لقائي ليلقي علي محاضرة من هذا القبيل، ولكنني استدركت فورا بأنه يشير إلى صلاح الدين الأيوبي ولإقناعي بألا أتوقع صلاح الدين جديدا لإنقاذ فلسـطين والقـدس وليؤكـد لي أيضـا بأن هناك فروقا كثيرة بين الغزوتين الصليبية والصهيونية، وأن العصر الذي ظهر فيه صلاح الدين هو غير العصر الحالي، وأن التاريخ لا يعيد نفسه ولا تتكرر أحداثه.

مع عبد الناصر:

كان الرئيس الراحل عبد الناصر يؤمن في أعماقه أنه لا حل للقضية الفلسطينية إلا عن طريق العمل السياسي، وأن النزاع العسكري لن يؤدي إلى نتيجة مقبولة.

وهنا أشير إلى لقاء لي مع عبد الناصر في آخر يوم من شهر رمضان عام ١٩٦٥ عنـدمـا ذهبت إلى بيته في منشية البكري لأودعه بمناسبة إنهاء عملي في القاهرة كسفير لبلادي فيها.

كان ذلـك بعـد الإفـطار، وكـان الرئيس مرتـاح المزاج ولديه ميل للحديث والدردشة. وقد تحدث عن العلاقات العربية وعن سلبياتها، ثم ذكر جلالة الملك الحسين بكل خير وإعجاب وقال إنه يحمل عبئا لا يقدر عليه أحد غيره وأنه لا يضمر إلا كل خير، ثم عرج على القضية الفلسطينية وقال إنه لا حل لها إلا عن طريق العمل السياسي.

وهنا سألته: يا سيادة الرئيس، ما دام هذا رأيك فلماذا لا تصارح به الشعوب العربية ولماذا تكرار الحديث عن الحرب القادمة، ولماذا تكديس السلاح من جميع المصـادر، ولمـاذا هدر الثـروات العـربية، فأجاب بأن أي حل سياسي سيتطلب

الاعتراف بإسرائيل، كما سيتطلب تنازلات معينة ولا يوجد زعيم عربي يقدر على ذلك، فقلت له أنت الزعيم الذي يملك الشارع العربي من محيطه إلى خليجه وأنت موضع ثقة الجميع، فأجاب: ومن أنا حتى أقول لابن عكا «خلاص مالكش وطن» وأن هذا الموقف لا يقدر عليه إلا أصحاب الأرض وأصحاب القضية وهو الشعب الفلسطيني، فقلت في نفسي أمن أجل هذا أنشأتم منظمة التحرير الفلسطينية.

أيام الملك عبدالله:

كان المغفور له جلالة الملك عبدالله يزور القدس كل أسبوع حيث يقضي ليلة فيها، وفي يوم الجمعة يؤدي الصلاة الجامعة في المسجد الأقصى، وبعد تناول طعام الغداء يقفل راجعا إلى عمان، وكان يصحبه بعض الوزراء وكان أكثرهم مواظبة على مرافقته الشيخ محمد أمين الشنقيطي. وقد كان جلالته يجد الراحة في فندق الزهراء وهو بيت عادي تم تحويله إلى فندق ويقع حاليا في الشارع المعروف باسم شارع الزهراء وكان ينقصه جميع المتطلبات الأساسية ليكون فندقا. كنا نخرج كل يوم خميس بعد الظهر إلى موقع رأس العمود على مشارف القدس لاستقباله، وحالما يصل يترجل من سيارته ويبدأ بمصافحتنا، ثم يواصل الموكب مسيرته إلى مدرسة الروضة أولا ثم إلى فندق الزهراء ثم استئجار دار لإقامته في حي الشيخ جراح، وهذه الدار تستعمل حاليا كمدرسة للبنات.

حادثة أخرى، فبعد عزلي من رئاسة لجنة بلدية القدس عام ١٩٥٠ ولم تكد تمر فترة قصيرة على هذه الحادثة حتى جاء من يستدعيني لمقابلة الملك عبدالله في مكان إقامته في مدرسة الروضة، فذهبت إليه فورا واستقبلني هاشا باشا مرحبا وسمح لي بتناول يده بالكامل ثم وضع كفه تحت ذقني وقبل وجنتي وهذه إشارة عن منتهى الرضا ثم قال لي علمت بأنك غاضب لإخراجك من البلدية، غير أني أعدك لعمل أكبر وأهم، ولم يكد يمر يوم على هذا اللقاء حتى جاء من يطلب مني الذهاب إلى عمان لمقابلة دولة المرحوم سمير الرفاعي وكان مكلفا بتشكيل وزارة جديدة تخلف

وزارة توفيق أبو الهدى.

وصلت إلى عمان وإلى منزل المرحوم الرفاعي في جبل اللويبدة ولم يسبق لي أن رأيتـه أو رآني، وحالما استقر بنا المجلس عرض علي الاشتراك في حكومته، فاعتذرت فورا وبنيت أسباب الاعتذار، وقلت له لقد افتتحت مكتبا للمحاماة وإنني عازم على ممارسة هذه المهنة التي أحببتها راجعا إلى القدس.

وأثناء وصولي إلى القصر العدلي في شارع السلط اعترضني أحد رجال الشرطة وطلب مني العودة إلى منزل دولة الرفاعي فعدت، وهناك وجدته أمام البيت وباب السيارة مفتوح، وطلب مني مرافقته لمقابلة الملك عبدالله، هناك أقدم اعتذاري إن رأيت، وفعلا ما كدت أصل إلى الحضرة الملكية حتى رأيتني أقسم اليمين القانوني الذي يقسمه الوزراء قبل تسلم الوزارة.

رحم الله الملك عبدالله، لقد كان شديد الاهتمام بأبناء شعبه، وكان لا يطيق أن يشعر أن أحدهم لحقت به ظلامة، وهولله صاحب القلب الكبير.



○ الخطيب يروي ذكرياته



O جلالة الحسين في إحدى زياراته للقدس



O مع الرئيس عبد الناصر وفي الصورة محمود رياض

الدكتور أنيس إيراني

من أوائل الأطباء في الأردن

رحلة بدأت عام ١٩٣٨، تنقل في مدن وقرى فلسطين ولبنان والأردن حيث ألقى عصا الترحال متقاعدا عام ١٩٧١ . إنه الدكتور أنيس الإيراني من أوائل الأطباء في الأردن، أطلقوا عليه «الحكيم» بعد أن ورث الطب عن أبيه الذي وضع قدميه على الطريق الشاق.

ذهبت إليه فاستغرب «رغبتي»، قلت له لا بد أن نطرق باب ماضينا الطبي لنقرأ «حـالتنـا» في الـزمن البعيد. وخلال ساعتين عن الحديث بغبار الماضي وزخمه التقطنا بعض معالم الصورة. فكان هذا الحديث:

أغلى رقم في حياتي «١٩١٢» إنه يوم ميلادي. تكحلت عيناي بمدينة عكا التي تغسـل قدميهـا كل صباح شواطىء المتوسط وتهبها ألطف نسماته. ولدت هناك، وكانت صورة أبي الطبيب هي أول صورة شاهدتها وتمثلتها أن أكونها. . فصرتها.

درست الطب في الجامعة السورية بدمشق. اتبعتها دراسة سريرية في جامعة فينا عام ١٩٣٨ حتى مارست المهنة في عيادتي.

عام ١٩٤٦ حضرت إلى الأردن وحصلت على تصريح لممارسة الطب تحت رقم (١٠)، وفي العام التالي عينت طبيبا لمدينة وقضاء عجلون.

كان الطبيب محل اهتمام واحترام الناس، وكانوا يرون فيه المثال والتمييز. وهذا ما اكتشفته مبكرا في عروس المتوسط حيفا. وكذلك في لبنان حيث يأتيك الأهالي يستفتون في أمور أبنائهم ومستقبل أسرهم. من زملائي في تلك الأيام الدكتور توفيق

التلهوني ورأفت فارس في الجامعة الأمريكية ونسيبه بولص.

اعتاد الناس أن يروني مع والدي الطبيب وكان ذلك يزيدني التصاقا بالمهنة.

الكشف ربع ليرة:

عام **١٩٣٧** افتتحت عيادة خاصة في بنت جبيل، وكنت الطبيب الوحيد. المرضى يأتون يوم الخميس حيث اعتادوا على السوق. ومن كافة القرى والمدن النائية.

أكثر الأمراض التي كانت منتشرة (التيفوئيد) لعدم رقابة مياه الشرب وأمراض الإسهالات والنزلات الصدرية والحصبة. أما الأجرة على الكشف فكانت ربع ليرة لبنانية.

أدواتنا بسيطة: السماعة، ميزان الضغط، ومع ذلك كانت تضطرنا الظروف لمشاهدة وعلاج حالات عسر الولادة مع أنها لم تكن من اختصاصنا ـ. والحالات الصعبة والتي لا نستطيع علاجها كنا نرسلها إلى بيروت وصيدا حيث المستشفيات الأهلية، والمريض يختار المستشفى الذي يناسبه.

تلك الأيام شهدت مقارعة ثوار فلسطين للعدو عام **١٩٣٩** وكان هؤلاء المجاهدين يأتون إلينا للعلاج ويمنحونا شرف كفاحهم قلت إن وسائل التشخيص لم تكن متوفرة، فاختبارات الأشعة كانت تتم في بيروت.

الرمثا ١٩٤٦:

عملت سنة كاملة في الرمثا وذلك عام **١٩٤٦** مدير الصحة وقتها كان المرحوم جميل التوتنجي الذي نصحني بعدم الذهاب إلى عمان والبقاء في الرمثا حيث بيوتها الواسعة والغرف السكنية والحياة البسيطة.

أمراض الرمثا في تلك الأيام كانت الملاريا وذلك لقربها من منطقة موبوءة (الشلالة) حيث المستنقعات.

وكـذلـك مرض التيفوئيد، لأن الأهالي كانوا يشربون من الآبار الموجودة في بيوتهم وهي لا بد أن تكون ملوثة.

بالإضافة إلى الإسهالات وأمراض العيون الخارجية والتراخوميا لانتشار الذباب وعدم التقيد بالشروط الصحية.

سعادتي في الرمثا نبتت من تعاون الأهالي معي ومساعدتهم لي كي أكون واحدا منهم.

عجلون ١٩٤٧:

من الـرمثـا إلى عجلون حيث بدأت أمـارس مهنة الطب هناك. أذكر جاءني شخص من قرية (راجب)، كان الوقت ليلا فأخبرني عن حالة ولادة متعسرة، وشددنا الرحال إليها وبعد توليدها عدنا وأثناء ذلك دعينا لمساعدة سيدة جاءها المخاض، وهكذا قضينا ليلة في حالات ولادة بتنا في بيت شعر حتى اليوم التالي.

طبيبـا جرش وعجلون كانا يتبادلان العمل في كلا المكانين، وكثيرا ما كانت القابلة من أسباب حمى النفاس.

حياتي في عجلون كانت جميلة واستطعت تكوين صداقات وعلاقات أسرية مع الأهالي. ساعدني في ذلك وجود فئات متعلمة ومثقفة تتعاطى الأدب بالسيدين مناور عويس ويعقوب عويس اللذين كنت أتبادل معهما القراءة والكتب.

كتبت الشعر وحفظته مع أولئك الرجال الرائعين كوديع الخوري الذي كان يعمل طبيب أسنان وغيره. الصعوبة في عجلون تكمن في التنقلات على ظهور الخيل، ولطبيعة عملي التي توجب كثيرة الترحال بين القرى، وكان يساعدني في عملي كاتب حاصل على الشهادة الابتدائية.

السلط ١٩٥١:

هذا العام شهد إحساسي بأنني لأول مرة ـ في الأردن ـ أعيش في مدينة من أبرز

مزاياهـا تركيبتها العشائرية المتوازنة والقوية. فالعلاقات بينها قائمة على الاحترام المتبادل وحسن المعاشرة.

كنا طبيبين توزعنا العمل بيننا، وفي السلط التقيت لأول مرة بشخصيات هامة كالسيدين عبـد الحليم النمر ورياض المفلح. وكذلك عملت مع الدكتور محمد البشير رحمـه الله والدكتور وليد بسيسو وغيرهم كما تعاملت مع مرضاي بكثير من التفاني وكونت صيدلية خاصة لصرف العلاج وبأسعار مخفضة جدا.

نابلس ١٩٦٧ :

أجمل فترة قضيتها في عملي، كانت في نابلس، أوضاعها كانت جيدة ومستقرة والمدينة دافئة إنسانياً والعلاقات بين الناس ودية. انسجمت مع ذلك المناخ بحكم عملي مديرا للصحة هناك. وقد أنشأنا جمعية لمكافحة الأمراض الصدرية، ولوجود أقاربي في نابلس شعرت براحة كبيرة حيث كنا نتبادل الزيارات ونلتقي دائما.

عمان ١٩٧١ :

وللمرة الأخيرة تقاعدت.. ولم أعد أمارس المهنة.



د. أنيس إيراني

الحاجة أنيسة شقير

أول قابلة في الأردن

مثل جدول عذب، حديثها . . ذكرياتها . . حنانها، جرار عسل تسكبها أمامنا. الزمن اختصر عمره بعمر عطائها. شهادة الميلاد تشير إلى ما بعد الثمانين بسنوات ثلاث، وهو يطلق عليه عمرها ـ المديد.

من «جبل النار» خرجت الحاجة أنيسة شقير دون أن تدري أنها ستحمل فوق يديها أكثر من نصف قرن من العطاء في مهنة أطلقوا عليها «القبالة».

هاتفنا لنسمع . . لا لنكتب، أليس الإصغاء أجمل الفنون؟ . . جلسنا أمامها في البيت المطل على الفضاء. أعرناها أذانا امتلأت بشهوة الإصغاء. قلنا ـ زميلي المُصور . . وأنا ـ حديثنا عن رحلتك وعن سفينة الحنان . . وأنساب الجدول الرقراق يوشوش ويعزف لحنه القديم ـ الجميل ـ.

. . في هذا الحوار / الإصغاء، عمدنا ـ بشكل عفوي ـ إلى حذف الأسئلة كي لا تعيق علامات الاستفهام حيث ضيفتنا.

فالإصغاء . . والإصغاء وحده كان سبيلنا لاصطياد أسماك الحوار.

المكان: نابلس.

الزمان: ١٩٠٥.

. . أو بالعكس.

درست الابتدائية وختمت القرآن الكريم في المدرسة الحكومية ـ الوحيدة ـ في

نابلس آنذاك. وكانت شقيقة الأستاذ أكرم زعيتر «بهيجة» معي في نفس الصف.

لم أهنأ بطفولتي مثل باقي الأطفال، فقد تزوجت بعد أن بلغت الحادية عشرة من عمري. وكان زوجي يكبرني بعشرين سنة. بطبيعة الحال لم أنجب حينها. قمت بزيارة بيت الله الحرام ولدي من السنوات ثماني عشرة سنة. وهذا كان جزءا من مهري.

علاقتي بمهنة القبالة بدأت حين أصدر المجلس الإسلامي الأعلى فتواه بالسماح للفتيات المسلمات بتعلم مهنة «القبالة» لأن عقليات الناس والأهل - في ذلك الزمان - كانت تحتاج إلى «فتوى» من هذا النوع لتجعلهم يقبلون بتعليم بناتهم مهنة «القبالة» أو التمريض.

.. وهكذا كانت القبالة:

دراسة القبالة كانت دورة تستمر ستة أشهر تعقد في المستشفى (السمكوبية) في القدس. وكان على الأهل أن يدفعوا عشرين جنيها فلسطينيا - كقسط لهذه الدورة -. ولكن حظي كان حسنا، فقد التحقت بالدورة دون مقابل، ذلك في عام ١٩٢٥ وتخرجت في بدء عام ١٩٢٦.

في البدء.. كانت الخليل:

مدينة خليل الرحمن، الشهيرة بالخليل، كانت محطة عملي الأولى، بعد التخرج، عملت فيها حوالي السنة.

لكن بدايتي الحقيقية فهي في «عمان» التي جئتها عام ١٩٢٩. فعملت في الحكومة حتى عام ١٩٤٨، وكنت آخذ راتبي مناصفة من البلدية ومن الصحية.

ثم بدأت أعمل بشكل (حر) وعلى حسابي الخاص. حيث تعرفت إلى عائلات أردنية منها عائلات مشهورة، وأعتقد أن إخلاصي وحده، جعل اسمي وسمعتي تطوف البلدان.

ولظروف أسرية وصحية، فقد أرهقني التطواف بين البيوت مشيا على الأقدام، وحتى أسهم في تعليم أبنائي بالجامعة، ذهبت إلى الحجاز وعملت في «المدينة المنورة» منذ عام ١٩٥٣ متعاقدة مع الحكومة. وبقيت في هذا العمل خمس سنوات كنت خلالها أما لكل النساء المغتربات اللواتي اعتبرنني كذلك، ولعل رفضي «للنقوط» قد رفع من قيمتي لديهن. فلم أكن ـ أبتذل ـ مهنتي وبقيت أعتبرها خدمة إنسانية ومهنة شريفة أولاً وآخراً.

عدت إلى «عمان» عام ١٩٥٨ وبقيت إلى عام ١٩٧٥ أعمل ما بين المدينة المنورة و «عمان»، حتى كان قراري بالتوقف عن العمل، فأصدرت «أمراً» لنفسي بالتقاعد بعد أن شعرت بعدم قدرتي على الاستمرار!!

كلهم أبنائي:

على يدي خرج إلى الحياة مئات الرجال والنساء، منهم النجوم والزعماء والذين سلكوا دروبا مختلفة، لا بل كنت ما يشبه القابلة الخصوصية لعائلات بأكملها منها: «النوابلسية» في عمان، أبناء منكو وملحس، أبناء الطباع (حمدي وعبدالإله) بيت السعودي، قطان، الصفدي، أبناء الحاج حسن.

ومن الجيش أبناء (طبارة) و (صدقي القاسم) و (عارف سليم) و (شكري العموري) و (عناب)، و (موسى الساكت). (بيت عبد الهادي)، عبد الرؤوف الخطيب، فهمي هاشم، الشيخ محمد الشنقيطي، كل آل خير باستثناء السيد هاني خير.

وكذلك أشقاء السيد عاكف الفايز الأربعة.

وبعض أبناء المرحوم هزاع المجالي. وأبناء (ماجد العدوان) وآل دروزه وخرفان وكلبونة والمعشر وأبو الراغب، والشرف.. وغيرهم.. وغيرهم.

أشهر المواليد:

قلت أن هناك مواليد خرجوا إلى الحياة فوق يدي، ولم أكن أعلم أنهم سيكونوا من الشخصيات الهامة والبارزة واللامعة.

وليسامحني ـ بعضهم ـ لأنني لا أعرف عن مواقعهم شيئا، فالذاكرة أصبحت مثل «الغربال».

زيد الرفاعي:

ومن أشهر مواليدي أولاد رئيس الحكومة ـ آنذاك ـ إبراهيم باشا هاشم.

وفي وقتنا الحاضر ـ بلا شك ـ السيد زيد الرفاعي «رئيس الوزراء الأسبق» وإخوانه وأولاد أخواله.

وبالنسبة للسيد زيد الرفاعي، فقد كانت ولادته سهلة وإطلالته توحي بالزعامة، وهذا ما قلته لعقيلة المرحوم سمير الرفاعي، الذي كان يعمل وقتها سكرتيرا لرئيس الحكومة، وقد كانت العائلة تسكن في جبل عمان.

كلوا.. واشربوا:

عندما ولد أشقاء السيد عاكف الفايز الأربعة (طراد المستشار الإعلامي برئاسة الوزراء، طلال ـ رجل الأعمال، ومنصور رجل الأعمال وشقيقتهم).

ليلة في السجن:

حبي لعملي ولمواليدي، جعلني دائبة السعي مثل نحلة «نشطة» وهذا ما كان يقولونه لي. وقد حدث أن قادني هذا السعي إلى السجن، ولكن ـ كقابلة ـ لا كسجينة ـ بالطبع ـ حيث ذهبت وقضيت ليلة كاملة لأساعد سجينة كانت حاملاً.. ولن أنس تلك الليلة!!

أما عن المتاعب التي واجهتني فهي كثيرة. وكثيرة جدا. . لكني سأختصر ما أمكن.

في السابق كان الطب محدودا ومحصورا بالنسبة لما هو عليه الآن. لهذا كانت التكهنـات والاجتهادات حول المشاكل الصحية، وخاصة تلك المشاكل التي لها علاقة بالأوضاع العائلية والاجتماعية.

إحدى العائلات مثلا كنت أقوم بإجراء الولادة عملية الولادة للزوجة وفي كل مرة كان المولود يلد مشوها ويموت وبقي الحال لثلاث ولادات متتابعة.

أخت الزوج لم تكن على وفاق مع زوجة أخيها وكان بينهما كره وعداء فبدأت هذه الأخت تكيد الدسائس وتحيك المؤامرات لدفع أخيها إلى طلاق زوجته واتهامها بسبب تشويه الجنين.

وقد رأيت ذلك قد أوشك على الوقوع فلم يرض ضميري، ولم أستطع السكوت فتدخلت شارحة الوضع، ولك أن تتخيل السبب أنه الزوج (الرجل) المصاب بمرض (السفلس) وليس الزوجة البريئة، ولله الحمد فقد تعالج زوجها وأنجبا أطفالاً أصحاء وهم الآن في مراكز مرموقة.

الأسئلة كثيرة والقضايا والمواقف لا تنسى!!

وماتت بين أصابعي:

مرة، وبينما كنت أقوم بتجهيز نفسي لتوليد إحدى السيدات وكان الوقت ليلا وإذ بالسيدة تصرخ بألم وما كدت أصل إليها وأجعلها تنام على السرير بالشكل المطلوب وفجأة توقف الزمن أو هكذا شعرت وإذ لا حراك ولا صوت.

الخوف والألم تسيدا الموقف وامتلأ صدري بالرعب وأنا أرى شباب السيدة يموت بين أصابعي بسبب مرض القلب الذي كانت مصابة به.

ونسيت إنني حامل:

قلت إنني تزوجت مبكـرا فلم أنجب وكـان زوجي يريد أن يتزوج علي لهذا السبب. أذكـر في بيت (مـا) كانت ثمة امرأة تسكن الكروم النائية احتاجوا لمرأة تساعدها قضيت الليل عندها وفجأة بدأ الطلق عندي وكانت قارئة الفنجان قد أنبأتني سرا وقالت «شجرتك حاملة» ولم أصدق ولكن ها هو الطلق يأتيني في بيت السيدة، ومع تنفس الصبح كانت ولادتي الأولى وكان الطفل ولد «سباعي» فعاش ثلاثة أيام فقط ومات ثم أنجبت أولادي معاوية ومعاذ وآخرين.

أول مواليدي وآخرهم:

سنة ١٩٢٨ خرج على يدي أول مولود بعد احترافي مهنة القبالة وكانت أنثى واسمها سعاد محمود، أما آخر مواليدي فقد كان يوم ١٨/٧/٧٨ وهو حفيدي أنس نجـل ابني معـاوية. حقيقـة لا أستطيع حصر عدد مواليدي فكما ترى هذه ثلاثة سجلات ممتلئة بالأسماء منذ أواخر العشرينيات وحتى تقاعدي الذاتي عام ١٩٧٥.

هذه الأوسمة:

صحيح أنني لـم أرتد الحلي الذهبية مطلقا وطيلة حياتي إلا أنني ولله الحمد حصلت على أرفع الأوسمة وهي زيارة الرسول ﷺ وأداء فريضة الحج لثلاثين مرة، كذلك حصلت على وسامين ملكيين أحدهما قدمته لي جلالة الملكة نور الحسين والآخر من جلالة المغفور لها الملكة علياء.

رحلتي كانت شاقة:

لقد واجهت التعب الشديد والعناء وحملت فوق كاهلي سنوات من الكد ولو سألتني عن أبنائي وأحفادي فأنا لا أتمنى هذه المهنة لأحد مع ذلك فقد لقيت أكبر حب في حياتي حيث كانت الأسر والعائلات تعتبرني منها وإليها والأبناء ـ مواليدي ـ

كانوا يعتبروني أما لهم وأنا فخورة لدرجة أنني أرضعت طفلة رفضت صدر أمها لمدة أربعين يوما إنه الحنان يا بني.

أكتافهم ضخمة:

من الحالات الغريبة التي واجهتها في حياتي العملية إحدى السيدات وكانت تعمل مديرة مدرسة أنجبت بنتا ضخمة، وعندما حاولت توليدها اكتشفت أن أكتاف المولود ضخمة فلم تستطع النزول بسهولة، وكان لقوة إرادتي الدور الأكبر في الخروج من الموقف الحرج، كذلك واجهتني مئة حالة أُخرجوا من أرجلهم.

ولا فرحة للبنات:

عقلية الناس لم تختلف كثيرا عما هي الآن، فقد كنت أرقب الأسى يرتسم على محياهم عندما يبشروا بمولود أنثى، وهذا الموقف كان يؤثر على كمية الحلوى التي توزع على المدعوين وكذلك لباقي أصناف الطعام.

وعلى العكس عندما يأتي المولود ذكر تقام الأفراح والليالي الملاح وكانت النساء تغني:

ولدت وقامت وسيد الصبايا جابت

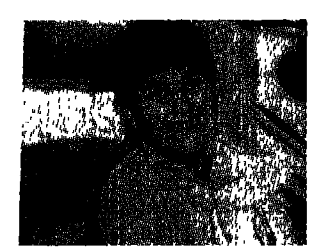
ونحن نضحك من قلوبنا.



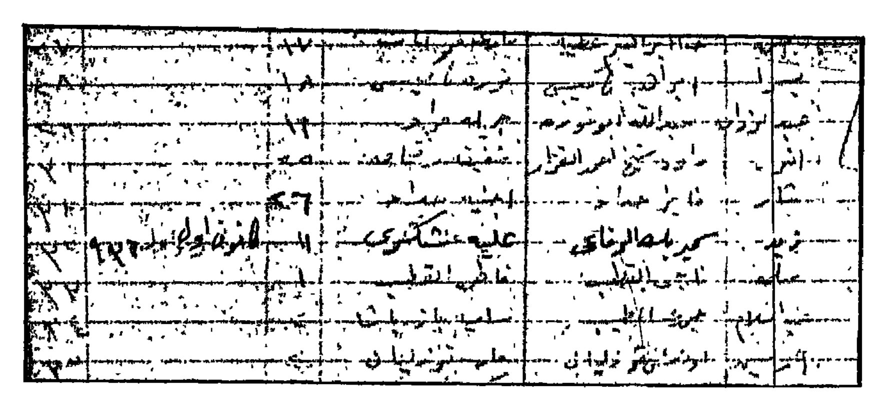
أنيسة شقير أول قابلة في الأردن



تسجل بيدها أحد المواليد



أنس شقير آخر المواليد



صورة من دفتر المواليد ويبدو اسم السيد زيد الرفاعي

توفيق مرار

«السفر إلى الماضي، البحث عن دهاليزه عن بقع مضيئة، اكتشاف الجانب الآخر من النفس الإنسانية، تلك كانت «أدواتي» للوصول إلى جيل الرواد في المجالات الأخرى.

محطتي الأولى كانت مع المهندس توفيق مرار (٧٥) سنة وأول مهندس في الأردن، وأول نقيب للمهندسين وقائمة «الأول» حتما تطول. رحلت معه إلى البدايات التي أسست ملامح مهنية «الهندسة» أردنيا. تجولت في مغارات الصدق والتقطت بالقلم ما لم تستطع الكاميرا أن تراه.

رحلة موغلة داخل رجل اختلطت ذكرياته بمكونات البناء، وعرق العمال الذين أنشأوا اللبنات الأولى لعمارات عمان.

تركته يتحدث، ـ فهؤلاء الرجال ـ عندما يقودون «سفن الماضي» ينسون سهول الحاضر ويجعلونك أسير ذكرياتهم الحميمة».

الهندسة ولدت غريبة:

ولدت عام ١٩١٣، زحفت فوق أرض الطموح محاولا استحضار المستقبل بأقرب «وقت» حتى تخرجت عام ١٩٣٩ من جامعة الهندسة الأفرنسية (معهد الهندسة العالي) التابع للجامعة اليسوعية بلبنان. عندما عدت إلى الأردن لم يكن ثمة مهندسين، حتى مهنة الهندسة لم تكن معروفة وكان هناك «خلط» بينها وبين المهن الأخرى، فبعض الناس يستهجن «دراسة الهندسة» وعندما كنت في الجامعة سألوا أمي ماذا يدرس ابنك، ولما أعلمتهم بالهندسة، قالوا لها كيف يدرس الهندسة

وعمال البناء لا يجدون عملا.

كل من حمل «متر بناء» كانوا يسمونه مهندسا، هذه النظرة جعلتني أشعر أن علي أن أشق الصخر كي أقنع الناس بمهنة رائعة عشقتها طوال حياتي.

أذكر أنني كنت المهندس الوحيد في الأردن ومعي مهندسون من فلسطين وسوريا، منهم السيد عبد الرحمن غريب الذي كان يعمل مديرا للنافعة (وزارة الأشغال العامة ـ حاليا ـ). وكان مستعارا من حكومة فلسطين وله الفضل في تأسيس دائرة الأشغال العامة، فقام باستقدام بعض المهندسين من سوريا ولبنان لإنشاء ذلك.

أيضا كان بالأردن المهندس صبحي كحالة ومجد الدين الجابري والأول ـ كحالة ـ كان وزيرا للفرات في سوريا ثم تقاعد.

عملت في «النافعة»:

في شهر تموز عملت في وزارة الأشغال العامة التي كانت تسمى (النافعة) ثم أصبحت وزارة عام ١٩٤٠ وترأسها علي باشا الكايد. مر شهران على عملي في الوزارة ثم عينت مهندسا للواء عجلون وهذا يحدث لأول مرة.

من عجلون إلى (إربد) التي قضيت بها سنوات ثلاث حتى عام ١٩٤٢ ساهمت خلالها بإنشاء طريق حيفا / بغداد، ومخافر للبلدية وكذلك قمنا بإنشاء وصيانة المباني الحكومية.

من إربد إلى عمان حيث تم تعييني مهندسا للواء البلقاء ورئيسا لشعبة الفن بالوزارة. وهكذا تدرجت في المناصب الحكومية حتى بلغت (وكيل وزارة الأشغال العامة) وتركت الخدمة أواخر عام ١٩٤٩، ودخلت ميدان العمل الحر.

عملت في بداية الأمر في تعهدات شركة (التابلاين) وساهمت بتأسيس الطرق

في الأجفور وكذلك قمنا بشق الشوارع وتعبيدها وبناء المدارس والمستشفيات في المنطقة.

وكنت من أوائل الذين أحضروا الآلات الثقيلة إلى الأردن بعدما كانت من اختصاص الحكومات والدول. وقمنا بتنفيذ المشاريع المبكرة للفوسفات في (الرصيفة). ونفذنا تحويلة طريق العقبة وجزءا من طريق عمان القدس.

وبالتعاون مع شركات إنجليزية أنشأت سد وادي شعيب والكفرين، كما قمنا بتعلية جوانب قناة الغور الشرقية، وأحضرنا المتعهدين الذين أخذوا على عاتقهم إعادة بناء الخط الحديدي الحجازي بين معان والمدينة المنورة حتى أفلست الشركة في بريطانيا وأوقف المشروع.

حياة شاقة:

حياة المهندس كانت صعبة جدا، لأنه لم يكن يعرف مهنته أحد، فكانوا لا يميزون بين عمله وعمل المساح والبناء والمراقب وفي نظر الناس كل من كان يحمل مترا صار مهندسا.

دعينا للاشتراك في لقاءات عربية للهندسة في الأسكندرية عام ١٩٤٥، وعندما وصلتنا الدعوة باسم النقابات والجمعيات ـ ولم يكن وقتها نقابات، فذهبت ضمن وفد أردني عام ١٩٤٦. بعدها عدت بفكرة (الجمعية).

كنا ثلاثة ومهندس البلدية فقط. وفي العام التالي زاد العدد في عام ١٩٤٨ وتحديدا في السادس عشر من أيار جاء المهندسون الفلسطينيون ـ بسبب الاحتلال التهجير، ودعوتهم إلى بيتي وتشكلت الجمعية بعدما حصلنا على ترخيص لها من المرحوم صدقي القاسم محافظ العاصمة آنذاك.

أول نقيب:

كانت مهمة الجمعية حماية لقب المهندس والتعريف به، وفي عام ١٩٥٣ صدر

أول قرار بمزاولة مهنة الهندسة، وفيه تحدد لقب المهندس وكيفية الاعتراف به.

ثم بدأنا نفكر بإنشاء نقابة للمهندسين حتى صدر قانون النقابة عام ١٩٥٨ وضم مائة مهندس، وكان لي شرف رئاسة أول نقابة للمهندسين تنشأ في الأردن حتى أواخر عام ٦٢.

وبطبيعة الحال لم تكن إجراءات البناء صعبة كما هي اليوم، فلم يكن هناك لزوم لخارطة البناء أو المخطط، وكان يكفي عمل أي رسم لأخذ الرخصة دون التقيد بالمخطط. وقد كان أغلب الناس يرسمون مخططهم على «ورقة كيس أسمنت».. تخيل!

أول مشروع.. وأول أجر:

وهكذا حدث التحول الاجتماعي. فبعد أن كانت المشكلة إقناع الناس بمهنة الهندسة، أصبح هناك الاهتمام الاجتماعي بالمهندس وصار كل واحد يهمه نجاح ابنه كي يصبح مهندسا وصارت محط آمال الأهالي.

أما أول مشروع قمت بتنفيذه ـ كان للسيد صبري الطباع، وهو مشروع بناء مخازن، وقد منحني يومها (خمسين دينارا) وذلك عام ١٩٤٣.

وأول أجر تقاضيته من الحكومة عندما عينت في الدرجة السادسة كان (٢١) دينارا وذلك عام ١٩٣٩، ثم زاد المبلغ عندما صرت مهندس لواء في الدرجة الخامسة ووصل (٢٦) دينارا و (٣٢) في الدرجة الرابعة. ويوم صرت وكيلا للوزارة عام ١٩٤٨ كان أجري (٤٨) دينارا، في الوقت الذي كان راتب الوزير فيه (٦٠) دينار، ورئيس الحكومة (١٢٠) دينارا.

تغذيت بسبعة قروش:

وعلى ذكر (الفلوس)، أتذكر عندما تم تعييني في إربد، كان الناس ينظرون لموظف الحكومة نظرة احترام وإكبار، لأن موظفي الحكومة ـ والكبار منهم ـ كانوا

يعدون على أصابع اليد الواحدة.

كنت أعزبا يومها، وعندما دخلت أحد المطاعم قلت سوف (أبذر) هذا اليوم مثل الشباب.

اجتمعت على مائدتي عدة أصناف من الطعام اللذيذ، وبعد أن ملأت معدتي، طلبت الفاتورة (بكل ثقة)، ودفعت (سبعة قروش) هي قيمة الغداء الفاخر الذي التهمته واعتبرت نفسي (مبذرا).. آنذاك!!

«بالكريك» و «الطورية» فتحنا الطريق:

طبعا لم تكن الآلة المستخدمة وقتها متطورة كما هي الآن. فكنا نستخدم «الطورية والفأس والمجرفة والمهدة» وعربة اليد حتى دخلت الآلة في أواخر الخمسينات.

كذلك أجرة العامل كانت لا تتجاوز الـ (٨) قروش. وعندما كنا نعمل في طريق «الموجب» في سنة قاحلة (محل شديد)، حيث المجاعة تسري في عروق العالم. تشكلت لجنة من المتصدقين والأمن العام والأشغال والزراعة لإحضار العمال كل خمسة عشر يوما (فوجا) لتشغيلهم، وكان العامل يأخذ أجرته (خمسة قروش) تدفع له قمحا لعدم وجود النقود (الزمن عام ١٩٣٥).

بدأنا بتكسير الصخور (بالمهدة) و (الميل) و (البارود).. وذات يوم وأثناء انغمارنا بالعمل الشاق، اكتشفنا جثث أربعة عمال، وبعد تشريح الجثث اكتشفوا أنهم ماتوا من الجوع، لأنهم لم يستطيعوا الصبر حتى نهاية اليوم الخامس عشر (موعد استلام الأجرة ـ قمحا ـ).

اشتريت راديو:

أثناء تنقلاتي احتجت إلى (راديو) لسماع الأخبار والأغاني، فاشتريت أول مذياع في حياتي عام ١٩٣٩، وكنا لا نسمع سوى إذاعة لندن. وكان ثمنه (١٢) دينار

دفعتها على أقساط متباعدة.

من الـذكـريات البـاقية، أذكـر عنـدما خرجت من إربد في الخامسة صباحا للإشـراف على (صبـة باطـون) جسـر «زقـلاب» وعندما تأخرت على زملائي في المسكن، أرسلوا الخيالة للبحث عني حتى وجدوني وسط (جبلة الباطون) وحولي العمال نحاول إنهاء الجسر قبل الليل.

عمـال ـ تلك الأيام ـ كانوا أكثر تحملا للضنك والتعب من عمال هذه الأيام، رغم البؤس وقلة الأجر. وكانوا منضبطين في عملهم وبقوا معي حتى انتهينا من صب الجسر تماماً.

إنجازات الأمس.. واليوم:

طلب الأهـالي وفي أكثر من بلدة تعبيد الطرق الموصلة إليهم، وكانوا ينظرون إلينا بإعجاب.

نحن بدورنا طلبنا منهم تجميع الحجارة في الأماكن التي تغرّز فيها السيارات (طـريق ناعـور) و (طريق وادي السير)، (طريق إربد / جرش) (عجلون / عنجرة) وغيرها، بدأوا يجمعون الحجارة ونحن نعبد لهم الطرق ونفتحها وكم كانت فرحتهم لذلك الإنجاز!

وعلى ذكر الطرق، تحضرني الآن حادثة، عندما تعطلت السيارة بنا في جرش، مما اضطرني للسير على الأقدام ولمدة ثلاث ساعات بين الثامنة والحادية عشر ليلا، حتى وصلت إربد.

ومن المشـاريع التي أنجـزنـاهـا (كلية الفـرير) ومجمـع (راهبـات الـوردية) و (مستشفى السـل) في الأشـرفية (دار الممرضات) ومستشفى (الأفرنسي) والشيخ جراح بالقدس، وملجأ العجزة في أبوديس بالقدس.

بالإضافة لمخافر الأمن العام في (كريمة) و (عجلون) و (المفرق) وغيرها.



توفيق مرلر



حفل توقيع عقد إعادة تسيير الخط الحديدي الحجازي عام ١٩٦٣ .

جريس هلسة

كل مشروع جديد يبدأ من حلم في المخيلة، وكل شخصية ناجحة تولد معها ملامحها منذ الصغر.

هكـذا كان مشـروع مدرسة المطران التي افتتحها المغفور له جلالة الملك طلال عام ١٩٣٧.

وهكـذا بدأت رحلة السيـد جريس سلامة هلسة القادم من قرية في محافظة الكرك ليقود مسيرة العلم في أول مدرسة ثانوية في عمان.

منحه جلالة الحسين وسام الاستقلال من الدرجة الأولى لعطائه الطويل، سعينا إليه في نفس المكان الذي أفنى فيه شبابه والتقيناه بين الذكريات.

ولدت في محافظة الكرك وتحديدا في قرية «حمود» عام **١٩٢٢**، وتعلمت في مدرسة صغيرة، بعدها انتقلت إلى مدرسة الكرك الإعدادية.

وفي عام **١٩٣٨** انتقلت إلى مدينة السلط وأكملت الدراسة الثانوية فيها وكان ذلـك عام **١٩٤٠**، وحصلت على «المتـرك» ثم قدمت طلبا للجامعة الأمريكية، وشاءت الصدف أن أعمل في مدرسة المطران عام **١٩٤٣** معلما لمادة العلوم في الوقت الذي كانت فيه المدرسة الثانوية الوحيدة في عمان.

عام **١٩٥٦** ذهبت إلى أكسفورد وحصلت على دبلوم التربية، ثم رجعت مديرا لهذه المدرسة في نهاية **١٩٥٧** ولا أزال فيها.

رغبة الأهل:

والدي كان فلاحاً، يعمل في الزراعة، وكان متشوقا لتعليم أبنائه.

أخوتي: الأول تخرج من جامعة القاهرة وحصل على شهادة في الحقوق وهو الآن رئيس النيابات العامة لمحكمة العدل العليا.

لي أخت حاصلة على شهادة جامعية في بيروت «كلية الآداب» وهي موظفة في وزارة التربية والتعليم.

تزوجت سنة **١٩٤٤** في بلدة الكرك وسكنت في عمان ولدي ابن مهندس في وزارة الأشغال وطبيب أسنان في القوات المسلحة وعندي ابن يعمل في المواصلات وابنة تعمل في دائرة المطبوعات، كلهم جامعيون.

في سنة **١٩٥٢** ترشحت للانتخابات النيابية عن الكرك وكان النجاح حليفي، حيث فاز كل من المرحوم السيد هزاع المجالي، والسيد أحمد الطراونة وأنا عن الكرك.

في أوائل الأربعينات كان الطلاب متأثرين بالنزعة الفردية والعشائرية، ولذلك كانت تواجهنا صعوبات في أن يكون ولاؤهم للوطن وخدمته، وقد نجحنا في ذلك نجاحا باهرا، حيث قسمنا الطلاب إلى أربع فرق كل فرقة أخذت شعار لون من ألوان العلم الأردني.

الحسين ورفاقه:

من خلال هذه النشاطات والرحلات إلى الأماكن الأثرية والسياحية تعرف الطلاب على الأردن وأصبح ولاأهم لبلدهم.

وأذكر أن قسما من هؤلاء تولوا مناصب رفيعة في الحكومة والقوات المسلحة منهم: سيادة الشريف زيد بن شاكر والسادة زيد الرفاعي والدكتور زهير ملحس وينال

حكمت ومروان القاسم، واللواء جلال خوتات وبعض كبار الأطباء في القوات المسلحة.

حظيت بشـرف تدريس جلالة الحسين مادة العلوم في الصف السابع حسب التسمية القديمة.

كان جلالتـه يختلط بزمـلائه وكان يداعبهم ويقول: «عندما أصبح ملكاً سأعين قسما منكم في وظائف مرموقة»، وكان متسامحا وكريما ومتواضعا ويحضر من بيته في جبل عمان المتسأجر في ذلك الوقت إلى المدرسة مثل أي طالب آخر.

وكان مصروفة اليومي لا يتجاوز القرشين.

كان بعض الطلبة يطلبون منه ويعطيهم المصروف. كان يحترم معلميه، ونحمد الله أن الأردن في عهده قد أصبح في طليعة الدول النامية.

بالنسبة لجلالة الحسين، لم يعط أيام كان تلميذا في المدرسة أي معاملة خاصة تميزه عن زملائه، وأذكر أن سيادة الشريف زيد بن شاكر كان يجلس وجلالة الحسين على مقعد دراسي واحد.

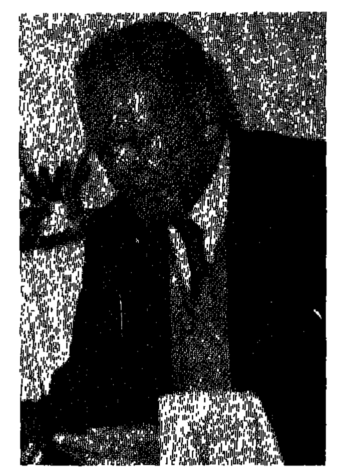
أوسمة:

عام ١٩٥٩ زار الحسين المدرسة وتفقد الصفوف والمختبرات واستقبل استقبالا حافلا من الطلبة وقدم هدايا لبعضهم.

وفي الثالث عشر من تشرين الثاني ١٩٧٥ وبمناسبة بلوغ جلالته الأربعين، أنعم على مدرسة المطران بوسام الاستقلال من الدرجة الأولى.

وها نحن نحتفل بتخرج الفوج الخمسين والذي رعته سمو الأميرة بسمة مندوبة عن جلالة الحسين.

وقد تم تكريمي وشرفوني بمنحي وسام الاستقلال من الدرجة الأولى، وهو ما أعتبره وساما وتكريما لكل العاملين في مهنة التعليم.



جريس هلسة



الحسين مع الهيئة التلفزيونية عام ١٩٥٨

الحاج حمدو الأنيس
أبو الراغب

شيخنا يتمتع بذاكرة مليئة بالأسماء بعض أصحابنا ترك الدنيا وبقي آخرون.

الحاج حمدو الأنيس أبو الراغب عتيق مثل سنديانة في بلدي. له يدان كريمتان تمنحان الفقراء والمحتاجين وتجزلان بالعطاء، بنى مسجدا في السلط ومبرة ومدرسة وعائلات تعيش من كرمه.

حين ذهبت إليه في أطراف العاصمة وجدت رجلا كبيرا في ماضيه وحاضره. شديد اليأس في ماضيه قدم تضحيات من أجل الوطن ومن أجل الشرف، وحاضره امتداد لذلك الماضي.

وهذا فصل من تاريخ الأردن عبر ذاكرة الحاج حمدو أبو الراغب:

رد الوهابيين:

ولدت في السلط عام ١٨٩٨، أي أن عمري الآن ٩٣ سنة. والدتي شركسية واسمها «مولاخان» من دار نغوي.

كان لجدي المولود في حماة عام ١٨١٦ ستة أولاد من بينهم والدي أنيس الذي انتقل إلى عمان وتزوج أمي كان يعمل في التجارة. تعلمت عند الشيخ خلف (من برقة / نابلس) حتى صار عمري ١٢ سنة ومنذ عام ١٩٢٢ وأنا في خدمة العائلة الهاشمية.

قدمت روحي فداء للوطن والتاج الهاشمي، وحدث هذا عام ١٩٢٧ حين

خرجت من بيتي ووجدت الناس في السوق (وسط عمان) سألت عما حدث، قالوا: إن السعوديين لاحقوا الأشراف إلى خارج الحجاز. كان من بين الواقفين الحاج محمد سعيد حلاوة والحاج سليمان البلبيسي وفريد الحلو. وكانوا يصرخون: النجدة، راحت البلاد. فزعنا (الشراكسة والشوام والقيسية والكسوانة) وتجمعنا في المساء، وكان معنا (٨٠) خيالا ومع كل واحد بارودة ومسدس. وتحركنا من (طلعة المصدار) والناس تصرخ:

«ذبحوا أهل أم العمد وأهل حسبان وهم في الطريق إلى عمان». وصلنا منطقة «أم الحيران» أخذنا ننظر إلى بعضنا (مجيد نغوي، عليم حداد، محمود بيجغا وأنا) جئنا لندافع عن بلادنا وليس للنزهة.

ودارت المعركة مع الوهابيين في «خريبة السوق» وكانت معركة شرسة سال فيها دم كبير. استشهد بشير الحويان و ٧ من الدبابية والشوابكة.

الراية البيضاء:

كان الوهابيون ١٨ ألف شخص فوق ١٨ بيرقا بقيادة «ندا بن مهير» واستبسلنا وسحقناهم في موقعة خالدة.

كان لبني صخر الدور الكبير وكذلك الشؤم والشركس في المعركة. وأبدع مجيد نغوي في القتال وكان يصرخ راحت البلاد. وقتلنا منهم ثلاثة آلاف رجل.

تعدينا «الرجم الشامي» وكان الرجل منهم حين نصيبه يطير فوق ناقته على ارتفاع متر ويقع صريعا على الأرض من شدة بأسنا. كنا فوق الخيل وكانوا فوق الجمال، وكان وضعنا أفضل بقينا نقاتل بضراوة حتى وقف شبلي بشارة فوق دبابة وصاح بأعلى صوته، سمو الأمير عبدالله يقول لكم: يكفي.

وأخذ رجاله يطلقون الرصاص بالرشاشات حتى عزلونا عنهم، عدنا ومعنا ٢٨ أسيرا أخذتهم جماعة «قبلان الحمد».

اجتمعنا في عمان «علي باشا الكايد كان يعمل مأمور تسوية بالأراضي ومجيد نغوي وعليم الحداد وخير الله أبو دايخ وسليمان الخيبر وأحمد أبو خيشة من جماعة الأمير شاكر وعبدالله العرعير، وحميد الهيري وأنا».

وفي اليوم التالي ذهبنا نهنىء سمو الأمير عبدالله الذي كان حنونا وعطوفا.

قد يتساءل البعض لماذا لم يشارك الجيش في معركتنا مع الوهابيين والحقيقة أن قائد الجيش الأردني وقتها كان بيك باشا ومعه برود هيرست. وعندما أعطى الأمر لهم بالتحرك رفضوا، لأن الأمر لم يأت من بيك باشا قالوا إنه ذهب للصيد مع برود هيرست ـ وهكذا دخلنا المعركة التي نجوت منها بصعوبة.

الحدث الثاني:

حدث آخر في حياتي الحافلة.

أذكر في شهر تموز عم **١٩٣٣** كنت في مكتبي وعندي صبري الطباع وتوفيق الجندي يشربان القهوة ونتحدث. جاء عبدو أبو شام وقال: يا أبا السعيد، أخول فارس قتل. وأضاف: قتله ضابط كبير وحامل نياشين.

عندها قفز صبري الطباع وذهبوا إلى الشرطة (كانت مكان البنك العربي بوسط البلد).

قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله. كان المسدس في جيبي وذهبت، رأيت حلقتين من الشرطة حوله.

وفي لحظة، اقتحمت الحلقتين وبسرعة كان شعر رأسه بيدي اليسرى واليد الأخرى كانت تضع المسدس في فم مدير الطيران الذي قتل أخي.

وعلى الفور سقط وسقط تحته «عبد العايش».

نظرت إليه لم يتحرك، تركته، وذهبت إلى الأمير عبدالله لكي أحتمي به. سرت حتى «موقع أمانة العاصمة» وكان رجال الشرطة خلفي يطاردونني. ومن مكان إلى

مكان حتى وصلت «سوق الخضار» دخلت إلى بيت أرملة عبد العزيز أبو قورة، كانت البيوت قديما بسقوف واطية، فوقعت بين يديها أرتجف، فأحضرت «طاسة الرعبة» وسقتني إياها، وأجلستني وأغلقت الشبابيك والباب دوني.

جاء ولدها وقال لها: حمدو الأنيس انتقم لمقتل شقيقه قبل أن أصل إلى منزل السيدة كنت قد لقيت شرطيا اسمه «يوسف» قلت له وأنا في الطريق: أنا قاتل اثنين ابعد عن طريقي. قال: لن تمر وفتح حزم سلاحه فخرجت مني طلقة أردته قتيلا.

بهجت طبارة:

كان قائد الأمن العام وقتها بهجت طبارة حاصروا المنطقة وفتشوها بيتا بيتا. وكان مدير الشرطة السيد راضي عناب، الذي رفع طرف الشباك وشاهدني. وقال: «ما في حدا» وطالب الشرطة بالتفتيش في الغرف الأخرى.

أحدهم حاول أن يشي بي، وبت ليلتين في منزل السيدة أبو قورة وفي الصباح التالي جاءني صبري الطباع وعادل العظمة وأبو صلاح الشريجي ومثقال الفايز.

قالت السيدة: ليس عندي أحد.

قالوا لها: لقد جئنا لأجله.

دخلوا وسلموا علي وقالوا: أخوك على قيد الحياة وأنت قتلت الحكومة والعفو غير ممكن.

وأشاروا إلى أن الحل في السفر إلى السعودية. تلك الليلة جاء أربعة مسلحين من الشركس. وحضرت زوجتي ومعها سلاحي (بارودة ومسدس).

قلت لزوجتي: أنت امرأة شابة وأنا على باب الله. وخيرتها بين الاستمرار معي وبين حريتها الاجتماعية.

أحضرت المال (٤٠٠ ليرة ذهب عصملي). قلت لها: أعطني ٦٠ ليرة ذهبية والباقي يظل معك لتنفقي على أولادك (ولدان).

مشينـا ليلا حتى سوق الخضار المركزي بالوحدات حاليا، وجدنا سيارة فيها مثقال الفايز. وذهبنا إلى أم العمد ونزلت في خيمة «عواد الرديني» وأكرمونا. ركبنا بالمقعد الخلفي وسرنا نحو القريات، ووصلنا في الصباح عند أمير المنطقة.

رحبوا بنا وسعدوا بلقاء الشيخ مثقال الفايز وأرسلوا برقية لابن سعـود الذي طلب إكرامنا والمحافظة علينا.

وعاد الركب وبقيت في قصر الأمير عبد الواحد الذي احترمني ورعاني لشهر كامل. ثم طلب أن أذهب إلى عبد العزيز السديري.

كان السعوديون لا يحبون الشوارب. وذات يوم كنت أصلي معهم في المسجد، وعندما رأوني بـ «شنب» تركوني لوحدي.

بعـد شهـور أربعـة جاء الأمر بالعودة إلى «القريات» من منطقة سكاكا حيث ذهبت.

دخلت القصر ووجدت ثلاث سيارات بها رجال من بني صخر وعانقت الشيخ مثقـال الفايز ومن معه من الشوام والشركس. وطلبوا إعادتي إلى عمان بأمر الأمير عبدالله وصلنا عصرا عند سمو الأمير عبدالله. أدخلوني إليه ركضت وقبلت يديه مرتين.

مسح ذقنه وقال: اسمع يا حمدو. ما فعلته يستحق قطع رأسك أنت قتلت أكبر واحد في الطيران.

قلت: جئت لكي أموت بين قدميك أفضل من أن أموت في الغربة. قال: أنت عندي بمثابة طلال - ابني - والذي يحدث لك يحدث له.

بقيت سبعـة أيام في كنف سمـوه. بعـدها جاء الشيخ فؤاد الخطيب وطارق السوداني (مرافق الأمير عبدالله).

قال: سيدنا يريدك. وطلب أن أرتدي سلاحي. لقيت أحمد الشيشاني ومعه

١٢ رجلا من الشيشان قال سموه: لا أستطيع منحك عفوا مباشرا إلا بموجب القانون.

وأضاف: تنزل إلى السجن حتى تتم محاكمتك، بعدها أصدر الإرادة بالعفو.
قلت لسموه: لا أخلع سلاحي إلا لك.

وضعوني في سجن «المحطة» وأخذوني إلى المحكمة. وحكم علي عارف العنبتاوي بالإعدام شنقا.

قلت له: لي طلب بأن أعدم بالرصاص بدل الشنق، لأن الشنق للكلاب، أما السباع فيقتلونها بالرصاص.

فوافق.

وفي الاستئناف صادقوا على الحكم. كان أهالي عمان يحضرون إلى المحكمة العلنية. كان مدير السجن السيد عادل حلاوة ومعه أبو رفيق من جبل نابلس واتفقا على تبليغي بالحكم الأخير.

أتذكر وقتها بكى «حلاوة».

وبعد ٢٥ يوما من السجن هل العيد - عيد الفطر - وقالوا بماذا توصي في أيامك الأخيرة؟ قلت: أريد رضا الله فقط.

وخرج أهال عمان إلى الأمير عبدالله. قالوا: يا سيدنا غدا يصادف العيد. ورجوه بالعفو عني ووافق سموه وأمر بإخلاء سبيلي.

ركبت الفرس ونقلوني إلى الأمير عبدالله الذي قال لي: أريدك أن تكون عاقلا، وكل ما تحتاجه أنا جاهز له، وألبسني سلاحي بيده.

بحر الذكريات:

ذكرياتي كثيرة ويهمني التركيز على الحدثين اللذين رويتهما فقط.

لا زلت أحتفظ بمسدس قديم منذ عام ١٩١٨ عمره الآن ٧٣ سنة وهو (نمرة

٩) حصلت عليه من الألمان. كان بيتي يتوسط بيت الأمير طلال والأمير شاكر في جبل عمان.

وذات يوم كنت نائما وجاء أحمد أبو خيشة و «عيضة»، دقوا الباب وكان صوت المؤذن يصعد في السماء، قالا والفرحة تغمرها:

الأميرة (زوجة الأمير شاكر) أنجبت ولدا، فأطلقت ٩ رصاصات فرحة بميلاد الشريف زيد بن شاكر.



الحاج حمدو الأنيس أبو الراغب



حمدو أبو الراغب
والقيود في يديه وقدميه

الدكتور
سامي خوري

رحلة طويلة قضيتها مع تاريخ تلخص في رجل عاش مع المرض والألم منذ العشرينات.

إنه د. سامي خوري مؤسس مستشفى فلسطين وأول جراح في الأردن.

ذهبت إليه فاستقبلني على درجات المستشفى الأولى، وطاف بي في جولة عبر غرف العمليات وغرف المرضى. وعندما بدأ يتحدث، لم أكن أريده أن يتوقف، فقد كان حديثا ذو شجون.

ولدت في نابلس عام ١٩٢٢، وبقيت فيها حتى بلغت سن السابعة، ثم انتقلت إلى جنين فالقدس حتى غادرنا عام ١٩٤٨. تزوجت ابنة الدكتور جميل طقطق وأنجبنا ثلاثة أبناء: بنتان وصبي. الكبيران تزوجا وأما الصغيرة فلا تزال تدرس في كندا وسوف تتزوج في الصيف القادم.

درست في مدرسة المطران بالقدس وعاصرت إضراب ١٩٣٦ وما تلاه من أحداث واضطرابات. تخرجت عام ١٩٤٠ واتجهت إلى الجامعة الأمريكية ببيروت لدراسة الطب.

في تلك الأيام كانت حكومة فيشي الفرنسية تهيمن على الوضع في لبنان، وفي آخر السنة كانت الجيوش البريطانية تستعد لدخول بيروت، فعدت إلى القدس.

أنهيت دراستي الجامعية يوم السادس والعشرين من حزيران عام ١٩٤٦، وفي التاسع والعشرين بدأت عملي في المستشفى الحكومي «المسكوبية» بالقدس،

بواجبات بسيطة كخياطة الجروح الصغيرة وتضميدها.

موت في المدينة:

أذكر يوم ۲۲ تموز ١٩٤٦ عندما وقع الانفجار في فندق الملك داود وسقط العديد من القتلى والجرحى، وبقينا أياما بلياليها دون أن ننعم بلذة النوم.

كانت القدس مقسمة إلى مناطق: أ، ب، ج، وكان المستشفى يقع في منطقة (ب) مع المباحث والسجن المركزي.

كنت مع طبيب يهودي نتبادل المناوبة، وكان أصعب شيء أن أعود إلى البيت لكثرة الرصاص وعمليات القتل من كافة الأطراف، نعم كان الموت في كل زاوية بالمدينة.

وهناك لا بد من ذكر نادرتين شهدتهما بالمستشفى الحكومي، حين جاءنا اثنان من اليهود أطلق عليهما النار. عندما أطلقا قنبلة عند سكة الحديد بالقدس. أحدهما كانت يده مكسورة ومعلقة بأطراف الجلد، ولما أردت علاجه رفض، وطلب طبيبا يهوديا. لم يكن لدي وقت للتفكير وصار المهم إنقاذ حياته. ولو أني انتظرت لمات الرجل.

الجريحان حكما بالإعدام، وحضرت محاكمتهما كشاهد في مدرسة (تراسنطة)، وقبل تنفيذ الحكم أحضر لهما حاخام يهودي قنابل داخل برتقال فانفجرت بهما.

أول عملية:

كنت أزور السجن المركزي لرؤية ومعالجة المساجين العرب دون تمييز لأن واجبي فوق أي اعتبار، وأجريت أول عملية وكانت (الزائدة الدودية) لسجين محكوم بالإعدام، وكان يوم الثلاثاء هو اليوم المخصص لذلك. ويوم الإثنين الساعة العاشرة اتصل مدير المستشفى «الإنجليزي» وأخبروني بوجود سجين مصاب «بالزائدة»

وأعلمني أن هذا السجين سوف ينفذ به حكم الإعدام في اليوم التالي.

اتصلوا بي وتم نقله وأجريت العملية في الواحدة والنصف صباحا، وحدث أن كان لهذا السجين شقيقة في قبرص، كانت قد قدمت طلبا لمجلس الملك البريطاني الخاص من أجل العفو عنه.

يوم الحكم جاء العفو، والغريب أن الشخص نفسه نفذ فيه حكم الإعدام بعد ستة شهور، وكانت أول مرة أرى فيها مثل هذا الحكم.

نقلت إلى حيفا للعمل بالمستشفى الحكومي. وهناك شهدت حوادث الموت ليل نهار. وكان من زملائي وقتها السادة: د. شفيق حداد ونمر طوقان و د. نايف حمزة و د. عطاالله شيبان. وبقيت سبعة عشر يوما قبل احتلال حيفا، عندها نقلت إلى نابلس لأرى أسوأ ظروف عرفها مستشفى. لم يكن هناك أدوات جراحة ولا حتى خيطان للعمليات، واستغربت كيف تترك بريطانيا المستشفى بهذا الشكل المحزن.

اليهود يهاجمون سيارات الإسعاف:

عندما كنت في حيفا جاءني هاتف أثناء مناوبتي من السيد أميل بطوجي، وكان يسكن على طريق المستشفى، وحول بيته توجد عدة غرف لليهود. وطلب سيارة إسعاف لإنقاذ امرأة مريضة. اتصلت بقسم (الإسعاف)، فذهب السيد صبحي عزام الذي كان مناوبا بسيارة مع آخر أرمني.

وفي الطريق هاجم اليهود من الغرف القريبة وقتلوا صبحي عزام الذي ذهب لإنقاذ المرأة المصابة. أخبروني بذلك، فذهبت إلى نفس المكان ليتكرر ذات المشهد لكن الله سلم عندما زحفنا على الأرض ومر الرصاص من فوقنا وبغزارة.

عندما صدر قرار التقسيم، خرجت لأشاهد الشوارع وقد غصت بالراقصين في الوقت الذي تدفقت شلالات «البيرة» فوق الرؤوس المائلة.

وفي منتصف عام ١٩٥٠ تركت نابلس بعدما تزوجت للتخصص في بريطانيا. هنا لا بد من أن أذكر أنه لم يكن بالمستشفى الحكومي والإنجيلي الذي كان يملكه والد زوجتي أية أدوات للجراحة، فأرسلوا لنا «خيطان» عادية من يافا لإجراء عمليات الجراحة.

مطران بينطلون «مرقع»:

حياتي في لنـدن، كانت جادة وممتعة، وقد عشت هناك أجمل أيامي، استفدت من خبرة الكبار في مجال الطب والجراحة.

وذات يوم دعاني مطران «أدنبرة» على العشاء، فشاهدت آخر بنطال ارتداه أيام الحرب العالمية وكان مليئا (بالرقع) واستغربت كيف يرتديه، وكان ذلك درسا لي في الحياة.

عدت إلى القدس عام ١٩٥٢، وكانوا قد عرضوا علي رئاسة قسم الجراحة في مستشفى «المطلع» على جبل الزيتون.

كان يأتينا لاجئون من نابلس والجلزون ورام الله والدهيشة. وكنت مسؤولا عن (٩٢) سريرا من (٣٩٠) سعة المستشفى.

عملنا بشكل متواصل في ظل موت لا ينتهي، وكم كانت سعادتي كبيرة عندما خدمت أخوتي اللاجئين وهي مرحلة لا تنسى.

زيارة الحسين:

جاءنا وفد تركي وكان برفقة قائد الطائرة إبراهيم عثمان الذي أصبح فيما بعد قائـداً لسـلاح الـطيران الأردني. وقد وقع حادث لقائد الطائرة وأدخل المستشفى فحضر جلالة الملك الحسين لزيارته في أواخر عام ١٩٥٣. وكانت تلك المرة الأولى التي أتشـرف فيها بلقاء الحسين. ثم تكررت اللقاءات، عندما طلب مني جلالته إجراء عملية بسيطة لسمو الأمير محمد، فحضرت إلى عمان لإجراء العملية.

وذات يوم أرسلوا لي طائرة وكان سقفها من البلاستيك، وأثناء تحليقها فوق الشونة، سمعت صوتا قويا وتوقف المحرك، لنهبط قرب مزرعة موسى العلمي، خفت كثيرا، ولما كان السائق مصابا، سرت مسافة ثلاثة كيلومترات باتجاه الشارع العام حتى وصلت بسلام، وأديت مهمتي في المستشفى الطلياني بعمان.

ميلاد مستشفى فلسطين:

طلب مني جلالة الملك الحسين إجراء عملية بسيطة له في مستشفى ماركا وتم ذلك في غرفة لا تضم سوى سريرين. سهرت مع المرحوم هزاع المجالي حتى أفاق جلالته من «البنج». وتحدثنا حول فكرة إقامة مستشفى، ودبر لي قرضا لمدة عشرين عاما، فكانت بداية مستشفى فلسطين. وهنالك لا بد من ذكر أفضال المرحوم سمير باشا الرفاعي والمرحوم هزاع المجالي ودولة السيد بهجت التلهوني الذين آمنوا بالمشروع وأخلصوا له حتى تم تنفيذه.

أول جراح:

كنت أول أخصائي بالجراحة في الأردن. وأنشأت بنكا للدم، إذ كان قبلها يعطي الدم من سليم إلى مريض مباشرة، وفي عام ١٩٥٥ ذهبت إلى أمريكا لمدة سنة وعملت بالمستشفيات هناك، وعندما عدت إلى مستشفى «المطلع» سنة ١٩٥٦ أجريت أول عملية قلب في تاريخ الأردن بمساعدة زملائي.

ذات يوم أجريت عملية لشاب عمره ثمانية عشرة عاما وكان من اللاجئين، وبعد الانتهاء من العملية، أخذ والده يقبلني وأعلمني أن ولده هو الباقي له من الأسرة التي استشهدت أثر قنبلة أطلقها العدو صوبها وذلك في بلدة «سلمة / يافا».

وأذكر أن الرجل حين قال: إن هتلر أرحم من اليهود، فهو قتل اليهود مرة، لكنهم يقتلوننا كل يوم!!

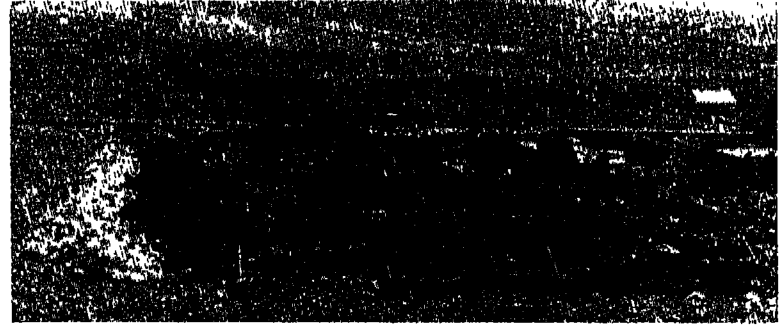
عودة إلى المستشفى:

افتتح جلالة الحسين مستشفى فلسطين في الثاني والعشرين من حزيران عام ١٩٦٠، وكانت الميزة أننا بدأنا بصندوق للمرضى الفقراء، فكنا نجمع التبرعات من الأصدقاء بالداخل والخارج، وساهم جلالته بنصيب كبير. كما استفاد كثيرون من هذا الصندوق. كما نعتز بأن المستشفى شهد ميلاد أصحاب السمو الأمراء عبدالله وفيصل وعائشة وزين.

أنا الآن نصف متقاعد، أجري بعض العمليات للأصدقاء والفقراء، ولم أعد أعمل، فتركت الإدارة لابني نصري، وإن كان لي أن أحلم بعد كل هذه السنوات، فهو أن يلتقي زملاء «نصري» عمل مركز لجراحة يليق بالأردن وتقدمه.



د. سامي خوري



بداية مستشفى فلسطين، ويظهر جبل الحسين في الفراغ المقابل

المهندس سعيد بينو

الهندسة المدنية فن وعلم.

وعندما اخترت ضيفي المهندس سعيد بينو، اخترت حوار الصدق والمنقلة والفرجار والعمل الدؤوب دون انقطاع. تعرفت على خارطة شوارعنا وطرقنا وتاريخ مدينة الزرقاء وصويلح التي كانت أرضها غابة من البلوط والآن صارت غابة من الأسمنت.

إنها رحلة في عقل ووجدان أحد الذين شغلوا وزارة الأشغال العامة وصاحب الفضل في إنشاء شبكة الطرق الأردنية. اليكموه!!

أول شيشاني:

أعتقد أنني من مواليد ١٩٢٧ (سنة الهزة) وتحديدا في فصل الصيف، مع أن تاريخ الميلاد المسجل في جواز السفر هو ١٩٢٨/٢/١٢.

ولدت يتيم الأب الذي توفي قبل ولادتي بأربعة أو خمسة أشهر، فتولى إعالتي وتربيتي أخي موسى، هذا الرجل العصامي الذي كان صبيا عند وفاة والدي، إلا أنه كافح ورعى العائلة المكونة من ثلاثة أشقاء وشقيقة ووالدة، وأمن لها مستوى من العيش الكريم.

كنت وشقيقي أمين أول شيشانيين في الأردن يتخرجان من الجامعة وسبقنا في ذلك غيرنا بسنوات، كما كافحت والدتي التي كانت تتصف بشخصية قوية مسيطرة، فقد كانت رحمها الله تقوم بجانب إدارة الأعمال المنزلية بأعمال الرجال وبخاصة الزراعة حتى أن حقل الكرم الذي تولت بنفسها زراعته كان من أكبر وأحسن كروم

العنب في صويلح قبل أن يتفشى المرض الذي قضى على الكروم في منطقة البلقاء أيام الخمسينيات.

أنشأنا «الزرقاء»:

أعتبر نفسي من الجيل الأول من أبناء المهاجرين الشيشان الذين هاجروا من القوقاز حفاظا على دينهم الحنيف الذي كانت الامبراطوية الروسية القيصرية تعمل على محاربته في الديار الإسلامية التي احتلتها واستعمرتها.

استوطن الفوج الذي وصل إلى الأردن عام ١٩٠٢ وأنشأوا قرية «الزرقاء» ـ وقتها ـ، إلا أن عمي أيوب الحاج عبدالله والذي كان مختارا للعشيرة وكان يسافر إلى السلط لمراجعة الدوائر الحكومية من ذلك المنطلق، وكان يتوقف عادة للاستراحة وتناول الغداء في موقع عين صويلح، وقد أعجب بذلك الموقع المغطى ـ وقتها ـ بغابات البلوط والذي كان يشبه إلى حد كبير بلدته «بينة» في القوقاز.

طلب من قائمقام السلط هاشم بك الأتاسي (الذي أصبح فيما بعد رئيسا للجمهورية السورية) أن يسمح للجالية الشيشانية بناء قرية في ذلك الموقع، فتمت الموافقة ورحلت أكثر عائلات حمولة «بينو» وعائلات أخرى إلى ذلك الموقع وأنشأوا قرية صويلح عام «١٩٠٤».

وكان أول من سكن صويلح من العرب السيدان علي اللوزي (والد السفير حلمي اللوزي) ومفلح العساف. وقد رحلا إلى صويلح ليتسنى لهما صلاة الجماعة في مسجدها وأن يتتلمذا ويتعلما القرآن الكريم والأمور الشرعية.

شجاعة وصدق:

اعتز بجذوري القوقازية، فالشيشان مثل الشراكسة والداغستان وغيرهم من شعوب شمال القوقاز الإسلامية يعرف عنهم الصدق في المعاملة والشجاعة الأدبية والحربية، والكرم واحترام الكبير وكذلك احترام المرأة والعطف على الصغير

والتمسك بالدين الحنيف.

وإن كفاحهم المجيد لأكثر من مائة وخمسين عاما دفاعا عن أوطانهم ودينهم ضد أكبر امبراطورية استعمارية، قل أن يكون له مثيل في تاريخ البشرية.

وقد كانوا بحق كما يقر المؤرخون الأوروبيون الذين وقفوا سدا منيعا أما الزحف الروسي إلى منطقة الشرق الأوسط في فترة كانت فيها الامبراطورية العثمانية توصف بالرجل المريض وامبراطورية فارس لا تقل عنها ضغطا وفسادا.

روابط:

أتكلم الشيشانية، وعندما تيسر الاتصال بالدول التي تعيش وراء ما كان يسمى بالستار الحديدي، بدأت الاتصال والزيارات وإنشاء الروابط مع جمهورية الشيشان، وأقوم الآن بإعداد كتاب عن تاريخ الشيشان، آمل أن أفرغ من الجزء الأول قبل نهاية العام الحالي، كما أسعى مع عديد من العلماء ورجال السياسة ورجال الأعمال وأساتذة الجامعات من عرب وشراكسة وداغستان وشيشان إلى إنشاء جمعية أردنية تسمى جمعية أصدقاء جمهورية الشيشان تهدف إلى التعريف المتبادل بين الشعوب العربية وشعوب الشيشان بشكل خاص وشمال القوقاز بشكل عام، وذلك فيما يتعلق بالتاريخ والثقافة والعادات والقضايا القومية وتشجيع الروابط الثقافية والتاريخية المشتركة وكذلك تبادل الزيارات وتشجيع التعارف والتعاون بين المؤسسات العلمية والثقافية.

خمسة دنانير:

أول مبلغ حصلت عليه كان خمسة دنانير، عندما كنت أعمل مع المهندس جعفر الشامي واللواء المتقاعد عيد المزاهرة أحد الفائزين في مسابعة كتابة القصة، عندما كنت طالبا في ثانوية السلط.

سافرت في بعثة لدراسة الهندسة في العراق عام ١٩٤٦ وكان الفضل الأكبر في

تأمين هذه البعثات للأردن على حساب الحكومة العراقية للمرحوم عمر زكي الأفيوني الـذي كان وزيرا مفوضا للأردن في العراق، وكان رحمه الله بمثابة الأب الحنون لجميع الطلبة، يتفقد أحوالهم ويرعى أمورهم ويقدم لهم العون.

عنـدمـا تخـرجت دفعتنا خمسة مهندسين هم: (عمر عبدالله دخقان، أحمد فوزي، يحيى الخـطيب، إبـراهيم عطور، وأنـا) عام ١٩٥٠، تضـاعف عدد المهندسين من شرق الأردن.

أشغال عامة:

جرى تعييني في وزارة الأشغـال العـامة (المواصلات ـ دائرة النافعة) بتاريخ (١/٨/١٩٥٠) ـ وكـان الـوزير في حينـه المـرحوم أحمد طوقان مساعدا ومتدربا لمهندس لواء البلقاء السيد «أوتو بالمر» الألماني الأصل الأردني الجنسية، والذي كان يمتاز بالخلق والأمانة والإخلاص والجد في العمل.

لعلني ضربت الرقم القياسي في الأردن بطول فترة أشغال منصب وكيل وزارة واحدة بدون انقطاع.

وخـلال (١٣) سنة في هذا المنصب تناوب على وزارة الأشغال (١٣) وزيرا بعضهم شغل المنصب خلال هذه الفترة أكثر من مرة.

جعلوني وكيلا للأشغال:

كان وزير الأشغال عندما توليت منصب وكيل الوزارة المرحوم سليم البخيت، وعندما عرض المنصب علي عارضت باعتبار أن المهندس «أوتو بالمر» أولى مني، إلا أنه استدعى المهندس بالمر وقاما معا بإقناعي على أساس أن «بالمر» لا يجيد القراءة والكتابة باللغة العربية.

كان المرحوم سليم البخيت يتمتع بضمير حي يشعر بالمسؤولية، فتعمق في الأمور القانونية وكان مهذبا عفيفا لا يقبل من غيره أية إشارة أو تعليق فيه مس بمن

سبقوه في المركز، حتى الذين كان يختلف معهم سياسيا، كان يؤمن بنظرية استمرارية الحكم والبناء بالرغم من تغير الأشخاص.

. . وفي مجلس الأمانة:

عملت عضوا في مجلس أمانة العاصمة في الفترة التي كان فيها معالي السيد أحمد فوزي أمينا لها (١٩٦٤ ـ ١٩٧٣)، ولا يسعفني إلا أن أشير إلى الطاقة الهائلة التي كان يتصف بها في تأدية واجباته. وأنه بحق أول من سعى إلى أن تكون عاصمتنا «عمان الخضراء» نظيفة وذات شوارع واسعة وتقاطعات تحل مشاكل ازدحام وعوائق المرور.

عندما كنت أدرس في جامعة واشنطن، عملت فترة في دائرة يتعلق عملها بالجسور، وبدوام كامل خلال العطل ونصف دوام خلال فصول الدراسة، وقامت الدائرة خلال فترة عملي بتصميم وإحالة عطاءات أطول جسرين عائمين في العالم، وجسر ثالث على شكل أقواس من الخرسانة المسلحة، وكمثال على اهتمام بعض دوائر وجامعات أمريكا بدوام روابط الاتصال مع من عمل معها، إنه وبعد عودتي إلى الأردن أرسلت لي دعوات لحضور حفلات افتتاحها، كما أرسلت لي تفاصيل خراب لحق بإحدى الجسرين العائمين نتيجة أمواج غير طبيعية.

كذلك، فإن جامعة واشنطن لا تزال ترسل لي نشرات خاصة بخريجيها وبمؤسسة التفاهم العالمي من خلال الطلبة وبرنامج بحوث كلية الهندسة.

٣٣ مهندسا. . وسيدتان:

مثل آخر على كفاءة الإدارة، كنا في دائرة الجسور المذكورة (٣٣) مهندسا وسيدتان فقط للإدارة، إحداهما تتولى الإدارة والمالية والأخرى تتولى الطباعة والسنترال، أما نحن المهندسون، فكانت مقاعدنا وطاولاتنا من النوع المناسب

لأعمال الرسم، ولم تخصص طاولة عادية إلا لرئيس الدائرة والمستشار الفني الخبير في الجسور.

كنا نقوم بأنفسنا بمسح وتنظيف وترتيب طاولاتنا وأوراقنا وحتى رئيس الدائرة إذا ما احتاج شيئا كان يحضر إلينا ويقف معنا، بجانب طاولاتنا، فيكون بذلك قد قام بمهام المتابعة والاطلاع على تقدم الأمور أولاً بأول.

وهنا لا بد من الإشارة إلى مظاهر البذخ والإسراف في ديكورات وفرش بعض دوائرنا وإلى جيوش مدراء المكاتب والسكرتارية وما شابههم، مما جعل هناك نوعا من الحجاب والعزلة بين المسؤولين والمراجعين.

طرق غير معبدة:

عندما نقلت في (١/٤/١٩٥١) مهندسا للواء الكرك، لم يكن في اللواء كيلو متر واحد من الطرق المعبدة، وقد تطورت شبكة الطرق في المملكة واتسعت كثيرا. فبعد أن كانت أطوال الطرق المعبدة بالضفة الشرقية لا تزيد عن (٢٥٠) كيلو مترا عام ١٩٥١ أصبحت الآن حوالي (٥٧٠٠) كيلو متر من مختلف الأصناف كما أصبحت جميع التجمعات السكانية مربوطة بطرقة صالحة على مدار السنة.

كنت عضوا في وزارة دولة السيد مضر بدران عندما استقالت، وترددت في قبول أي مركز عام، إلا أن قول أخي موسى بأن من يعمل في إرواء العطش لهم أجر كبير، فحتى في حالة التقصير وانسياب المياه من الأنابيب، فإن الطيور والحيوانات البرية ترتوي منها.

كان المخطط الذي وضعته وباشرت بتنفيذه عندما توليت مسؤولية إدارة مؤسسة الشرب، إيصال المياه إلى جميع التجمعات السكانية الأردنية (خارج حدود أمانة العاصمة التي كانت تتبع سلطة المياه والمجاري) في نهاية عام ١٩٨٥.

استغلال الشمس:

من الأمـور التي دعـوت لهـا وبـاشرت بالإجراءات لتحقيقها استغلال الطاقة الشمسية وطاقة الرياح في ضخ المياه في المحطات الصحراوية وقد تحقق ذلك.

كما قمنا بإنشاء محطة صغيرة لتحلية المياه المالحة بما يكفي احتياجات القرى الواقعة في منطقة الضليل واحتياجات مصانع الأسمدة الكيماوية في العقبة وذلك باستعمال طريقة النضح العكسي، بحيث تكون هذا المحطة بالإضافة إلى تزويد احتياجـاتت المياه في إحـدى هذين المـوقعين مركـز دراسـات وأبحاث للتشغيل والصيانة والكلفة بهدف إجراء دراسات الجدوى الاقتصادية للتوسع فيه، لأنني أعتقد بأننا سنحتاج قبل نهاية القرن إلى تحلية المياه لتأمين النقص المتوقع من المياه، إلا أن هذا الهدف لم يتحقق بعد.

كنت عاملاً:

أعتقد أن من أهم الأمور التي كنت عاملا رئيسيا في إثارتها تحقق بعضها ولم يتحقق بعضها الآخر.

من الأمور التي تحققت، تعديل قانون التقاعد المدني بحيث تحتسب لغايات التقاعد ثلثي المدد التي قضاها المستخدمون برواتب مقطوعة.

كذلك تعديل قانون السير بحيث يعطي الأشخاص بعين واحدة رخصة سواقة السيارات، هذا الأمر تحقق ولكن مع قيود لا معنى لها ولا يوجد لها مثيل في العالم.

هناك أيضا، إثارة موضوع الضرر الذي يلحق بشبكة الطرق نتيجة الحمولات المحورية الثقيلة ليس على النطاق المحلي فقط، بل على النطاق العربي، ومع أن أكثر الدول العربية اهتمت بهذا الموضوع واتخذت إجراءات جيدة بهذا الخصوص (مثل السعودية) إلا أن الوضع القائم في الأردن غير مريح.

وعنـدمـا كنت عضـوا في المجلس الـوطني الاستشاري، كنت أنتهز مناسبة

جلسات مناقشة الموازنة لإثارة أمور اقتصادية واجتماعية محددة أصبحت موضوع مناقشات عامة في المجلس ومن أهمها موضوع مواطني الأزرق وفكرة ترحيلهم وموضوع أولويات مشاريع الطرق والسكك الحديدية، وموضوع محاولة الاعتداء على مقبرة صويلح، ومشروع المركز التجاري لبلدية صويلح.

حققت طموحي:

هندسيا وعائليا، أحمد الله أنني حققت أغلب طموحاتي في هذين المجالين. وأبرز إنجازاتي، إنشاء شبكة الطرق الأردنية وصناعة الإنشاءات.

- الهندسة تعني استعمال النظريات العلمية لإنتاج المشاريع.
- كنت الأول في الرياضيات، وكنت سأدرس الحقوق لولا الأستاذ مدحت جمعة الذي شجعني لدراسة الهندسة.
- أنجزت مئات المشاريع الهندسية
- أول مشروع أنجزته تعبيد طريق حاجب الجنوبي / الكرك.
- آخر مشروع، كان مشروع مياه الديسه.



المهندس سعيد بينو



مع جلالة المرحوم الملك فيصل عام ١٩٦٨



طريق كفرنجة ـ عنجرة عام ١٩٦١، العمل كان هكذا



جلالة الحسين يفتتح طريق عمان ـ القدس عام ١٩٦٢

شفيق الخليلي

أول ما خطر ببالي حين توجهت للسيد/ شفيق الخليلي تناول كوب الشاي.

وهذا بالطبع ليس من باب الجشع، بل من باب الفضول لمعرفة طعم الشاي حين تشربه في منزل واحد من كبار تجار الشاي في بلاد الشام.

الحديث عاد با إلى سنواته التي مرت أثناء سعيه لتنمية تجارته ـ المستمرة بإذن الله ـ وصلاته بالشخصيات العامة والرسمية التي عرفها عن قرب.

حوالي الساعة قضيتها استجمع ذكريات الرجل الذي طاف بلاد السند والهند وتوغل في غابات إفريقيا ليقدم لنا ـ في الأردن ـ والبلاد العربية مشروبنا الشعبي الساخن، شاينا الجميل صديق لحظات وحدتنا الباردة.

في البدء.. جرش:

ولدت في جرش عام ١٩١٦ وأكملت دراستي الابتدائية فيها. بعدها درست في القدس في المدرسة الرشيدية وحصلت على الشهادة الثانوية. كان لي شغف بالميكانيك فدخلت مدرسة الصناعة في عمان، ثم طلبوني للعمل في شركة بترول العراق ومكثت في حيفا عامين، نقلت بعدها إلى الإجفايف.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية كنت منحازا للألمان ضد الإنجليز. وبسبب هذا الموقف وقبل انتهاء الحرب استغنت الشركة (البريطانية / الأمريكية) عن خدماتي.

مكثت في عمان في محل لأخي حمدي الخليلي في سوق الخضار ثم طلبتني

دار الاعتماد البريطاني للعمل مع القوات الإنجليزية في العقبة، وكان مركز العمل في وادي اليتم بالنقب.

وبعد انتهاء الحرب، عدت إلى عمان وقررت العمل بالتجارة الخارجية واستعرت دليلا تجاريا وآلة كاتبة من أحد الأصدقاء وباشرت المراسلة من منزلي.

والدي المرحوم محمد الخليلي (من الخليل) كان تاجرا ويساعده أشقائي في العمل، حيث كانوا يتعاملون مع أهالي جرش التي جاءها من دمشق عام ١٩١٠.

كان والدي من رجالات الثورة العربية الكبرى وكان على اتصال بالقيادة العامة في العقبة ومعان.

والدتي شامية وأشقائي خمسة الموجود منهم اثنان وأنا الثالث. كان بيتنا في جرش أكبر بيت هناك وكان مركزا لرجال الحكومة إبان تأسيس المملكة. وقد حضر المغفور له الأمير عبدالله أكثر من مرة إلى منزلنا وعين والدي أول رئيس لبلدية جرش.

وقد حدث أن ألقيت قصيدة أمام الأمير عبدالله أثناء وجوده في بيتنا وأنا بعد ولد صغير: عش هكذا في علو أيها العلم. فإننا بك بعد الله نعتصم. فربت رحمه الله على كتفي وأجلسني إلى جواره.

كما كان يزورنا المرحوم رشيد باشا طليع ورضا باشا الركابي.

وفي تلك الأثناء قامت ثورة الشمال التي تزعمها كليب باشا الشريدة وذهب والدي مع مفرزة القوات المسلحة الأردنية التي رأسها رفيفان باشا المجالي وأنهوا الثورة والعصيان وعادوا.

أذكر عندما عاد سمو الأمير عبدالله من لندن سنة ١٩٤٩ وذهب إلى دار بلدية عمان (في شارع فيصل) واجتمع مع زعماء البلد، كنت أرغب في الحضور إلى هكذا مجالس.

دخلت إلى البلدية ووقفت خلف سموه وكان هتاف الجماهير يشق عنان السماء. خرجت إلى الشرفة وأشرت إليهم بالسكوت وارتجلت البيتين التاليين:

عاد المفدى لواء النصر يحرسه

الله أكبر هذا اليوم مأثور

عاد المليك إله العرش يحرسه

يا عرب ثوروا ليسقط وعد بلفور

فأعجب ذلك سموه وربت على كتفي.

تجارة الشاي:

عملت في التجارة الخارجية وأصبحت وكيلا لعدة شركات عالمية وكانت أول رحلة لي خارج الأردن سنة ١٩٤٩ إلى الباكستان والهند وسيلان وجنوب إفريقيا وتنزانيا وكينيا والحبشة والسودان واستغرقت شهرا كاملاً.

وكانت بهدف تمتين العلاقات التجارية مع مصدري تلك الدول من أصناف المواد الغذائية عموما والشاي بالدرجة الأولى.

وازدهر عملي وكنت أبيع معظم تجار البلد، إذ أنهم لم يكونوا على علم بالمراسلات التجارية في ذلك الوقت.

بدأت من منزلي ثم بدأ التجار يعرفون المراسلات التجارية فتقلص عملي كوكيل تجاري وباشرت العمل كتاجر ومتعهد لعطاءات القوات المسلحة والمؤسسات المدنية والعسكرية لتزويدهم بالشاي ماركة «الولد» المعروفة منذ خمسين سنة.

أجمل كوب شاي:

اختلفت نظرتي لنوعيات الشاي «كمشروب» إذ أنني زرت مزارعها ومصانعها. وشاهدت مراحل تصنيعه من قطف وتجفيف وفرزه إلى (العود والكسر).

أما أجود أنواع الشاي وأغلاها ما يكون في رأس الغصن من الشجرة. وكلما كان مرتفعا عن سطح البحر كما كانت جودته وسعره أعلى.

وهنا، أذكر أن أفضل كوب شاي شربته في حياتي كان في جبال الهيمالايا بالهند سنة ١٩٥٩، وقتها تمنيت ألا يفرغ كوبي من الشاي.

ومن خلال خبرتي في الشاي، تبرز الصين والهند كأكثر دول العالم استهلاكا وبالنسبة للدول العربية فيأتي الأردن خامس دولة بعد العراق ومصر وشمال إفريقيا والسودان.

من رفاقي وأصدقائي العمر المرحوم قاسم الروسان ومصطفى الداود.

موقف صعب:

ذهبنا إلى كينيا (بلد القهوة) ومنعت من الدخول لعدم وجود تأشيرة ولم يكن للأردن سفارة هناك. أكملت الرحلة إلى تنزانيا ومنها بالطائرة ذهبت إلى مدن كينيا ودخلت دون تأشيرة.

وحين توجهت إلى العاصمة علم الذي منعني من الدخول فأرسل يطلبني (كان مديرا للجوازات). غضب حين رآني وهدد بسجني قلت له إنني أخدم كينيا أكثر منك، فأنا أستورد من دولتكم بمئات الآلاف من الجنيهات.

وهنا انفرد وجهه وقال طالما منعناك، كان ينبغي أن تعود وتحصل على تأشيرة. بالنسبة للشعوب الإفريقية والهندية فإنها مسالمة وتحب العرب خاصة عبد الناصر وجلالة الملك الحسين.

موقف آخر:

ضاقت أموري المادية في إحدى السنوات، وكان لدي عطاء لتوريد بضاعة إلى القوات المسلحة الأردنية، وفي تلك الأثناء رفعت حكومة الهند ضريبة التصدير بنسبة خمسة قروش لكل كيلو. وكان ربحي قرشا واحدا للكيلو.

امتنعت الهند عن تنفيذ الالتزام وتغرمت نتيجة ذلك سبعة عشر ألف دينار عام

١٩٦٢ وتضعضعت أحوالي واضطررت للاستدانة لسداد المطلوب مني للقوات المسلحة.

كنت أذهب إلى يافا للعمل في شركة السكب الفلسطينية لأتدرب على الميكانيك. وقامت ثورة ١٩٣٦ وأنا هناك كما اغتيل في حيفا الزعيم الفلسطيني د.عبدالله الخطيب.

مثلي الأعلى:

أهم الشخصيات في حياتي المغفور له سمو الأمير طلال وكان مثلي الأعلى. وقد حضرت حفلة زفافه وكان قد دعاني لذلك. وربطتني به علاقة طيبة حين كان يحضر مع سمو الأمير عبدالله إلى منزلنا في جرش.

أذكر أيام المرحوم سمير الرفاعي قمنا بمظاهرة سنة ١٩٤٨ تأييدا لفلسطين وذهبنا إلى رئاسة الوزراء، وهناك طلع علينا دولة سمير الرفاعي وطلب أن يحضر اثنان منا إليه وكنت واحدا منهما وكان يعرفني جيدا.

قال: ماذا تريدون؟

قلت: الناس تريد سلاحا لتجاهد.

قال: نحن نعمل، فلا تعكروا علينا.

وانفضت المظاهرة:

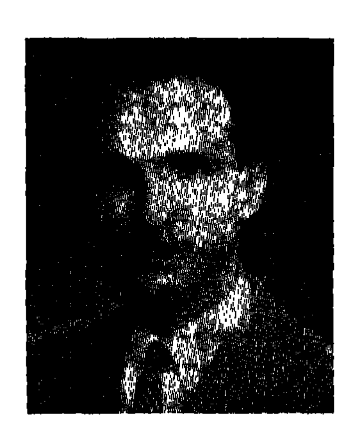
تزوجت عام ١٩٤٠ (مرة واحدة) ورزقت بـ ١٣ بنتا وكان المولود الـ ١٤. زوجتي كانت من الشام وتوفيت عام ١٩٧٩.

أذكر أن دخلي كان وقتها، وقت زواجي ـ ثلاثة عشر دينارا واستأجرت غرفتين في جبل عمان (طلعة الملفوف) وكنت أدفع الأجرة ٦٠ دينارا سنويا.

طبعا في تلك الأيام كان سعر كيلو البندورة بقرش واحد، وكيلو اللحمة بثلاثة

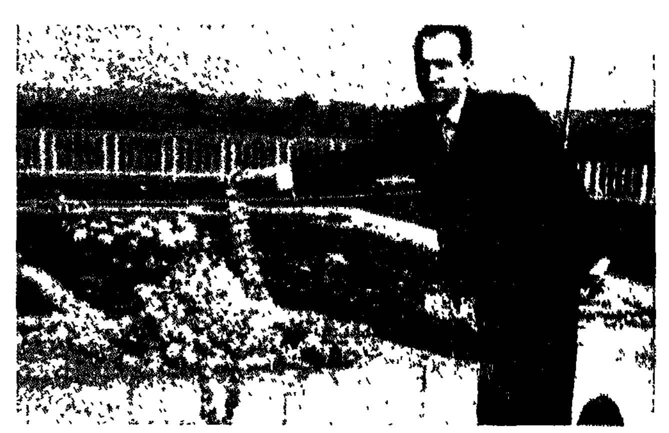
قروش. وقد دفعت مهر زوجتي ٥٠ ليرة عصملي (ما يعادل ٤٠ دينارا حاليا).

أفضل كتاب قرأته (مقدمة ابن خلدون) وكتاب (الطبري) كما كنت أمارس من الرياضة كرة القدم وركوب الخيل والسباحة.





شفيق الخليلي



باقة ورد على ضريح نهرو بالهند عام ١٩٦٤

شوقي عميرة

رجل آخر، منذور للتعب منذ ولادته في السلط، إنه شوقي عميرة الذي قادته الأقدار ليحارب الروس في «ستالينغراد» مع القوات الألمانية. وحين رفض حكم عليه بالإعدام مع عشرة من رفاقه ليواصل رحلة العذاب الطويلة.

حديثه لي استغرق جلستين وربما احتـاج إلى زمن آخر لأنقل لكم ما أستطيع من ذكرياته المليئة بالأحداث والأجواء الدرامية. نسيت أن أخبركم أن ضيفي يتمتع بذاكرة جيدة، فكان يروي أيامه كما لو كانت شريطا على شاشة أمامه بكل تفاصيلها ودقتها.

وادي السلط:

الاسم الثلاثي: شوقي طاهر عميرة. ولدت في السلط عام ١٩١٩. عائلتي كانت متوسطة الحال. والدي كان شبه أمي ووالدتي كانت أمية ولم أعلم ذلك إلا بعد تخرجي من المدرسة.

درست المـرحلة الابتـدائية في السلط في مدرسة «الرهوان» والتي كانت في منـطقـة الجدعة ثم انتقلنا إلى مدرسة السلط ـ على التل ـ وكان مديرها المرحوم الأستاذ سعيد البحرة «من سوريا».

كان أساتذتي في الصفوف الابتدائية: بهاء الدين العابودي ومحمود أبو صوي وشفيق الداغستاني وشكيب الداغستاني ونصوح القادري.

أنا واحد من خمسة أخوة ولي ثلاث شقيقات على قيد الحياة.. والدي توفي

عام ١٩٥٤ ووالدتي عام ١٩٧٠.

أخـوتي أنهـو الدراسة، فمثلا شقيقي «حلمي» درس الهندسة الكهربائية في جامعة القاهرة «أول مهندس كهربائي في الأردن» وشقيقي «علمي» أصغرنا درس في جامعة القاهرة وتخصص في الزراعة ونال الدكتوراة من فرنسا.

الباقون درسوا حتى المرحلة الثانوية وإحدى شقيقاتي «الكبيرة» تخرجت من كلية «شميث» بالقدس.

كنا نعيش في بيت هادىء لا نعرف إلا الدراسة والعودة إلى البيت وحين كانت تنتهي الدراسة كنا نسير إلى وادي السلط حيث البساتين والأشجار المثمرة والينابيع الغزيرة.

أما في الليل، فلم تكن هناك كهرباء، وكنا ندرس على المصابيح أو الفوانيس وننام مبكرين حيث لم تكن هناك إذاعة ولم يكن بالسلط دار للسينما، إنما كان هناك مقهى أو اثنان يحظر على الطلاب دخولهما.

خليل السالم وحمد الفرحان وغيرهما:

بالنسبة للمرحلة الثانوية كان المعلمون من حملة الشهادات العليا ومن أغلب البلاد العربية حيث كان مدير المعارف المرحوم أديب وهبة يختار أحسن المعلمين وأقدرهم للتعاقد معهم للتدريس في السلط أساتذتي رحمهم الله كانوا على قدر عال من التعليم.

المـرحوم أديب العامري الذي كان في مدة دراستي الأخيرة مديرا للمدرسة. (بالطبع لم نتعلم في المدرسة إلا الوطنية والقومية أولا. إذا كنا في الصبح ننشد «بلاد العرب أوطاني» و «سوريا ذات المجد» و «هذا الوطن حق له». وكان الأساتذة أكثر وطنية، إذ كانوا يحضروننا على إبداء الشعور القومي تجاه ما يحدث في (فلسطين وسوريا والعراق).

لقد تعلمنا التاريخ من قبل المرحومين: سعيد الدرة، البرقاوي، كذلك التاريخ القديم والحديث من قبل المرحوم حسني فريز وسعيد الدرة وتعلمنا اللغة الإنجليزية الصحيحة لفظا ومعنى من قبل المعلم الهندي «عشرت حسين» خريج بريطانيا والمرحوم جريس القسوس والذي كان همه الأول تعليمنا عن الشاعر الإنجليزي شكسبير ومسرحياته. أما الرياضيات فكان أستاذنا الفاضل المرحوم علي حسين روحي. وكذلك الفقه الإسلامي للمرحوم حسن البرقاوي والكيمياء والطبيعة للمرحوم دولة فوزي الملقي وكذلك من معلمينا السيد صباح الروسان.

زملائي في المدرسة كانوا من أنشط الطلاب وأحسن الأصدقاء وكنا نتنافس للحصول على أحسن الدرجات. كنا نتدارس في أوقات الفسح الأوضاع في البلاد العربية وعن الاستعمار البريطاني والفرنسي كانت المنافسة شديدة بين ستة من الطلبة.

العين د. خليل السالم والعين حمد الفرحان والمرحوم وصفي التل والسيد عبد الرحيم العمد والمرحوم هزاع المجالي. . وأنا، للتنافس على الدرجات الأولى. كان د. خليل السالم الأول والثاني حمد الفرحان والثالث وصفي التل وعبد الرحيم العمد وأنا السادس في المملكة، وتخرجنا جميعا عام ١٩٣٨.

أيامنا في سوريا:

عندما أنهيت المرحلة الثانوية جاءتني كتب للتعيين من وزارة التربية ومن دائرة الأراضي، حيث كان الذي يتخرج من مدرسة السلط الثانوية يعين رأسا بالدرجة العاشرة ويتقاضى راتبا مقداره «٦ دنانير» يخصم منها «٥٣ قرشا» ضرائب.

لم أقبل أية وظيفة إذ كنت مصمما على إكمال دراستي الجامعية ذهبت وبعض الأخوة إلى دمشق للالتحاق بالجامعات السورية، كانت المواصلات شاقة، وكان القطار يذهب مرتين في الأسبوع إلى دمشق ويعود في اليوم التالي. كانت الأجرة ٢٨

قرشا للشخص الواحد «ذهابا وإيابا» والتذكرة صالحة لمدة عام كامل. كان القطار يتوقف في عدد من المحطات «في درعا والمفرق والزرقاء والمحطات السورية ساعات».

وصلنا إلى دمشق وسجلنا في الجامعات السورية وقبلنا جميعا فورا بعد دفع الرسوم (حوالي ٧ ليرات سورية).

كان الفرنسيون يحتلون سوريا، وكان الشعور القومي في سورية في أوجه ولم يكن وقتها سوى حزب الكتلة الوطنية برئاسة المرحوم شكري القوتلي والحزب الشيوعي برئاسة خالد بكداش.

بالطبع لم نكن لننضم إلى هذه الأحزاب «نحن الأردنيون» كنا نستمع إلى محاضراتهم وندواتهم. ونجتمع ونقسم أنفسنا إلى قسمين: قسم لسماع الكتلة الوطنية وقسم لسماع الشيوعيين.

كان العيش في سوريا زهيدا جدا، إذ كنا نحن الطلاب نحصل على خصم في المطاعم وفي «التراموي» وفي السينما بمعدل «٢٠ ـ ٣٠٪». الغذاء في أحسن مطاعم دمشق لا يكلفنا ٢٥ قرشا أجرة الغرفة المفروشة مع الغسيل لا تتجاوز «٥ ليرات» سورية شهريا درست في البداية في كلية الطب ولم أكمل تعليمي.

في هذه الأثناء حصلت المظاهرات والمواجهات مع الفرنسيين، عندما رفعوا سعر كيلوا الخبز ـ فرنكا ـ فثار الشعب السوري. وكان طلبة الجامعات السورية بالمقدمة، فحاصر الجيش الفرنسي الجامعة ودخلنا إلى حرمها حيث أغلق رئيسها المرحوم عبد القادر العظم الأبواب ومكثنا ساعات وكانت المفاوضات بين الفرنسيين ورئيس الجامعة، مما حدا قسم من الطلبة إلى الهروب من أسوار الجامعة وبقي قسم آخر. وبعد إلحاح الفرنسيين وتهديدهم بإلقاء القنابل فتحت أبواب الجامعة واعتقل الكثير من الطلبة وبينهم أردنيون ونقلوا إلى سجن القلعة قرابة أسبوعين أو ثلاثة، حتى تمكنا نحن خارج الجامعة مع السيد بهيج الدين الخطيب «حاكم دمشق» وتم

الإفراج عن زملائنا ولا سيما المرحوم نايف الخطيب.

أيامنا في سوريا لم تتعد الدراسة وفي آخر الأسبوع كنا نذهب إلى السينما ونزور القرى القريبة من دمشق الواقعة على نهر بردى.

كان زملائي في الجامعة السورية السادة: محمد باشا الشريقي ومحمد طوقان وصبحي الحسين ونايف الخطيب وأميل لطفي وإسماعيل النابلسي ورضوان الهنداوي وأحمد الطراونة وعبد الحليم النمر وإدريس التل وغالب عمر المعاني.

ثورة الكيلاني:

عام ١٩٤١ قام المرحوم رشيد الكيلاني بثورته في العراق ضد الإنجليز، فما كان من الجموع العربية بالأردن وسوريا ولبنان إلا أن أيدته وقامت المظاهرات وشكلت لجان في ذلك الحين للتطوع بمناصرة العراق في ثورته.

فاجتمع الطلاب الأردنيون مع رجالات الأردن الذين كانوا منفيين في سوريا للتداول في مناصر العراق، وكان على رأسهم المرحوم الدكتور صبحي أبو غنيمة الذي حث الشباب الأردني على التطوع لنصرة العراق.

كنت والمرحوم إدريس التل وغالب المعاني أول المتطوعين الذين سافروا إلى العراق. على أن يلحق بنا باقي الزملاء إذ سافرنا بالقطار من دمشق إلى حلب ومنها هيأت لنا المجموعات السياسية في حلب مع كثير من المتطوعين وسائط النقل إلى بغداد، حيث استقبلنا من الجهات العربية المناصرة للعراق الاستقبال اللائق ولا سيما من قبل سماحة المرحوم الحاج أمين الحسيني حيث أرسلنا بعد تسليحنا ببندقية وحزام من العتاد إلى «الحبانية» و «أبو غريب».

بالطبع لم نكن نحن المتطوعين «مدربين» على القتال إنما كان همنا المساعدة والمناصرة والحماية الخلفية للقوات العراقية. لم تدم ثورة الكيلاني طويلا، إذ هوجمت من القوات البريطانية فما كان من القائد العراقي المسؤول عنا إلا أن هيأ لنا وسيلة نقل لإعادتنا إلى بغداد.

وقد انتهت الثورة بالاستسلام، مما حدانا «إدريس وغالب وأنا» إلى أخذ واسطة نقل عراقية مع سائقها لإيصالنا إلى الحدود السورية والشمالية.

لقد مرت بنا صعوبات جمة في الطريق إلى أن وصلنا إلى الموصل حيث استقبلنا بحفاة. ومن الموصل رجعنا إلى دير الزور إذ انضممنا إلى قوات المرحوم فوزي القاوقجي التي كانت عبارة عن متطوعين عرب من فلسطين والأردن وسوريا ولبنان.

وما لبث سلاح الجو البريطاني أن قام بضرب هذه القوات التي كانت في طريقها للسيطرة عليها مما أدى إلى استشهاد الكثير وإصابة المرحوم القاوقجي بعدة طلقات في جسمه مما اضطرت إلى الانسحاب غير المنظم والعودة إلى دير الزور مع الشهداء حيث قمنا بدفنهم ونقل القاوقجي إلى ألمانيا للعلاج.

مع الجيش الألماني:

رجعنا من دير الزور إلى حلب فاجتمع رجال حلب ويظهر أنهم اتفقوا مع القوات الألمانية التي خرجت من العراق وتمركزت في شمال سوريا على انتخاب بعض الشباب من سوريا ولبنان وفلسطين والأردن لأخذهم إلى ألمانيا.

لقد كنت أحد هؤلاء الـ «٢٣» رجلا إذ غادرت الطائرة العسكرية الألمانية مطار حلب إلى أوروبا الساعة الرابعة صباحا وما أن قطعنا البر السوري وبدا البحر المتوسط حتى ذرفت الدموع على وطني وقلت للرفاق الذين كانوا معي، دون أن أعرفهم من قبل يا جماعة هذه الرحلة طويلة وسوف لن نرى الأراضي العربية إلا بعد سنين.

هبطت الطائرة في أثينا واستقبلنا الضباط الألمان ونقلونا إلى فندق كبير في قلب العاصمة اليونانية. حيث بقينا فيها حوالي الأسبوع ومنها نقلونا إلى معسكر على شاطىء المتوسط يدعى «سونيون». في هذا المعسكر بدأنا تدريبا شاقا طيلة النهار على تكسير الحجارة وفتح الطرق وبناء المخيمات. حتى جاء مدربون عسكريون

ألمان يتقنون العربية «إذ كانوا من مواليد الأسكندرية وبورسعيد».

هذه الأثناء شهدت اتصالاتنا مع سماحة الحاج أمين الحسيني الذي كان في برلين التي وصلها قبلنا بشهر عن طريق إيران وتركيا ـ بعد ثورة الكيلاني ـ.

وقد قام سماحته بتجنيد كثير من الطلبة العرب الذين كانوا يدرسون في ألمانيا وتطوعوا وانضموا إلينا في اليونان.

كانت التدريبات العسكرية شديدة جدا وكان مدربونا من كبار الضباط، وكان أحدهم برتبة عميد. وقد دربونا على أنواع من الأسلحة والألغام وحرب العصابات والسلاح الأبيض وكان يجري لنا امتحان كامل عليها وعلى بعض المعارك الوهمية الليلية والنهارية إلى أن جاء أكثر من ٥٠٠ متطوع عربي ـ كانوا أسرى في الجيش البريطاني تطوعوا من قبل جماعة الحاج الحسيني الذي كان له قصر ومكتب في برلين وصرنا ضباطا بالجيش الألماني وكان يطلق علينا الجيش العربي الحر وكان على ساعد الجاكيت الأيسر العلم العربي وكان لباسنا نفس لباس الألمان العسكري باستثناء العلم العربي.

كان عمري وقتها ٢٢ عاما، وقمنا بتدريب هؤلاء الجدد كما دربنا نحن من قبل وصار كل منا قائد لفصيلة.

وذات يوم اجتمع معنا القائد الألماني الذي أصبح جنرالا ويدعى «فيلمي» وقال لنا سوف نذهب إلى البلاد العربية عن طريق القفقاس.. وهنا سأله أحدنا لماذا لا نذهب عن طريق تركيا فأجاب بأننا لا نريد أن نخترق حياد تركيا المتعاونة معنا.

حكموا علينا بالإعدام:

صدرت إلينا الأوامر للسفر بالقطار من اليونان عبر بلغاريا ورومانيا وروسيا إلى أن وصلنا إلى بلدة تدعى «ستالينو» في شمال شبه جزيرة القرم.

كانت هناك بعض المعسكرات المعدة لنا. أمضينا حوالي أسبوعين عندها

بدأت معركة «ستالينغراد» فما كان من هذا الجنرال المسؤول عن فرقتنا وجنرالات أخرى إلا أن أبرقوا للزعيم هتلر وطلبوا التطوع وقواتهم للدخول في المعركة الكبيرة.

اجتمعنا بالقائد وتباحثنا معه وقلنا إن الهدف الأول من وجودنا مع القوات الألمانية وتدريبنا محاربة الإنجليز والفرنسيين الذين يحتلون بلادنا. وليس لنا هدف من محاربة الروس.

فما كان منه إلا أن قال: عندما نسحق الروس سنكون مستعدين لسحق الإنجليز. وهذه الخطوة لتحرير بلادكم.

وبالطبع، رفضنا كلامه، وشكلت لنا محاكم عسكرية وحكم على عشرة منا بالإعدام وأرسلنا تحت الحراسة المشددة من روسيا إلى برلين.

في هذه الأثناء تمكنا من إرسال رسائل إلى الزعماء العرب الذين كانوا في برلين وفي روما «الزعماء العرب كانوا: أمين الحسيني ورشيد الكيلاني وفوزي القاوقجي»، موضحين حالتنا وأسباب رفضنا، فما كان من الحاج أمين بعد مداولات مع القيادة الألمانية وتحديدا مع الزعيم هتلر إلا أن أفرج عنا بعد أن مكثنا في سجن في برلين يدعى «سجن المؤبد» إذ كان يحتوي على المئات من جميع الجنسيات العالمية الذين كان أغلبهم رجالا أحراراً إنما كان في نظر الألمان «جواسيس»، وكان في كل يوم يعدم قسم منهم في السجن، وكنا نسمع صرخاتهم كل صباح وهم يقادون إلى المشانق ولم يكن يسمح لنا سوى بنصف ساعة للخروج من الزنزانات الحديدية والتي لم يدخلها الضوء. وبعد عدة أشهر تمكن المرحوم أمين الحسيني من إصدار عفو عنا من الزعيم هتلر.

خرجنا في ليلة ليلاء وسط برلين. ولم نجد أي مأوى مما اضطرنا للعودة إلى السجن واستأذنّاهم بالمبيت عندهم حتى يطلع النهار.



شوقي حميرة

صياح الروسان

كيف لرجل عاش في مجال التربية والتعليم أو (المعارف) كما كانوا يطلقون عليها يتحول إلى وكيل لوزارة الدفاع؟

لا بد من صفات وقدرات ومحبة من الطرف الذي يختار في الطرف المختار.

جاء من سما الروسان في الشمال عمل في الفلاحة، وعشق الأرض ومعها برزت محبته للغة العربية وللتعليم.

انتقل من سما الروسان إلى إربد إلى عمان ونابلس والقدس وحين نتحدث عن هذه المدن والمواقع فكأنما نتحدث عن جسد له عدة أضلاع.

ذهبت إليه في جبل اللويبدة حيث يعيش مع أسرته وكانت كلمته تجري السابق تجري تسابق شريط الذكريات الذي اخترن بعضا من أيام ضيفنا صياح بيك الروسان:

سما الروسان:

ولدت في قرية سما الروسان في محافظة إربد عام ١٩٠٧، تعلمت عند (الكتاب) ثم في مدرسة سما الروسان عام ١٩١٨ وبعدها درست في كلية روضة المعارف بالقدس ومدرسة السلط الثانوية عام ١٩٢٣ وحصلت على الثانوية العامة من مدرسة إربد عام ١٩٢٧.

ذهبت إلى بيروت لدراسة اللغة العربية بالجامعة الأمريكية لمدة ست سنوات

وعملت معلما في ثانوية إربد وفي الكرك وعينت مديرا لها (مدير تربية هذه الأيام) عام ١٩٤٦.

شغلت منصب وكيل وزارة الداخلية في ١/١٢/٤٧ بعدها عدت للمعارف.

مكثت متصرفا للواء السلط ثلاثة عشر شهرا عام ١٩٤٨ فوكيلا لوزارة البلديات ومنذ عام ١٩٥٣ عملت وكيلا لوزارة الدفاع حتى تقاعدت يوم ١/٩/١٩٦٠.

كنا نجلس على حصيرة في الكتاب وأمامنا شيخ بيده عصا طويلة تصل من يريد.

كان معي في إربد فواز الروسان (وزير عدلية سابق) وقاسم الروسان (مدير جمارك سابق)، هذا في المدرسة كنت الأول في المدرسة ورشحت أول بعثة أردنية إلى الجامعة الأمريكية مع حسني فريز (الأول على السلط وقتها) وأديب عباسي خريج الكلية العربية بالقدس.

مختار القرية:

كان أبي مختارا للقرية وقد عملت بالفلاحة فكنت (دراسا أجلس على لوح الدارس) و (رجادا) (أقود الجمال التي تحمل القمح). كان لأبي سبعة أخوة أبرزهم سليمان باشا السودي زعيم ناحية السرو / بني كنانة الآن. والدتي أمية فلم تكن تقرأ وتكتب وقد أخذت الحنان منها وكذلك حب الأطفال.

وأخذت عن الوالد الدقة في النظام والوفاء بالوعد وحب الناس.

بيتنا كان مؤلفا من ثلاثة غرف إحداها للضيوف والثانية للمعيشة والثالثة للوالدين.

الحياة كانت بسيطة جدا، فكيلوا اللحم كان بـ ٣ قروش ولم نعرف شراء اللحم والدجاج ففي كل بيت أغنام ومواشي وكذلك لم نعرف شراء الخضار والفواكه. وإذا ما فوجىء أحدهم بالضيوف كان يتناول (أقرب خروف) ويذبحه ثم يعيد مثله إلى

جاره وقتما يحتاج راتب، لأننا لا نفعل شيئا!

قصة النبي الكذاب:

زار المملكة خلال تلك الفتر عدد من الشخصيات العربية، أذكر منهم المرحوم فيصل بن سعود ولي عهد السعودية (وقتها) وقد أهداني (حطة وعقال وعباءة) وكذلك الملك محمد الخامس ملك المغرب وإمام اليمن (البدر) الذي أهداني شيئا من الفهوة.

تعرفت بالرئيس السوري شكري القوتلي وكان صديقا لعمي سليمان باشا. وقد دعانا للعشاء في منزله بسوريا وكان أيامها ثمة نبي مزعوم وحدث أثناء العشاء أن جاء نبأ مقتل ذلك النبي الكذاب فقلت للرئيس القوتلي الآن في الأردن فرحة كبيرة لمقتل هذا النبي الكذاب أكثر من سوريا نفسها.

كذلك تعرفت بالرئيس المصري محمد نجيب وزرته في بيته.

«كلوب» وأيامه:

كان قائد الجيش بمنطقة المحطة بطلب من مدير المدرسة ألا يقبل أبناء الجيش فكتبت لمدير المدرسة أن المدرسة ليست مخفرا، وأن لها وزارة تأخذ الأوامر منها، فاعتبر.

تزوجت امرأة «نابلسية» من دار عبد الهادي بواسطة صدقي أحمد حمدي الصباغ وتعرفت بالسادة: أنور نسيبة (وزير دفاع سابق) وسليمان طوقان ونشأت المصري وراغب النشاشيبي.

كنت ألعب (الشدة) مع هؤلاء في فندق فيلادلفيا وتعرفت بزوجتي عام **١٩٤٤**.

بالنسبة للمرحوم نشأت المصري فقد كنت أزوره في نابلس وكان يدعوني إلى بيته كلما ذهبت للتفتيش هناك أثناء عملي في (المعارف).

بيت في عمان :

سكنت أول طلعة جبل الحسين واستأجرت غرفة واحدة مع زوجتي وكنت أدفع أجرتها دينارا واحدا في الشهر. وكان راتبي أيامها ١٦ دينارا فكان يفيض منه الكثير. تعلمت شرب السجائر ودخنت جميع الأنواع من الأرجيلة إلى الغليون والسيجارة اللف والسيجارة ولمدة ٥٢ عاما ثم توقفت عن التدخين نهائيا.

عام ١٩٦٠ كان حجم القوات المسلحة حوالي ٦٠ ألف جندي وعندما كنت وكيلا لوزارة الدفاع كان حجم الجيش ٦ آلاف جندي ، كنت مدنيا لأول مرة بلا رتبة عسكرية وقد طلبني السيد فوزي الملقي الذي كان رئيسا للوزراء ووزيرا للدفاع عن «المعارف» لأكون وكيله بالجيش لثقته بي ومعرفته بي . كنا فقط وسطاء بين الحكومة و «كلوب باشا» لهذا قلت ذات يوم لجلالة الملك الحسين «حرام نأخذ هذا الكتاب ملغى» وأن جميع الـذين يتقدمون إليك من الطلاب سواء. وذهبت نسخة للسيد رئيس الوزراء ـ المرحوم سمير الرفاعي ـ الذي عملت معه ٤ سنوات.

صارت عاصمة :

كان عدد سكـان الأردن ٣٠٠ ألف وعمـان كانت بسيطة جدا وقـد اختاروها عاصمة لوجود سكة الحديد فيها فلم تكن هناك طرق معبدة حتى جاء الأمير عبدالله ففتحوا طريق القدس على حساب الإنجليز وكانت الطريق المعبدة الوحيدة في المملكة.

ذكرياتي مع الأمير عبدالله كثيرة حتى أنني غضبت لأمر ما ذات يوم وحين وصلت إلى الدائرة كتبت استقالتي من (المعارف) ـ أيام المرحوم سمير الرفاعي الذي كان مديرا للمعـارف ـ فجـاء رئيس الـديوان الملكي وسأل عني وقال إن الأمير عبدالله يريدني وذهبت إليه فابتسم وقال لي : أنت ابني . .

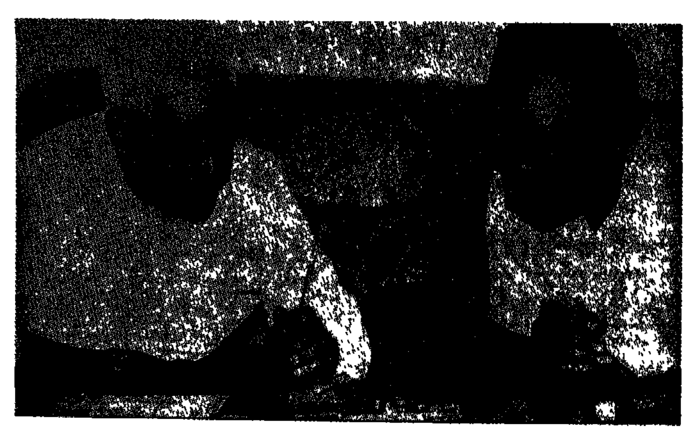
أيضا ، أذكر أن جلالة الملك عبدالله كان يكره الأمويين . فكان عنده سائق رزق

بمولود أسماه «مروان» فغضبت (سيدنا) وطلب تغيير اسمه. فاستغرب مدير المدرسة كيف يتم تغيير اسم تلميذ من مروان إلى (صفوان) قلت له نفذ الأمر. . وحين علمت برغبة جلالة الملك أطلقت اسم صفوان على ابني وبذلك أسميت ابني بإرادة ملكية.

ابني الأول كان اسمه مروان (ولم يدر به الملك فأدركت الأمر في المولود الثاني وكان (صفوان) الذي يعمل حاليا مهندسا برتبة مقدم في سلاح الجو ومروان يعمل طبيبا أخصائيا ولي فتاتان تزوجتا.

من أصدقائي الشاعر الراحل عمر أبو ريشة وكنا نحب الشعر وذات يوم نظمت أربعة أبيات لا أذكرها. كانت القراءة هوايتي وخاصة الأدب العربي ـ تخصصي ـ كذلك ما زلت أحب أغاني فيروز.

كما حصلت على وسام الكوكب الأردني ووسام التربية والتعليم من الدرجة الأولى.



صياح الروسان



مع السادة وصفي التل وحابس المجالي وهاشم الدباس



مع جلالة الحسين عام ١٩٦١ ويظهر في الصورة. السادة بهجت البلهوني والشيخ محمد أمين الشنقيطي وسماحة الشيخ محمد علي الجعبري ود. جميل التوتنجي وهاشم الجبوسي وبهاء الدين طوقان

د. عبد اللطيف عقل

ثلاثة أسابيع وأنا أطارد الدكتور عبد اللطيف عقل، لعلي أصطاد «شروده» الدائم وأقدمه على الورق.

ذهبت إليه، إلى بيته، وقلت لن أخرج إلى بالحديث.

تركت أمامه محاور: القرية، الوجدان، الحياة، الزمان.. والكتابة. دعوته للإبحار.

غاب يومين ثم عاد بهذه الكلمات المجنحة بين الشعر الذي يكتبه وروح المدرس الأكاديمي حيث يعمل نائبا لرئيس جامعة النجاح في نابلس فكان مزيجاً للإنسان والفنان.

القرية / البادية (الأرض):

لم نفكر كثيرا، لماذا يتناهبنا الحنين إلى الأيام التي مضت من الثابت حتى بالتجارب المختبرية أن الماضي جميل، ونقول أن الأيام التي مضت وانقضت لا تعود. الشعراء والعجائز يتحدثون عن الماضي ويتحسرون على الزمن الذي فات. حتى الأغنياء وميسوري الحال يتذكرون بعاطفية أيام خطواتهم الأولى المرهقة والمتعبة في دنيا المال والأعمال. وكذلك المديرون يشتاقون إلى أول مرتب وأول رتبة.. فلماذا.. ساكن المدينة في الحي الفلاني يتذكر بأسف أيام القرية وأيام المراهقة وأيام الخيال الأولى والمرأة الأولى والمنع الأول والحب الأول..

جلسنا في فندق من فنادق الدرجة الأولى.. وليس فيه من حولنا ما يمت بصلة

«لطفولة أي منا» . . وأستذكر أن الحديث منذ بدأ حتى انتهى كان حول القرية أو البادية أو المدينة التي كانت صغيرة . . وبسيطة صغيرة في حجمها وهمومها . . وكان جوهر النقاش يدور حول الأرض . . وكأن الشر يكمن في كل ما أبعدنا عن الأرض من الحذاء إلى الاحتلال . . فالحذاء والاحتلال كلاهما هدف أن يفصل بيننا وبين أرضنا وقرانا . . وبوادينا . . كأنهما الحذاء والاحتلال يقفان بين الذات وذاتها . .

الحـذاء شيء نضعه في أقدامنا فيعزل جسدنا عن التراب الذي سقطنا عليه بالجسد وصار يتخذ عدة أشكال فصار سريرا ثم كرسيا ثم سيارة ثم طيارة ثم وظيفة خارج القرية ثم عملا في مكان آخر وثقافة أخرى صار الحذاء رحيلا وهجرة . وكذلك الاحتلال والاستيطان ، تذكرنا محمد المحبوس في سجون الاحتلال وأحمد المطرود من الوطن والأرض والقرية المحاصرة والمدينة المصادرة حريتها وبيوتها . .

تذكرناهم جميعا وأسفنا فقط . . وحاولنا أن نجتر الأحلام . . الأحلام أن تعود الأيام إلى ما قبل عام ١٩٦٧ . . أي أن يرجع الزمن ٢٢ دورة إلى الوراء وقال زميل أصبح إعلاميا مهما «أن الزمن ليس شريطا» ولكن الزميل كان قد قال أول الجلسة أن الزمن مثل الشريط السينمائي . . وحين ذكرته قال أن اللسان يزل وللضرورات أحكام . . ووافق معه نائب مدير الشركة المتخصصة في الخدمات العامة .

الأرض أولاً :

الأرض مكان أم . . عليها تقوم المدن وتمتد الشوارع ، في جبال الأرض تنحفر الكهوف من الإنسان الأولى إلى الإنسان الحديث . على الأرض نمشي حتى رواد الفضـاء يمشون فيه من أجل العودة إلى الأرض ، أرض الأرض أو أرض القمر أو المريخ . . فالقرية لا تقوم إلا على الأرض وانتفاء الأرض نفي لكل ما يقوم عليها من جماد ونبات يخرج الحي من النبات والشجر . . والنبات تتشبث جذوره بتراب الأرض وكل ذلك ينعكس في الذات ، فتتشكل وتنمو ويصير لها مواجد وعذابات أرضية . .

فكل عذاب بسبب العلاقة بالأرض فيه عذوبة. . عذوبة غريبة في تأثيرها حتى بذل الذات. وللقرية أخلاق، هي أخلاق الأرض. . وعلاقات هي من العلاقات بالأرض في القرية أعراس للشباب ومواسم الحصاد والزرع والبذار. . في القرية مآتم. . مآتم انحباس المطر.

ومآتم الصواعق والعواصف وهجرة الشباب ومآتم امتداد عمران المدن وتراجع مراعي الغنم والبقر والجمال. مآتم تراجع القيم الجميلة. . واختلاط المناسف بالمطاعم وعليه الضيوف بغرفة الفندق. . وحليب البقر في الصباح بحليب النيدو المستورد. . أنا لا أحن إلى أيام القرية فلست من المعتقدين بأن أخلاق القرية يجب أن تظل تسود الشوارع والمباني ذات الطوابق والمصاعد في المدن التي تتمدد أطرافها على حساب المراعي والقطعان وموارس القمح ومزارع البيوت ذات الطابق الواحد أو الغرفة الواحدة. . لكنني أحن إلى ذلك الوهج الطيب في النفس والروح يوم كنا نتقابل. .

خذ هذه الحادثة:

صديق صدوق، جميل الطلعة قبل ربع قرن وبعده، مدير كبير ومسؤول عن مصالح ومطامح عدد كبير من الرجال والنساء كان بيننا ود واتصال وتواصل. . لم أكن يومها بهذا الشكل الغريب، فقد فعلت الأيام والأحداث في وجهي وشعري وملامحي ما لا علم لصديقي القديم به. . سألت عنه وعرفت أنه من المهمين. . قلت في نفسي أزوره في الدائرة. . ذهبت إليها. . استوقفني الحارس وتكلم معي على أنني أجنبي. . قلت له بعربية حاولت أن تكون فصيحة: أنا لست من سيريلانكا. . وقلت له أنني صديق المدير القديم وأريد أن أراه وليس عندي مشكلة شخصية تتطلب مساعدته. . قال الحارس اذهب إلى السكرتيرة. . ذهبت. . وأجلستني فتاة وسيمة وعارفة بالأمور على كنبة وثيرة. . قلت لها أنا صديق المدير القديم. . مرت على شفتيها ابتسامة أعرف معناها. .

وحاولت أن ألعن الزمن الذي باعدنا. . وكان يمكن أن أكون مساعده الصغير لولا الاحتلال. . وقررت أن أدافع عن وجودي فقلت للسكرتيرة. . أليس لوائحكم الداخلية والخارجية تقديم القهوة. . قالت إن المدير لا يشرب القهوة ونحن كذلك. . انتظرت ساعة. . وأدركت أن الزيارة خلال الدوام قد تكون غير محمودة العواقب. . فقمت واقفا رجاء أن تستجلسني السكرتيرة لكنها لم تفعل. . غادرت البناية وكان المطر يتساقط على الورق الناشف المتجمع على حافة الشارع عند الرصيف. .

تذكرت نفس الشارع ونفس الرصيف يوم خرجت من دار السينما مع الصديق القديم عائدين إلى سكننا في الجبل. . يومها كان الخريف في سمته وأوراق الشجر الناشفة عند الرصيف. . قال لي وكان يجب أن يصير شاعرا. . إن هذه الأوراق الصفراء تذكرني بالعبث. . قلت له على ما أذكر، أن الورق المتساقط من شجر الريف يتحول إلى سماد. .

قطين ولبن:

قلت أزوره في البيت. . عرفت رقم بيته ولم أعرف رقم تلفونه. . في السادسة مساء كنت أقرع جرس الباب. . وقبل ٢٥ سنة لم أكن أقرع باب بيتهم، كانت المرحومة والدته تتلقاني عند قاع الدار وترحب بي وبعد دقائق تقول إن لديها قطين ولبن سخن. .

فتح الباب شاب يافع. . تساءل بعينيه الجميلتين. . قلت: أنا صديق الوالد. . أوسع لي من الطريق. . وجاء الولد. . أقصد الصديق القديم بحلق في شعري الأشيب وتجاعيد وجهي الكثيرة ولحيتي الكثة. . ثم تعانقنا مثل أيام زمان. . سأل عن الأولاد وسألت عن أولاده. . سأل عن نابلس وسألت عن الكرك. . استفسر عن أصدقائنا في القدس واستفسرت عن أصدقائنا في إربد والسلط. .

شربت القهوة وهو يروي لأولاده الذكور والإناث عن أيام زمان. . خرجت على أمل أن أراه ثانية. . وشعرت بـ **٢٥** سنة من الزمن تتقلص. . حتى صارت فنجان قهوة سكر قليل. . لقد استيقظت في روحينا الأرض والقرى. . فكرت وهو يحلف أن أعود يوم الجمعة كيف تذكر تفاصيل أكلة المسخن في قريتنا سنة **١٩٦٥** بالتفاصيل. . سألني عن «خالد» قلت له أعطاك عمره. . وتدحرجت دمعة واحدة على خده. . وهمس: نراك يوم الجمعة القادم. . وما زال لم يرني.

الحياة والناس:

الحياة هي النـاس. . والناس هم أطراف النسيج في شبكة نسميها الصداقة والحب والجيرة والأبوة والأمومة والعمومة والنسب والدم. .

تتـدرج المياه في حركتها من البطء إلى الأسرع فالأسرع. . وعلاقات الناس تتخذ نفس الشكل تقريبا. . أتذكر أول مرة عرف الأصدقاء أنني أكتب شعرا. . فكان احتفال وجاء الصديق، هو اليوم كبير كما كان، يلاحق الزعران والمجرمين بنفس روحه القديمة وقلبه الطيب. . ذهب إلى بلدية السلط في ذلك الوقت أي قبل **٢٧** سنة ورتب شيئا اعتبرناه جميعا خارقا للعادة واجتمع الرجال والنساء وقرأت أمامهم جميعا ثلاث قصائد. . كانت المرة الأولى التي أقرأ فيها شعري أمام جمهور. . لم أكن حينذاك قد جاوزت التاسعة عشرة. .

وبعد زمن، زمن معين التقينا. . كان يجلس يستمع وبعد المحاضرة تعانقنا. . نفس الرجل لكن طيبته كبرت .

٢٧ عامـا. . إنه ابن السلط الطيب. . قلت هل تتذكر أيام الشعر الأولى. . ابتسم عن أسنانه البيض ولم يتكلم. . رد ابنه الكبير وكان أطول في قامته من قامة والده الطويلة. . قال الشاب حدثني الوالد عن أيام الشعر الأولى. . ابتسمت وقلت: لا بد أن يظل جوهر الأشياء نابضا بالحياة. . رأيته مرة بعد ذلك. . وأحاول أن أراه

ثانية قبل أن أسافر إلى حيث الأطفال يقهرون القهر ولحمهم البريء وعظامهم الطرية . .

لماذا الكتابة :

ولماذا المسرح، ولماذا الفن عموما . . الكتابة قدر سيكولوجي يفجر في ذواتنا الحاجة إلى إعادة تشكيل الدنيا بعدد أقل من الشقوق في بنائها . . أذكر ذلك اليوم تماما . كان صيف . . وكانت بيادر نساء تنقل الماء من بيرة الحارة إلى منازلها . . نوارح تدور فوق أكوام من القمح ورجال يتحدثون وهم يستحثون الدواب على مضاعفة النشاط . . كاسات الشاي وخبز طابون ساخن وورق بصل أخضر مع «مغناطيس» لبن غنم ومرت عني . . كنت في الإعدادي الأول . . وكانت فتاة لا أذكر منها الآن إلا أنها كانت جميلة أو هكذا تخيلت . . تحرك في رأسي شيء كالهاجس وكتبت كلاما صار فيما بعد شعرا . . استرحت تماما وبعدها صرت أكتب كلما افتقدت الراحة . . تتابع فقداني للراحة فتتابعت محاولاتي التكيف بالكتابة حتى اليوم . . وحين أستريح تماما أكف عن الكتابة، ويومها يكون ولدي الصغير الذي سيكبر إن شاء الله يدور في دائرة يحاول استخراج شهادة وفاة طلبوها منه ليكتمل طلب التحاقه بكراج لتصليح السيارات . .

كانت الكتابة وما تزال أداة السير في الزحام . . لكنها فشلت أن تكون شيئا آخر . . سبقني الزملاء والأصدقاء في المكان والمكانة لكنني لم أحزن أبدا . . إنني أبتسم كلما دل أحدهم بمركزه . . أما أنا فقد خبرت الاحتلال احتلال الإنسان والأرض . . فعزفت عن الكثير . . وعزفت على الكثير من الأدوات . كان الموت ـ الشهم يشكل موسيقى القصيدة، وحدث الرواية ونقطة القصة القصيرة . . وبين رؤساء التحرير يقع المركز ويغيب الورق «لكن همي أن أنام كما ينام حيوان الدم البارد» ولم أنجح حتى اليوم في قضاء ليلة واحدة فهاجمني المسرح . . وفناجين القهوة «السكر القليل» .

الوجدان :

كانت الصداقة تقوم على التساوي والمشابهة وما يزال الحب يقوم على التناقض والاختلاف وهكذا ترتفع الصداقة إلى مقولة إنسانية وتتسع فيكون الحب تكوينا ضيقا وغير واضح الألوان من تكويناتها. . أما الحقد والشر فهما بخار إنساني يزول ويعود للظهور. . عرفته تماما. .

لا شيء يبقى ولا شيء يزول. . الأشياء تتحول كثيرا أو قليلا. . وحبذا لو نكتب عنها قبل أن لا نعود قادرين على ذلك. . لقد اتسعت الدائرة الوجدانية حتى حد الهنود الحمر. . فلي بينهم أصدقاء أصدقاء لا يعرفون اللغة لكنهم يحسون بالوجدان الوجدان الإنساني الذي لم يمرض.

قبل ٢٧ سنة وبالتحديد في ١/١٠/١٩٦٢ بدأت صداقتنا كطلاب أذكر منهم (عبد السلام الطروانة، أحمد الصعوب، محمد إسماعيل رومي، حجة، حسن أبو زرقا، عبد الرحمن المعايطة، سليمان الهريشات، علي الهلول، وآخرون ليعذروني بسبب غربال الذاكرة).

كنا ندرس في الجامعة السورية وبسرعة تشكلت الدائرة. . اثنان من الخليل وثلاثة من الكرك وأربعة من السلط وأربعة من نابلس وخمسة من الطفيلة وثلاثة من القدس.

بعض من المدينة وبعض من الريف. بدوي وفلاح، وبين بين. لكننا نركب القطار من المحطة / في عمان إلى حلق ساحة النجمة في دمشق (بعضنا يحمل الزيت والزعتر وبعضنا يحمل الجميد).

بعضنا يتأخر عن الموعد فنقلق عليه، وبعضنا يفوتنا مع القطار ويلحق بالسيارة، ويحدث عن مسافرات جميلات من بنات أفكاره، شاركته مقاعد السيارة.

لعبة الزمن:

أصـدقـائي الزملاء الذين عرفتهم قبل ربع قرن طلبة أنكرتهم وأنكروني حين تقابلنا بعد هذا الزمن. . أنكرتهم وأنكروني لأن الزمن يلعب لعبته الخطرة التي تمكنه دائما من لعبها.

أنا مثل كل الناس، رجل فلاح ابن فلاح بسيط. . ارتبكت أول مرة أسافر فيها من القرية إلى مدينة نابلس. . واندهشت حين سافرت إلى عمان. . وارتعشت حين سافـرت إلى دمشق. . أمـا اليوم فلا يثير في كامن سفـر إلى اليابـان أو إقامة في كاليفورنيا. . فما الذي حدث. .

سأضع الأمور في أسمائها حتى يمكن عدها والتمييز بينها. .



مع هندي أحمر في أمريكا



نابلس محطتي الأولى

الدكتور
عبد الرحمن الكيالي

عاش مع الكلمة منذ صغره ونظم شعره ونال مديح الشاعر الكبير معروف الرصافي وأرخ للشعر الفلسطيني في زمن النكبة.

يروى عن الدكتور عبد الرحمن أنه كان يسير ذات مساء في مرتفعات «بيرزيت» التي كان يدرس في كلتها رأى الأنوار المشعة في ساحل فلسطين فتذكر أيام الصبا في يافا. فهاجه الحنين فنظم قصيدة زاخرة بالعواطف هذه فاتحتها:

«هذي المشاعل في الشطوط مشاعلي
والساحل الضوضاء ذلك ساحلي
هي من دمائي تستمد زيوتها
وضياءها من بسمتي وتفاؤلي
نشرت على الرمل الحبيب شعاعها
ورمت ظلال السحر فوق خمائلي»

حياة د. الكيالي حافلة بالنضال والكفاح بالقول والفعل التقيته في منزله وكانت هذه (المحطات) من ذكرياته:

هنا الرملة:

ولدت في الرملة عام ١٩١٦ كان والدي واعظا ومعلما للدين الإسلامي في مدر سة الرملة الابتدائية وهي نفس المدرسة التي تعلمت فيها عام ١٩٢١ حينما بدأت الحكومة المدنية تدير الشؤون في فلسطين.

والدتي كانت أمية لا تقرأ ولا تكتب، وأبي خريج الجامع الأزهر بدرجة الأهلية المصرية.

أتممت في الرملة ويافا الدراسة الابتدائية وكان في الرملة خامس ابتدائي فقط فأكملت الصف السادس في يافا ثم عدت إلى الرملة بعد سنة بدون دراسة عملت خلالها في الخياطة والتجارة والدهان.

وعندما أنشأوا الصف السادس بالرملة عدت وكان مدير المدرسة وقتها المربي المعروف السيد إبراهيم صنوبر.

كان معي في المرحلة الابتدائية السيد حمدي الحسيني العزي من أحرار فلسطين وقد حدثت له مشكلة هذه تفاصيلها.

زار الرملة أول مندوب سامي مدني إنجليزي أذكر اسمه «صمويل» وأعدت له البلدية احتفالا في موقع «المنتزه» التابع للبلدية. جمعوا له وجوه المنطقة ومن ضمنهم المعلمين.

نحن سعداء أن المعلم حمدي الحسيني لم يعد إلى المدرسة وقبل دخل السجن بسبب رفضه الوقوف أثناء مرور المندوب السامي الإنجليزي فسجنوه عقابا لذلك ثم أفرجوا عنه وفصلوه من الوظيفة.

وعندما نشأت صحيفة «صوت الحق» في يافا لصاحبها المحامي فهمي الحسيني جاء بحمدي الحسيني ليكون رئيسا لتحريرها. وكانت صحيفة وطنية ولم يكن وقتها سوى صحيفة «فلسطين» و «الكرمل».

مظاهرات:

في سنة ١٩٢١ في موسم النبي موسى قامت «طوشة» في القدس بين اليهود والعرب. سمعنا أن أمين الحسيني (لم يكن وقتها لا مفتيا ولا زعيما) وكان شقيقه المفتي السابق الشيخ كامل الحسيني وقد استقبل الحاج أمين الحسيني «اللنبي» وقدم له مفاتيح القدس وكان معه عدد من رجالات القدس الذين أبعدوا إلى الأردن

مثل المرحوم عارف العارف وكامل البديري صاحب جريدة «الوطن» بالقدس.

وبعدة مدة وبعد الاضطرابات والمظاهرات أفرج عن الحاج أمين الحسيني ولم يعرف مصير كامل البديري حتى الآن.

ذهبت إلى الأزهر أواخر ١٩٢٨ وانتسبت إلى الأزهر النظامي الذي كان قد أنشأه الشيخ مصطفى المراغي والذي يدين له الأزهر «بفرعيه» بإدخال العلوم الشرعية.

درست أربع سنوات حصلت على الثانوية من معهد الأزهر. ثم طلبت الالتحاق بدار العلوم العليا التي كانت تابعة لوزارة المعارف التي أنشأها الخديوي إسماعيل.

عام ١٩٣٦ أتممت الدراسة بدار العلوم ودخلت في تلك السنة مسابقة شعرية بمناسبة المعرض الزراعي في مصر. وكان رئيس اللجنة أنطون الجميل رئيس تحرير «الأهرام» وكان في اللجنة الكاتب الراحل فكري أباظة.

كنت الأول على المشاركين بالمسابقة ونشرت القصيدة الفائزة والتي عنوانها «شهداء الحرية» بالأهرام وكانت حول الشهداء محمد جمجوم وعطا الزير وفؤاد حجازي.

قال الرصافي عنه:

نسيت أن أذكر أنني قمت بدور القاضي يحيى في تمثيلية «خروج العرب من الأندلس» وأنا في الصف الخامس الابتدائي وكنت الأول في التمثيل رغم كوني أصغر التلاميذ سنا ونلت جائزة قلم حبر «ووترمان».

وفي مصر في السنة الأخيرة من أيام دار العلوم زار مصر وفد برلماني عراقي وكان من بينهم الشاعر معروف الرصافي وذلك في نيسان ١٩٣٦ وقد دعينا الوفد العراقي إلى نادي الطلاب والذي يضم (فلسطين، سوريا، العراق، وبعض المغاربة) وكان من بين الحضور الحاج أمين الحسيني وعبد الرحمن شهبندر من زعماء سوريا الوطنية.

ألقيت قصيدة اسمها الوحدة العربية الكبرى وأثناءها خاطبت الرصافي قائلا:

«أجزني سمير العرب بالشعر أنني

ذا طرت عن أفنانهم لم أجد شعرا

وفي نهاية القصيدة وقف الرصافي وارتجل كلمة فحواها:

«قولوا لصاحب الرائية أنه صاحب المستقبل الأكبر».

وأضاف لقد أعجبت بالشاعرين شوقي وحافظ ولكني سمعت شاعرا من فلسطين سيكون له شأن كبير.

رجعت إلى الرملة ومكثت «العطلة» ثم عملت مدرسا للغة العربية وآدابها في كلية روضة المعارف بالقدس نهاية سنة ١٩٣٦.

أثناءها كنت ألقي محاضرات في المدرسة التي كانت تحت ظلال الحاج أمين الحسيني.

وثائق القدس:

أول راتب حصلت عليه كان ١٠ جنيهات فلسطينية وفي سنة ١٩٣٨، انتقلت إلى مدرسة ثانوية الخليل وعملت فيها معلما حتى عام ١٩٤٥. تزوجت عام ١٩٤١ ابنة شخص كان مفتشا للمحاكم الشرعية وهو الشيخ سليم العضين / غزة، وكان المهر ١٥٠ جنيها.

سكنت في بيت أجرته ١٤ جنيها فلسطينيا في السنة وكان من أحسن البيوت وكان من زملائي الشيخ خلوصي بسيسو وكان مدير مدرستي ظاهر حمزة (لبناني).

بعد ١٩٤٥ انتقلت مديرا لأيتام القدس. وكان مكتبي في نفس الغرفة التي تحتوي على وثائق القدس التي سرقت. وكان عارف العارف يأتي لتأليف كتاب عن القدس وكنت أعطيه المفاتيح ليستفيد من الوثائق الموجودة.

في عام ١٩٤٩ ارتجت الأحوال، وكنت خلالها ألقي محاضرات وطنية رغم

كوني شيخا معمما.

صرت عضوا في مجلس الموظفين الصغار (الدرجة الثانية) ثم توقف العمل بسبب التصادم بين العرب واليهود. وكنت وقتها أعمل بالقضاء وإدارة المحاكم، بقيت فيها حتى أيار ١٩٤٨.

مواقف:

دعيت سنة ١٩٤٨ أثناء فصل الشتاء إلى كلوب باشا وتوسط صديق في المهمة، ولكنني رفضت وخسرني الصديق ويعود سبب رفضي لإحساسي أن ثمة شيء يريدون تمريره عن طريقي.

موقف آخر، عندما سقطت فلسطين، لم يبق لي عمل، صرت أبحث عن عمل آخر، ولو بقيت لصرت قاضيا للقدس.

وقد طلبني محافظ القدس وقتها المرحوم عبدالله التل واعتذرت، تركت «الجبة» و«العمة» ولبست «أفنديا» ومشيت من باب العامود إلى باب الخليل لكي يراني الناس بعيدا عن «العمة» و«الجبة» ثم ذهبت إلى الشام حيث كانت اللجنة العراقية لاختيار المدرسين، وكان رئيسها الدكتور عبد العزيز الدوري.

من الذين أثروا علي الأساتذة نقولا خوري معلم اللغة العربية ومنه أخذت هواية حب الشعر. وكذلك السادة: محمود علاء الدين وراغب أبو السعود والمحامي راغب الإمام «من يافا».

وأيضا صبحي الأيوبي ـ القدس وكان شابا متحمسا وخطيبا لامعا ومن الشخصيات التاريخية المرحوم الملك غازي.

أما مثالي النضالي فهو سعد زغلول، وفكريا الإماما محمد عبده.

كتب وتلاميذ:

في حياتي، لم أدخل حزبا ولا تنظيما سياسيا وإن كنت أتعاطف مع التنظيمات

ي كنت أشعر أن طريقها سليم .

من تلاميذي : تيسير سبـول وصادق عبد الحق . ومن الوزراء السابقين طاهر
كمت وهاني الخصاونة .

أحب الآيات القرآنية التي تدعو إلى التفكير وحرية التفكير. لي عدة مؤلفات
هرها حول الشعر الفلسطيني في النكبة ومنه حصلت على الدكتوراة في الجزائر
م ١٩٧٣ .

كنت أحضـر ندوات طه حسين وحفـلات أم كلثوم . وأثناء شبابي كنت أقلد
مغنين القادمين من مصر مثل الشيخ أمين حسين ومحمد الصفطي اللذين سمعتهما
، الرحلة .

أحب من الممثلين أمينة رزق وجورج أبيض وأنا من المعجبين بأداء تحية
ريوكا .

عملت في التـدريس وإدارة كلية حوارة، وعملت مفتشـا في التـربية وعمـان
ديرية السلط ومستشارا ثقافيا في الجزائر وخبيرا تربويا لوزارة التربية والتعليم في
جزائر ومدرسا للآداب العربية في جامعة قسنطينة بالجزائر أيضا لمدة عشر سنوات .

حصلت على وسام القدس من الرئيس عرفات .



في كلية موارة عام ١٩٦٢ (الخامس من الصف الأول)



في مصر بالطربوش والنظارة عام ١٩٣٦



د. عبد الرحمن الكيالي



طالب في الأزهر عام ١٩٣٠

الشيخ عواد
السطام الفايز

وكأني جالس في حضرة التاريخ أستمع إلى الماضي وهو «يحاضر» عن الشهامة والمروءة والشجاعة.

اختصر بهذه الجملة مشاعري في لقاء فارس بني صخر الشيخ عواد السطام الذي طوى بين أضلاعه ١٢٥ عاما.

كانت ظروف اللقاء صعبة، فإقناعه بالفكرة استغرق وقتا قضاه حفيده السيد «ثامر» الذي استمد الكثير من صفات جده وجملها بدماثة خلقه الطيب.

الشيخ عواد لا يتحدث، بل يفعل، ومع ذلك اقتنع أخيرا وذهبنا (الزميلان أحمد شاكر وتوفيق العابد) والمصور فؤاد أبو طالب.. وأنا إلى حيث يقيم شيخنا الجليل..

عندما قابلناه لم يبد عليه الزمن كثيرا، فاختفت «العكازة» وكانت حركته وذهنه يشعر المرء بأنه أمام كتاب في تاريخ الأردن بل وفي الجغرافيا أيضا.

أكثر الأسماء التي تكررت في الحديث الشيخ مثقال الفايز والد العين عاكف الفايز، الذي يحمل له شيخنا على التقدير ليس لأنه شقيق ورفيق رحلته بل لشهامته وشدة بأسه.

الشيخ عواد كان يتحدث عن رفاقه أكثر من حديثه عن نفسه، يروي تفاصيل بطولاتهم وينأى بنفسه، ليؤكد لنا أصالته ونبل صفاته.

أعترف لكم أنني كنت أتمنى لو أن اللقاء تم عبر كاميرات وميكروفون

التلفزيون حتى نستطيع نقل مشاعر وحماس ودهشة وسرعة بديهة فارس بني صخر.

فالكلمات تظل محاصرة في هذه الحالة، وعاجزة عن تصوير كل شيء.

لقد كان حديث شيخنا بالنسبة لي بمثابة درس في التاريخ ورحلة غوص في أعماق الأردن.

الوهابيون في «أم العمد»:

هاجمنا الوهابيون حتى وصلوا «أم العمد» وكان معي أربعة خيالة قتلوا جميعا، فصددناهم ومنعناهم من مواصلة هجومهم وغزوهم لمنطقتنا. ولا تزال يدي بقايا طعناتهم. حيث ماتت تحتي ست من الخيل وتابعت ورفاقي رحلتنا في رد الوهابيين عن أرضنا إلا أن وصلت النجدة وتمكنا من صد الغزو الشامل.

ثم حاربنا الأتراك مع الأمير فيصل، حاربت معه خمسة أشهر وكان كريما معي، وكان أخي الشيخ مثقال الفايز يحارب جمال باشا، وكانت تربطه بالمغفور له الأمير عبدالله صلات وثيقة.

فقد تلقاه ومن معه عندما جاءوا أول مرة على ظهور «الهجن» وأنزلهم «أبو سلطان» في بيته وأكرمهم أيما كرم.

نحن وفلسطين.. واحد:

علاقتنا بفلسطين والفلسطينيين قديمة، أذكر أنني عدت عام ١٩٤٨ مع مصطفى الخيري والذي نمت في بيارته في الرملة، حيث حاربنا اليهود فقتلنا منهم ٨٣ رجلا.

زرت حيفا ويافا والرملة والفالوجة والخليل وبيت جبريل وأحببت فلسطين فهي أطيب أرض وشعبها أحسن شعب وأنا الآن أتأثر ويهتز بدني حين أشاهد اليهود يطاردون أطفال الانتفاضة ويجرون نساءنا ويضروبون أخوتنا.

وقد قدم بني صخر المئات من الشهداء على ثرى فلسطين وتربطنا منذ قديم

الزمان صلات بالمناضلين الفلسطينيين وهنا أذكر أن الإنجليز سجنوا الشيخ مثقال في القدس وكنا نتبادل التجارة مع أهل فلسطين. وكان التجار يأتون من نابلس لأخذ الحبوب مقابل ما يلزمنا من المواد التموينية.

شاركت في أول عملية غزو عندما كان عمري ١٢ عاما وقد كان من عادة البدو الغزو، وكانوا يتحاربون ويتصالحون وهكذا..

وكان عملنا الرئيسي بالزراعة وكان الخير موجودا أكثر من أي وقت آخر. وكنا نساعد الحجاج في الطريق إلى مكة والمدينة.

بطبيعة الحال لم يكن هناك جوازات سفر، وكنا نذهب إلى فلسطين مثلما نذهب إلى عمان.

كنا نشرق ونغرب مع «العرب» في العراق والسعودية وسوريا وفلسطين، وكانت مناطق بني صخر تمتد من «القريات» حتى «درعا» بالإضافة إلى مناطق أخرى مثل «الخريشة» و «كفر جايز» في إربد وحتى حدود محافظة الكرك.

سياسة:

الأمير عبدالله كان يعتبر الشيخ مثقال الفايز روحه وكان الأخير يرتبط به مباشرة، حتى أنه حدث أن اختلف مع توفيق أبو الهدى رئيس الوزراء الأسبق في عهد الإمارة وهدده فسارع أبو الهدى لتقديم استقالته للأمير عبدالله الذي وضع الشيخ مثقال في السجن، وطالبت «بني صخر» بتحرير شيخها وخرج مثقال بعد ستة أيام.

كان الشيخ مثقال الذي مات عن عمر يناهز الـ ١٢٥ عاما لا يطيق كلوب باشا «أبو حنيك»، وكان الأول لا يراجعه في أية مشكلة بل يذهب مباشرة إلى الأمير عبدالله.

وهنا أذكر قول الشيخ مثقال لـ «كلوب باشا»، عندما قال له: «لقد خلصتنا من الأمراض الجسدية وبليتنا بالصهيونية».

٢٢ زوجة :

تزوجت **٢٢** امرأة، كنت أتزوج وأطلق وكنت أدفع المهر جمالا، وكانت أول زوجة لي ابنة عمي «أم نورس» لي من الأبناء **٥** ذكور و**١١** من الإناث ومن الأحفاد **١٠٠** حفيد.

كان الناس يتعاملون بالغنم والبعير وكان الراعي يأخذ أجرته على كل **٥٠** ناقة بعيرا. وكنا نسقي الخيل من حليب النياق والفرس الأصيلة يبادلونها بـ **٤٠** ناقة.

أنا أصغر أخوتي، مات أبي وأنا في بطن أمي..

لم يكن مثل الشيخ مثقال أحد وكان شيخ بني صخر بحق وحقيق.

آخر زوجاتي «فاعورية» عمرها (**٣٠**) سنة، تزوجتها قبل **٥** سنوات، لم أذهب إلى الطبيب سوى مرة واحدة في حياتي حيث أجريت لي عملية بسيطة.

لا أدخن ولا آكل إلا السمن البلدي وطعامي المفضل «المنسف» ولا آكل لحم الدجاج ولا أسهر.

أول أبنائي نورس ولد عام **١٩١٨** وآخرهم فواز عمره **٢٥** عاما.

مع العراق :

منذ بداية أزمة الخليج ونحن مع العراق وقد تنازلت عن آلاف الدنانير من أجل موقفي..

لقد أعطى لنا جلالة الملك الحسين مثلا في العطاء والروح العربية الأصيلة حين دعم العراق ومد يده للرئيس صدام وسرنا وراءه دون أن نفكر بالمكاسب والمغانم.

سلامة الحسين :

بالنسبة لي فقد تشرفت بلقاء جلالة الملك الحسين عدة مرات، وكان يقول لي :

أطلب، وكنت دائما أطلب شيئا واحدا، أن يمد الله في عمر جلالته.

هناك مشكلة تتعلق بفرز أراض لنا وقد مرت عليها الأيام والإجراءات دون أن نصل إلى الحل..

أثناء حديثنا مع الشيخ عواد بلغنا نبأ دخول الحسين للمدينة الطبية.. وعلى الفور انتفض شيخنا وهم بزيارته..

وظل يردد: أبو عبدالله على راسنا من فوق.. من فوق..



عواد السكام الفايز





تجاعيد يديه تشهد على آثار الزمن

د. فايز أبو جابر

جاء يحمـل كتـابين أحـدهمـا ديـوان شعر والآخر بعنوان «التاريخ ال
الحديث» قدم نفسه بينما كنت أقرأ خطوط الشيب التي اكتسحت شعره.

د. فـايـز صالح أبو جابر: بعد لحظات من اللقاء شعرت برغبة في م
واستـرداد ماضيـه، فهو جزء مهم من مستقبله. ثلاثون سنة عاملا وطالبا
ومحاورا في بلاد العم سام، ثلاثون سنة وعدة مؤلفات والكثير من تعب الخ
الصهاينة.

عدنا للماضي، إلى نقطة الصفر، حيث بدأ أول مرة. دعوني أقدم لك
ذكريات د. أبو جابر.

قرية أبو جابر:

ولدت عام ١٩٢٧ في بلدة «اليادودة» جنوب عمان وكانوا يسمونها قرية أبو
أخوتي ستة وسابعهم أنا ولنا شقيقة واحدة. عشنا في القرية التي خلت إلا من
يكن يسكنها سوانا وعمال الأرض الذين كانوا يحرثونها وكانوا أصلا من قريتي «
و «عقربة» وعددهم زاد على الأربعمائة شخص.

أبي كان يحضر لنا المعلم «سليمان» من الضفة الغربية ليعلمنا اللغة
واللغة الإنجليزية والفرنسية. أما والدتي فقد كانت من الناصرة، تعرف إليها
أثناء الحرب العالمية الأولى، حيث كان يعمل في الجيش وخطبها من أهلها
معا إلى «اليادودة» لكن ذلك لم يعجبها، ثم تكيفت مع الوضع الجديد.

أمي الناصرية كانت خريجة كلية حيفا لإعداد المعلمين. مثقفة وتتحدث الإنجليزية وقد أثر ذلك علينا وعلى ثقافتنا وتعليمنا.

عندما بلغت الثامنة، انتقلنا إلى عمان وكان ذلك عام ١٩٣٦ حيث درست في مدرسة المطران. وكان من زملائي وقتها أبناء ملحس وأبناء عصفور والسيد جلال باشا خوتات من كبار الضباط في قواتنا المسلحة حاليا.

عام ١٩٤٥ تخرجنا من المدرسة وكان عددنا ثلاثة عشر طالبا، وجاء تخرجنا في أسبوع انتهاء الحرب العالمية الثانية.

نحن وجلوب باشا.. جيران:

بعد الحرب العالمية الثانية، كان أغلب الناس يدخلون الجيش. وحدث أن كان جلوب باشا يسكن بجوارنا في جبل عمان، وكان أبي يزوره وتحدث معه بالإنجليزية. وقد حاول إدخالي الجيش لكنني أثرت العمل في شركة النفط العراقية بالمفرق من عام ١٩٤٥ إلى عام ١٩٥٠.

في تلك الأيام، كانوا يبنون الخط الواصل من كركوك إلى حيفا. عندما بدأت حرب الـ ١٩٤٨ جاء الجيش العراقي إلى المفرق.

أثناء ذلك، ترك أحد زملائنا العمل وغاب خمسة شهور ليفاجئني برسالة من أمريكا يحمسني فيها للدراسة والعمل هناك.

لم يكن معنا المال الكافي رغم امتلاكنا لأراض كثيرة، لكن سعر الدونم وقتها كان لا يزيد على الثلاثة دنانير.

أعجبتني الفكرة، وأخذت أجمع المال من الناس، وأرسل للجامعات الأمريكية رسائل أطلب منهم الدراسة مقابل منحة. وبعد جهد جهيد جمعت مبلغ (٧٥) جنيها فلسطينيا ـ عملة ذلك الزمان ـ وكانت أجرة السفينة التركية التي رحلت بي لمدة خمسة وعشرين يوما حتى بلغت أمريكا.

«كولمبوس» الأردني:

عندما وصلت بلاد العم سام شعرت أنني «كولمبوس» الأردني. كل شيء مخيف. بلاد عجيبة، مثيرة، شاسعة، وأنا غريب فيها.

صدفة، قابلت سيدة عجوز، اكتشفنا أننا أقارب. وأخذتني معها من «سيراكيوز» إلى نيويورك.

هنا اعتمدت على نفسي في كل شيء. عملت في المصانع ليلا، لم أدع عملا يتعب علي.

درست الهندسة لمدة عامين في البداية ثم حولت إلى دراسة العلوم السياسية، وتعرفت إلى د. إبراهيم أبو لغد الذي يعمل الآن أستاذا في جامعة «نورث وستون» في شيكاغو.

تخرجت عام ١٩٥٤ وحصلت على البكالوريوس. ولما كانت علاماتي ممتازة فقد قبلت في الدراسات العليا بالجامعة ذاتها. وحصلت على الماجستير عام ١٩٥٦ ثم فكرت بالعودة إلى الأردن، وقدمت طلبا لوزارة المعارف لكنني لم أوفق في ذلك.

بدأت حرب «الـ ٥٦» والعدوان الثلاثي على مصر، في الوقت الذي كنت أستعد للسفر ثانية إلى أمريكا للحصول على شهادة الدكتوراة.

عام ١٩٥٧ عملت مدرسا في ثانويات نيويورك. كنت أعمل في النهار وأذهب إلى الجامعة ـ طالبا ـ في الليل استمر ذلك حتى عام ١٩٦٠.

بعدها عينت أستاذا مساعدا في جامعة ولاية نيويورك التي كانت تضم ثلاثة مائة ألف طالب وطالبة. كنت أدرس العلاقات الدولية والفكر السياسي الحديث وحصة عن الشرق الأوسط.

مع الجامعات العربية:

عام ١٩٦١ طلب مني مكتب الجامعة العربية بواشنطن التحدث حول القضية

الفلسطينية والقضايا العربية عبر التلفزة الأمريكية. كان العمل شاقا، خاصة في ظل ضغط صهيوني كبير، حتى أن بعضنا كان يصاب بالانهيار العصبي جراء ذلك.

كنا - الأساتذة العرب - نحول أي درس إلى القضية الفلسطينية والقضايا العربية كقضية استقلال الجزائر وقناة السويس.

عام ١٩٦٤ حصلت على درجة الدكتوراة وكانت حول «مصر والحرب الباردة» ونشرت - الرسالة - كتابا بعنوان «علاقات العرب الأمريكية من ويلسون إلى نيكسون عام ١٩٧٢ وباللغة الإنجليزية.

عام ١٩٦٦ عينت أستاذا في الجامعة، وكا وقتها حرب فيتنام التي شغلتني كثيرا وجعلتني أهتم بموضوع جنوب شرق آسيا لدرجة أعتقد أن الاستعمار المغربي بدأ ضد جنوب شرق آسيا بروح صليبية.

تزوجت من أمريكية أنجبت لي ولدا اسمه طارق يعمل مع السيناتور جيمس أبو رزق في واشنطن.

نشرت عام ١٩٧٣ كتابا عن قضايا الشرق الأوسط بالإنجليزية، وكتابا عن «الحرب الجزائرية» أرسلت منه نسخة إلى الرئيس الأسبق أحمد بن بيلا الذي رد علي بكتاب شكر.

المعركة:

عام ١٩٧٤ أثناء عملي في الجامعة هاتفني السيناتور وليم فولبرايت الذي كان يعمل رئيسا للجنة العلاقات الدولية في مجلس الشيوخ الأمريكي. فولبرايت كان يحب أمريكا ويكره إسرائيل واللوبي الصهيوني وتسلطه على السياسة الأمريكية. وذات حفلة قال لي موشاشا «هل تظنون أنفسكم مستعمرين، اللوبي اللصهيوني هو استعمار لنا» عندما وقعت حرب ١٩٧٣، أخذت أشرح عن القضية العربية من خلال التلفزة الأمريكية. تحدثت عن مصالح أمريكا لدى العرب.

مما دعا السيناتور فولبرايت لمهاتفتي ثانية ودعوني للقاء لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ.

كان أغلب أعضاء المجلس من الصهاينة، حدث أن اشتد الحوار بيني وبين أكثرهم شراسة «جافتس» من كبار دعاة الصهيونية. وبقيت أتحدث عن حقوق العرب وقلت إن إسرائيل هي مرض في الجسد الأمريكي.

كل ذلك انعكس ضدي، ولم أهتم لذلك وبقيت في الجامعة لمدة خمسة وعشرين عاما حيث تقاعدت وعدت للأردن لأتفرغ للكتابة والتأليف.



د. أبو جابر عام ١٩٦٦



○ يتابع عمله



مع رئيس جامعة ولاية نيويورك وسفير الهند في واشنطن

الشيخ محمود أبو هديب

الشيخ محمود أبو هديب حقل من التجارب والتعب والنضال منذ ثلاثينيات هذا الوطن. . وهذا الجرح الفلسطيني الممتد. لم تبق مساحة في جسده إلا واحتضنت جرحا أو عانقت شبرا من أرض الوطن المحتل. حتى وددت لو نطق الجسد لأفاض وباح بما لم تستطعه كلمات اللسان. فمعذرة لهذا الاختصار:

أعصاب من حديد:

ولدت عام ١٩١٦ في قرية «سيدنا علي» قضاء يافا.

منذ صغري وأنا أحلم بالأرض وأعيش في الوطن ويعيش في داخلي تماما مثل شراييني وأوردتي ونبضاتي.

فعلت ما يفعله سواي، تزوجت وأنجبت، وكبر الأولاد وتزوجوا وأنجبوا وهكذا امتدت الحياة وبقيت «خميرة» التجربة والوعي والنضال ما يميزني، وهي شهادة على أني لا أزال على قيد الحياة.

أخذت من كل «ثورة» نياشين هي الإصابات التي انتشرت على جسدي كمواقع على خارطة.

ففي إحدى المرات، سارت معي مجموعتان من الشباب، واحدة صوب نابلس وأخرى صوب قلقيلية لضرب معسكرات اليهود. وبقيت أخطط وأناور أكثر من خمسة وعشرين سنة كنت أنام في بيتي، أخطط للدخول والخروج.

وذات يوم تلثمنا بالحطات، وما أن غابت الشمس حتى أعلنت بداية الرحلة.

أذكر عام ١٩٤٩ عندما شاركنا الأخوة العراقيين معاركنا في فلسطين ضد الصهاينة.

أكلنا بطيخا ولوبيا وتسللنا إلى مواقع اليهود وأخذنا منهم بقرة وحلبناها ثم أعدناها دون أن يشعروا بذلك.

وهنا أذكر كيف دخلنا إلى الـ «كبانية» واقتحمنا أحد المنازل، وإذا بالجنود على الباب كانت بيدي بندقية، لكن الرصاص أبى أن ينطلق، حام الجندي حولي وبيده سكين مرت لحظات كثيفة من الرعب حسبتها دهرا كاملا قبل أن تنطلق الرصاصة التي حسمت الموقت تماما لصالحي!!

شرق الفارعة:

كنا نغزو العدو بشكل متواصل، أعصابي كانت كالحديد والخوف ضل سبيله إلي. كل ذلك بفضل الله وإيماني بقضيتي.

سرنا مسافات كبيرة يحمل كل منا (١٢) كيلو من العتاد على كتفه. دخلنا إلى (خص) قرب إحدى البيارات. شاهدنا أحد الكلاب، أخذ ينبح فهم صاحب البيارة. قالت له زوجته أفطر ولا تدخل البيارة، يبدو أن هناك ضيوفا عندنا. استوعب الرجل الأمر (وقد كان واحدا من أبناء شرق الفارعة).

رأيت طائرة هيلوكبتر تحلق في السماء. واندلع الميكروفون طالبا أصحاب «البيارة» للخروج. أمرت رجالي بعدم إطلاق النار إلا على بعد (٥) متر فقط. واختفينا داخل الحشيش الأخضر حتى غابت الشمس.

الإسفلت:

شاهدت بالمنظار رصاص العدو يحرق الأرض أمامنا بقينا صامتين حتى رحل النهار وسكت الرصاص. قلت لرفاقي: ثمة طريق سوف نسلكه، التزموا بالخطة.

قطعنا السلك وزحفنا على بطوننا وتبعوني واحدا . . واحدا. أطلقت إشارة بسيطة حيث ألقيت حجرا وقلت للمجموعة إياكم أن تطلقوا الرصاص، حتى لو داست دبابة، الوضع في غاية الحرج. كنت قاسيا مع رجالي، فالعواطف كلها للوطن والحزم فيصل هذا الموقف.

أخذت الكلاب تنبح. اتسعت دائرة الأمان حين بدأت النساء يسندعين. اقتربنا من البيوت وأعطانا الأهالي خبزا وماء، ثم تابعنا المسير شمال نابلس طوال الليل حتى طلع النهار.

كانت الأرض مكشوفة، وبعد أن نفذ الطعام والشراب، وضعنا «الحصى» تحت ألسنتنا ودعوت الجميع للصبر. قابلنا سيدة عجوزا، أخبرناها عن وجهتنا وموهنا بأننا سنتجه إلى «بديا» جنوبا، أعطتنا طعاما وشايا. عادت الكلاب للنباح. توقفنا أمام بيت من الشعر، خرج صوت غامض، قال: مين؟ تفضلوا. قام صاحب البيت ورحب بنا وأشعل نارا. وطمأننا أنه لا يوجد يهود ووعد بتوصيلنا إلى منطقة آمنة.

داخل مغارة:

كذبت على الرجل قلت له أن «الثورة» تعرف أننا عندك. وكان قصدي تخويفه حتى لا يضعف ويخبر عنا.

وصلنا مغارة كبيرة. وهناك منحته (١٢) دينارا لإنسانيته. وفي اليوم التالي ـ عند الغروب ـ عاد الرجل ليحضر طعاما مموها بوضع حزم من الأعشاب فوق رأس زوجته.

تحركنا إلى (كفر عبوش) وهي القرية التي أعرفها جيدا. قضينا فيها ثلاثة عشر يوما. أخبرنا الناس أننا جئنا للاستطلاع، فمنحونا الدفء وخبز «الشراك».

كانت كل مجموعة تحمل خمس قنابل متصلة بساعة توقيت وكذلك صواريخ تقدمنا صوب المعسكر المطلوب، وقد كان محاطا بالبيارات.

أعـددنـا القنـابل والصواريخ المحمولة على الأكتاف واشرأبت نفوسنا لإنجاز العملية حسب الخطة المرسومة. كانت ليلة حاسمة، التهمت خلالها (١٠) أرغفة من خبـز «الشـراك» شعرت أن نفسي مفتوحة ربما لنجاح المهمة. وصلنا المكان صباحا، وعندما نبح الكلب عرف صاحبنا الذي قادنا إلى المغارة منحناه النقود ليأتينا بالطعام.

نمنا ليلة وخرجنا لنلاقي العدو وقد انتشروا في ساحة المعسكر للتدريب. وفي اللحـظة التي اكتمـل فيهـا عددهم أرسلنـا القنـابل ضد الأفراد واشتعلت الأرض بالرصاص والقنابل والصواريخ. جاءت طائرات العدو وحاصرت المنطقة وهرعت الآليات والمـدرعـات واستطعنا إنجاز المهمة والعودة سالمين بعدما اختفينا داخل بيوت أهالي «...».

«البحري» يحكي قصته:

كنت مع الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦، وكان وقتها القائد عارف عبد الرزاق. حضرت مواقع كثيرة في «دير غسانة» حيث ضربنا طيران العدو فانسحبنا إلى «بديا».

أخـذت مجمـوعة «المغار» ونجحنا بتحدي الطوق المضروب حولنا. عملت مزارعا في «بسط الفالق» شمال «سيدنا علي» يافا، رعيت الغنم وتهربت إلى مصر أيام الإنجليز لمدة سنتين سرت إلى صحراء سيناء عشرة أيام إلى أرض الكنانة، حتى انتهى الانتـداب البريطاني، عندها عدت إلى بلدي، هاجرنا إلى «جبل نابلس» وقضيت هناك خمسة عشر عاما كنت فلاحا أزرع وأعمل، وأنجبت عشرة أبناء ٥ أولاد و٥ بنات.

سنوات السجن:

في ١١ نيسان عام ١٩٨٦ تم اعتقالي، حملني جنود الاحتلال وربطوا يدي، بينما كانت عدة رصاصات تخرق رجلي ويدي، وبقيت رصاصة في كتفي.

حكموا علي بثلاث سنوات سجن وعامين مع وقف التنفيذ وبعد دخولي السجن تم نقلي إلى مستشفى هداسا إلى سجن القدس الذي يسمى «المسلخ» حيث يضم زنازين وسجنا عاديا.

قدمت إفادتي وأنا نائم من شدة التعذيب والتعب، قبل أن يحملوني إلى الزنزانة.

المساجين هم الذين ساعدوني، وكنت أرتاح لهم وأشفق على أشكالهم التي غيرها التعذيب والضرب.. بقيت أربعة شهور على عربة أتألم، بعدها نقلوني إلى سجن رام الله.

تعرفت على عالم عجيب في الزنزانة، كان ثمة أناس يأتون للتسليم علي، عرفت فيما بعد أنهم عملاء، ويطلقون عليهم «العصافير» أخبروني أنهم مناضلون سألوني عن انتمائي وحكايات كثيرة أوردوها، ثم كشفت أمرهم.

ملفات:

كان كل سجين يحكي قصته ويوقع عليها، حتى بلغت «الملفات» «٢٣» ملفا سموها «كورسات».

بعد مدة، بدأت أفتش عن ملفي الذي أوردت فيه حكاياتي وأرسلت إلى المحامية «ليئا تسيمل» وهي إسرائيلية، وقد أخبرتني أن أولئك الرجال هم عملاء وجواسيس.

مع ذلك طلبت أن أبقى معهم، وبدأت أحكي لهم حكايات مزيفة. وبعد ثلاثة شهور شعروا أنهم لم يستفيدوا مني شيئا، رغم كل أساليبهم وألاعيبهم.

جاءني أحدهم لوحده، جلس معي، قلت له إن هؤلاء الخونة، لا تصدقهم. خرج وأخبر المسؤولين وعلى الفور طلبوا مني أن أغير الزنزانة وعزلوني عن باقي المساجين.

حقق معي مدير المخابرات في السجن واسمه «أبو غازي» وهو يهودي حاولت التمويه بإخباره أن كل ما أعرفه مصدره الكتب. قال: سوف نخرجك ما دمت تعرف، ووعدني بمعاملة حسنة.

محاميتي أيضا أكدت أقوالي لهم وأخبرتهم أن إفادتي تلك ما هي إلا رواية مجردة من الواقع.

إلى سجن «الرملة»:

أرسلوني إلى سجن «الرملة» ووجدت أشخاصا بأيد مقطوعة وعيون مفقوءة.

خشيت أن يفسدوا قدمي المصابة، عندما علمت أن الطبيب يغش الدواء. ولهذا، نقلوني إلى سجن «بيت ليد». في هذا السجن ستة أقسام، كل قسم لوحده، كانوا يضعون كل اثنين في غرفة.

كان طعامنا في السجن من النوعية الرديئة الفاسدة، أما النظافة فهي معدومة، إلا إذا دفع السجين مبلغا لعامل النظافة.

أياما مرعبة عشتها في سجون الاحتلال، واعتادوا كلما نقلوني من سجن لآخر، أن يغطوا وجهي ويقذفوني في قاع السيارة.

منعوا عني الزيارات حتى تمت محاكمتي في «نابلس» حضرت المحامية قالت في المحكمة: إنه لا يجوز أن يحاكم هذا «الختيار» وعمره «٨٣» سنة، لأن القانون الإسرائيلي يمنع محاكمة من هم في سني مهما فعل، فقط يبعدونه خارج بلده.

أطفال الانتفاضة:

كنت أراهم دائما وفي أي سجن أنقل إليه. وكنت ألمح في عيونهم بريقا متجددا وأملا في التحرير.

قالوا: «لو بقي فلسطيني واحد على الأرض سيظل يقاوم».

أشفقت على هؤلاء الصغـار، وزادوا من جرحي، فأنا أشعر أننا نحن الرجال والشيوخ الذين يجب أن يقاتلوا ويحموا الأطفال والنساء.

جنود الاحتلال أمسكوا طفلا أمامي، أخذوا يعذبونه ويضربونه وهو يقول: نحن سنقاتل، افعلوا ما تريدون.

قلت للصغار الأبطال: إنني عجوز وأعمل أكثر منكم.

ردوا: كلنا للوطن يا شيخنا الجليل!

عرفت ـ من خلال وجودي في السجن ـ أن جنود الاحتلال يتعاطون «الحشيش» والمخدرات، وقد باع أحدهم بندقيته مقابل قطعة حشيش.

أثناء اعتقالي سرقوا ملابسي التي احضرها الصليب الأحمر وعندما سألتهم: أنكروا ذلك.

وأضافوا: لا يوجد قانون في إسرائيل، إننا أحزاب نسير معا دون حكومة.

الإفراج:

سنوات السجن الطويلة، مرت كأنها أسبوع، فماذا تعني خمس سنوات أمام السجن المؤبد بكى أصحابي في السجن عندما غادرتهم، قلت لهم: ابكوا على الأطفال الذين يتعذبون. وقد حاولت البقاء في السجن وحزنت لأنني خرجت!

كنت أريد البقاء في السجن لتعليم الأطفال الذين استعملت قوات الاحتلال كل الطرق لتعذيبهم، فأحرقتهم في قلقيلية، دون جدوى.

عندما حان موعد نقلي من السجن، غطوا وجهي بقطعة قماش قاتمة وقذفوني داخل إحدى السيارات التي انطلقت من وطني الذي أحببته ومنحته سنوات عمري كلها وسأظل أفديه بدمي وروحي!



محمود أبو هديب



منظر قديم لشاطىء يافا

الشيخ محمد يونس العزة

عندما. . يجتمع الرجال لأمر جلل تتجه العيون إلى الشيخ محمد يونس العزة تارة إلى فنجان «الجاهة» وتارة إلى ملامحه حيث تدور معركة صامتة تنتهي بحل مشكلة أو نزع الفتيل من كارثة اجتماعية كان يمكن أن تقع، أو موافقة على «طالب قرب» جمع القوم لتسليك الطريق إلى العروس.

مناضل قديم من «بيت جبرين» قاوم مع أهل فلسطين الإنجليز واليهود وكان يقطع قوافل المؤن عنهم وهو يتحصن بكبرياء الجبال.

ورث مهمته الصعبة «القضاء العشائري» عن والده مختار القرية، وانتقل إلى شمال الأردن ليتابع مهمته.

كان عضواً بالمجلس الوطني الفلسطيني الأول، وعضوا في اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الوطني عام ١٩٧١، وكان عضوا في المجلس الاستشاري الأردني الأول. التقيته في «إربد» وساعدني في مهمتي ابنه المحامي مصلح العزة وكان هذا الحديث:

بيت جبرين. . بيتنا:

ولدت في قرية بيت جبرين الواقعة غرب الخليل وعلى مسافة ٢٥ كليو مترا. .

التحقت بمدرسة الكتاب في البلدة وحفظت القرآن، كما تعلمت القراءة والكتابة، ثم ولاني كبير أخوتي. عملت بالفلاحة ـ فلاحة أرضنا ـ.

تزوجت عام ١٩٣٦ ورزقت بثمانية أبناء، ستة منهم ذكور وبنتان، أكبرهم يونس

ويحمل البكالوريوس في التجارة ويعمل معلما في وكالة الغوث، والابن الثاني (كان يعمل في كهرباء الكويت) وولدي الثالث مصلح المحامي والذي يعمل بالمحاماة ويشغل منصب نائب رئيس بلدية إربد ثم ولدي أكرم (خدم في الجيش العراقي **٢٦** عاما وتقاعد برتبة عقيد) وهناك صلاح وخالد.

منذ بداية حياتي وفي طفولتي أتذكر خروج الجيوش التركية من فلسطين وقدوم القوات البريطانية.

وأذكر كيف أن الجيش التركي وضع مدافعه في البلدة وأخذ يطلق النار باتجاه الجنوب، نحو «عراق المنشية» وفي اتجاه غزة.

أذكر أن القوات التركية تركت بلدتنا وانسحبت إلى الشمال دون أن تصطدم بالقوات البريطانية، وعندما كبرت، عرفت أن القوات البريطانية اتجهت صوب الشرق ثم الشمال واحتلت الخليل واتجهت صوب القدس.

بعد هذا الحدث أخذت السنوات تمر في حياتي، وأخذت أتلمس حقيقة الوجود البريطاني على أرضنا فلسطين، وكيف أصبح اليهود يتزاودون بشكل مستمر.

وكيف كان يواجه الشعب الفلسطيني كل هذا، حيث المظاهرات والثورات لمقاومة هذا الاحتلال، وهذا الاغتصاب.

مقاومة:

لقد شاركت قريتنا (بيت جبرين) مدن وقرى فلسطين كلها في ثورة **١٩٢٩**، حيث قمت (أنا ومجموعة من الشباب) في القرية، ونحن لا نملك سوى أربع بنادق (ثلاث من نوع بيادي ألماني وواحدة من نوع صواري إنكليزي وجميعها من مخلفات الحرب العالمية الأولى) بالتحرك نحو «عرتوف» التي تبعد ١٤٠ كيلو متراً شمال بلدتنا، فوجدنا أنه قد تم تدمير القرية.

ثم توجهنا إلى «سجد» للانضمام إلى المناضلين الذين كانوا يزعمون يتمركزون

بها، وفي هذه المعركة استشهد ابن عمي (علي محمود العزة) من تل الصافي واثنان من قرية بيت عطاب وجـرح آخـرون، وانتهى الوضع إلى قدوم القوات البريطانية لحماية اليهود.

في عام ١٩٣٦ الذي شهد الإضراب الشهير، تشكلت في البلدة لجنة للإشراف على الإضـراب والاتصـال بالمنـاضلين في أنحاء فلسطين، وكنت أحد أعضائها بالإضافة إلى سعيد العزة وعبد الفتاح القيسي وأحمد طربوش وأحمد الحموز وأحمد غطاشة.

لكن الإنجليز يعاونهم اليهود أخذوا يعيثون في البلاد والنفوس فسادا، وأخذوا ينفذون سياسة «فرِّق تسد» بهدف تفتيت وتمزيق الصف ومنع الإضراب.

صاروا يشجعـون طرفـا على طرف آخر، ويقسمون الناس إلى بدوي ومدني وفلاح وأثاروا نعرة القيسي واليمني والشمالي والجنوبي، وكان ثمة أناس من ضعاف النفوس يقعون في شرك هذه الفتنة.

شخصيات من فلسطين:

شاركت في المؤتمـر المعقـود في بيت جبـرين عام ١٩٣٦ والـذي حضـرته شخصيات تمثل مدن وقرى فلسطين وكان من بينهم رشدي الشوا (من غزة) وحمدي الحسيني، ومن الخليل رئيس البلدية ناصر الدين والشيخ عبد الحي عرفة والشيخ محمود الحموري والشيخ عبدالله طهبوب وعليان أبو غريبة ورشاد الخطيب ومن يافا الـدكتـور هيكل والشيخ أبو الجبين وعبد الرحمن الحاج وحسن السكسك، ومن القدس جمال الحسيني وأميل الغوري وحسن صدقي الدجاني وعبد الرحمن عريقات.

ومن عجور عبد المجيد يوسف العزة ومحمد حسن أبو مُرَّار والحاج مسلم وعبد المجيد سلامـة ومن تل الصافي خليل عبد العزيز العزة، ومن بيت جبرين يونس

وسعيد العزة وعبد الفتاح القيسي وأحمد أبو طربوش وأحمد الحموز وأحمد غطاشة، ومن صفد صبحي الخضراء، ومن طبريا الشيخ نايف الطبري ومن نابلس أحمد الشكعة والحاج نمر النابلسي وأنس عبد الهادي.

وانتهى الاجتماع بقرار منع الهجرة ومحاربة بيع الأراضي بالاستقلال الإداري، ورفعت هذه المطالب إلى المندوب السامي ووزارة المستعمرات، ومع تزايد التواجد الصهيوني في فلسطين بدأت الاشتباكات بين الثوار والإنكليز واليهود في كل مدن وقرى فلسطين وتشكلت وحدات من المناضلين في كل مكان.

بعد معركة قام بها الثوار بالهجوم على بئر السبع بقيادة عبد الحليم الجيلاني (أبو زيدان)، حضر إلى بيت جبرين عدد من قادة الثوار أذكر منهم عيد اجنيد وهاشم الدويك ومحمد عصفور من الخليل ومحمد مرعب من حلحول وعبد ربه أبو دية من نوبا وعبد الرحمن عواد من ترقوميا طالبين دعم الثوار ومدهم بالمال.

وقد رفضت هذه الفكرة ودعوت إلى المشاركة بالنضال وليس الإسهام في تقديم المال فقط، وتم الاتفاق مع قيادة الثورة على العودة بعد أسبوعين، كما تم شراء مئة بندقية وتدربنا عليها استعدادا للمعركة التالية.

أهازيج.. ونساء:

كان الرجال والنساء يهتفون ويهزجون ترحيبا بالمناضلين عند قدومهم إلى القرية، وأذكر كيف أن حمد عبد الرحمن الجعيدي وقف مع زوجته مريم وعدد من النساء، حيث قلت له: يا رجل لا تقف معي، فأنت لست برجل إن لم تكن مع الثوار. فقال لها: أين النقود لأشتري بندقية؟

فما كان منها إلا أن أعطته «فطيرتها الذهبية» التي لا تملك سواها وكان ثمنها ثلاثة جنيهات فلسطينية ونصفا. كما أنهم باعوا الثوار الذي كانوا يستعملونه للحراثة والنقل بأربعة جنيهات واشترى الرجل بندقية بالمبلغ كله وانضم إلى الثوار ليصبح

رجلا في نظر زوجته على الأقل.

هذا الموقف دفع بكل فرد في القرية لكي يحصل على بندقية مهما كلفه الأمر.

وكنت مع عدد من أبناء البلدة والقرى المجاورة نتعرض لقوافل الإنجليز واليهود ونقضي معظم أوقاتنا في الجبال متحصنين حتى لا تصل أيدي قوات الانتداب البريطاني إلينا.

وبقينا على هذا الحال حتى عام **١٩٣٩** وذلك مع بداية الحرب العالمية حيث أعلن الحاج أمين الحسيني وقف الاشتباكات.

وفي عام **١٩٤٢** شاركت في المؤتمر القروي العشائري الذي عقد في حيفا وكان يهدف إلى متابعة وقف بيع الأراضي للعدو ومساعدة المعتقلين والمتضررين من هدم بيوتهم من قبل الإنجليز.

الجيوش العربية:

استمرت مقاومة الفلسطينيين للعدو الإنجليزي واليهودي حتى جاءت الجيوش العربية، وحضرت إلى بيت جبرين قوات مصرية كان عددها في البداية (٣٥٠) رجلاً تناقصت إلى ٦٠ رجلا وكان سلاحهم من البنادق والرشاشات بالإضافة إلى مدفع هاون واحد.

وقاموا بتدريب (٥٠٠) شاب من البلدة، وزودوا حملة البنادق الإنجليزية الصنع بالذخيرة، وطلبوا من أهل البلدة شراء ذخائر للأسلحة الأخرى الألمانية والفرنسية والإيطالية.

وقد شاركت مع شباب القرية في معركة كفار عصيون سنة **١٩٤٨** وفي معركة باب واد على سنة **١٩٤٨** وبيت محسير **١٩٤٨**. بالإضافة إلى التعرض لقوافل الإنجليز واليهود في منطقة الفالوجة كما شاركت في معركة خربة موسى وتل الصافي ودير الذبان وهي المعركة التي قادها جمال عبد الناصر.

بدأ ضغط الهجوم اليهودي يتركز على بيت جبرين يوم ١٩٤٨/١٠/٢٢ والأيام التي تلته، حيث أخذت طائراتهم تقصف البلدة وتدخل الجيش الأردني الذي أعطبت له ثلاث دبابات على مدخل البلدة الشرقي، وقد استطاع اليهود الاستيلاء على بيت جبرين بعد أسبوع من بدء الهجوم، بعد استيلائهم على مركز الشرطة الواقع غرب البلدة، وتوقف الاشتباك بإعلان الهدنة وانعقاد مؤتمر رودس. خرجنا إلى الخليل وأقمنا فيها عدة شهور ثم انتقلنا إلى أريحا، وفي فصل الشتاء استقر بنا الأمر في بيت لحم حتى عام ١٩٦٧ بعدها رحلنا إلى إربد، وما زال الحنين يشدني إلى الوطن وهو همي الشاغل.

صك صلح عشائري:

إن القيام بمهمة الإصلاح بين الناس وحل الوئام بدل الخصام وتقريب وجهات النظر وإيصال الحقوق إلى أصحابها، أمر هين وصعب في آن واحد. فهو يحتاج إلى معرفة ودراية بالعائلات والعشائر، وحتى لا تخرج الأحكام متفاوتة في القضايا المتعددة.

إن ذلك يحتاج إلى الكثير من الإخلاص والكثير من الأمانة والصدق لإحقاق الحق، وإلا وبعكس ذلك، فإن الصلح العشائري يفقد سمعته ويبتعد عنه الناس.

لقد نشأت وعرفت والدي يونس عبد الفتاح العزة مختارا لقرية بيت جبرين، وكان الناس يأتونه من المدن والقرى الأخرى لحل قضاياهم ومنازعاتهم العشائرية وكان النظام العشائري في معظم فلسطين ما عدا المدن الكبرى هو القانون السائد، والذي لا تحل به وعن طريقه معظم القضايا، حيث كانت فلسطين في العهد العثماني يديرها القضاء العشائري وكان يقسمها إلى ثلاثة أقسام. في الجنوب (العزة) وفي الوسط (أبو غوش) وفي الشمال (جرار) وكان القضاء العشائري يجري وفق نظام التحكيم حيث ينتخب ثلاثة قضاة وكفلاء للوفاء وكان العدل هو ما يسعى إليه القاضي العشائري الذي كان ينظر في كل القضايا بدءا بالقتل والاغتصاب

وانتهاء بالضرب .

لقد تربيت في وسط هذا الجو الذي يقوم على حل القضايا ، وعندما كنت شابا وكان الأمر يتعلق بصلح بعيد عن بلدتنا كان والدي ينتدبني للقيام بهذه المهمة .

الآن ـ وقت اللقاء ـ من أكثر من ستين عاما وأنا أتشرف بخدمة أخوتي وأهل بلدي من أجل أن يحل الوائام محل الخصام ، وشاركت في آلاف القضايا والمنازعات وكان التوفيق في حلها من عند الله .



الشيخ محمد يونس العزّة



الحاج محمد علي بدير
أديسون الأردن

دعـونا نتخيل بيوتنا دون كهرباء، دعونا نعود إلىٰ أيام «لمبة الكاز» و«السراج» ونقارن بين الأمس واليوم.

الحاج محمد علي بدير، أو «الحاج أبو عصام» كما يفضل أن يناديه المقربون، يحمـل فوق عاتقـه ثمـانين عاماً من الخبرة والتجربة الممتدة أبرزها مساهمته في «إنارة» عمان وتحريك أجهزتنا السمعية والبصرية بالطاقة الكهربائية.

هاتفتـه مرتين، وفي الثالثة التقينا وسط طقس ماطر حوالي الحادية عشرة قبل الظهر، كان الرجل قد أعدّ مكتبةً لـ«حديث الذكريات».

في البداية، وقبل أن يتحرك شريطي داخل جهاز التسجيل، عرض «الحاج أبو عصـام» أن نستعـرض «فكـرة» اللقـاء. أراده أن يكـون بسيـطاً ودون تعقيدات أو استعراض استحوذت الكلمات علىٰ ذهني وتسابقت مع «الشريط» لالتقاط ما وسعنا من بئـر الذكريات، ذكريات صاحب العديد من المشاريع والشركات والذي كان بودي لو اشتبهـه بـ[«أونـاسيس» الكهـربـاء] لكن تواضـع الـرجـل حال دون هذا الوصف. وافقته واحترمت رغبته وما بين الموافقة والرغبة دار شريط الذكريات:

١٩٠٩:

ولدت في دمشق عام ١٩٠٩، أيام الحكم العثماني، وحضرت إلىٰ عمان يوم ١٩١٦ عندما كان عمري «٧» سنوات: كانت عمان مدينة صغيرة، واقعة علىٰ الخط

الحجازي، وكان والدي يعمل في محل تجاري - صاحب متجر -.

أقمنا سنتين، حتىٰ وصلت الجيوش البريطانية إلىٰ السلط فرحلنا إلىٰ دمشق بعيداً عن الحرب وأهوالها. كان السفر محصوراً بالسكة الحديد. ولم نكن نعرف السيارات.

عام ١٩١٧ عدت إلىٰ عمان، وانضممت إلىٰ المدارس الصغيرة التي كانت تسمىٰ «الكتّاب» وكان يشرف علينا شيخ يعلمنا القراءة والكتابة وبقيت فترة، ثم رحلت ثانية إلىٰ دمشق لإكمال المرحلة الابتدائية والإعدادية قبل أن أنتسب إلىٰ مدرسة الكليةالعلمية الإسلامية ببيروت عام ١٩٢٢، وقد كانت إحدىٰ المدارس المعروفة بوطنيتها وحسن تعليمها.

أمضيت ثلاث سنوات في هذه المدرسة، حصلت بعدها علىٰ الشهادة «الاستعدادية» الثانوية عام ١٩٢٥، ثم درست سنة إضافية في القسم العلمي عدت بعدها إلىٰ دمشق حيث أمضيت عاماً دراسياً تحضيرياً لدخول الجامعة السورية، وحدث أن مرضت وحال مرضي من دخول الجامعة.

عمان أواخر ١٩٢٦:

أتيت إلىٰ عمان في أواخر عام ٢٦، كان سكانها قد أصبحوا حوالي «٢٥» ألف نسمة.

سكنت مع أبي ثم مارست التجارة في شركة «أدلبي وملص بدير» عام ١٩٢٧ ولا أزال عضواً فيها، كما ساهمت في تأسيس شركة مواد البناء الأردني، وفي سنة ١٩٣٨، اشتركت في تأسيس شركة الكهرباء الأردنية.

كانت الشركة صغيرة رأسمالها لا يتجاوز «٢٥٠٠» دينار فقط، كنا عشرة أشخاص، لم يبق منهم علىٰ قيد الحياة.. سواي.

أقمناها شركة صغيرة وكنا نسعىٰ كل عام لتنميتها حتىٰ نستوعب ما وجدت من أجله، ولا أزال حتى اللحظة رئيساً لمجلس إدارتها وانتقلت من الـ«٢٥٠٠» دينار «رأس المال» إلىٰ أن بلغت «٩» ملايين دينار، ومن «١٠» أشخاص» إلىٰ «١٢٥٠٠» مساهم.

عدد العاملين كان لا يتجاوز القم «٢٠»، وقد أصبح الآن ما يقارب الـ«٢٠٠٠» شخص. وانتقل عدد المشتركين من المائة إلى أن بلغوا «٣٠٠» ألف مشترك.

ميادين مختلفة:

حقيقة أفخر بانتمائي لهذه الشركة التي أصبحت من الشركات الأردنية التي يشار إليها بالبنان، في الوقت نفسه شاركت في ميادين مختلفة، منها شركة التأمين الأردنية وشركة التنقيب عن المعادن وشركة الأسمنت وشركة مصفاة البترول وشركة الفوسفات ومصنع الأنابيب الحديدية وغيرها من الشركات.

ومجالس مختلفة:

هذا من الناحية الاقتصادية، أما من الناحية العامة، فقد كنت عضواً في مجلس بلدية العاصمة عدة مرات، ولفترة قصيرة كنت أمينا للعاصمة بالنيابة، ودخلت المجلس النيابي عام ١٩٥١ لمدة أربع سنوات، والمجلس الاستشاري لفترة ست سنوات وأنعم علي جلالة الحسين بعضوية مجلس الأعيان.

حاولت عبر هذه المجالس أن أكون مستقيماً في عملي وفي خُلقي. أخطأت وأصبت، جربت بقدر الإمكان أن أعطي قدر طاقتي.

ومن نافلة القول، أن أشير إلىٰ أنني ساهمت في إقامة بعض المشاريع الخيرية الكبيرة مثل الكلية العلمية الإسلامية والمستشفىٰ الإسلامي وجمعية الفيحاء.

تزوجت . . وأنجبت :

سنة ١٩٣١ تزوجت ورزقت بخمسة أبناء منهم ثلاثة ذكور وبنتان كلهم متعلمون تعليماً عالياً وقد تزوجوا جميعاً، لي من الأحفاد واحد وعشرون حفيداً أحمد الله علىٰ حسن أخلاقهم.

حججت إلىٰ بيتالله عام ١٩٤٠ بمرافقة والدتي، عام ١٩٧٠ بمرافقة زوجتي.

أخذت عن والدتي الخُلق الطيب والتربية الحسنة، رغم أنها كانت صارمة وقد انتقلت إليّ هذه الصرامة «المحققة».

عاشت والدتي «٩٥» عاماً، أما والديق فقد عاش «٩٤» عاماً وقد أخذت عنه أي خلق حسن أتمتع به، إن كنت كذلك.

من الفانوس . . إلى الثريات

كانت عمان ـ تلك الأيام ـ تعيش علىٰ موقد الغاز والكاز والفانوس فرأيت مع لفيف من إخوتي أن نجرب خطنا لتأسيس شركة كهرباء لإنقاذ عمان من الظلام.

استدنا ـ ورجونا المساهمين حتىٰ بلغنا ما بلغنا. ولم يخطر ببالي حين كنت صغيراً، أن أعمل بالكهرباء، إنما خطر ببالي أن أعمل بما أوتيت من ذكاء وإدراك لتحسين وضعي وزياد دخلي وتوفير الحياة الكريمة لمن بعدي.

لم يكن والدي فقيراً، كما لم يكن من الأغنياء الكبار. كان تاجراً في الأقمشة قبل ولادتي، وقد ورث التجارة عن جدي.

منذ خُلقت، عشت في بيت والدي وخلال عملي بنيت لنفسي داراً لأسكنها مع أولادي.

لم أشعر أنني أفضل من رفاقي في المدرسة أو فيما بعدها في الوقت نفسه كنت

واثقاً من طموحي، فلم أيأس لحظة في حياتي.

عصام.. ولدي:

فاتني أن أعلمك أنني دخلت عام ١٩٣٤ عضواً في غرفة تجارة عمان لفترة تجاوزت الثلاثين عاماً، وبقيت رئيساً لاتحاد غرف التجارة في الأردن، ورئيساً لاتحاد الغرف التجارية العربية لمدة خمس سنوات.

وقد تركت الغرف التجارية بمحض إرادتي عندما شعرت بكبر سني.

بالنسبة لأبنائي، فأعتقد أن ولدي عصام «الأكبر» لديه المؤهلات العلمية والاستعداد، ربما يجعله يصل إلىٰ أفضل مما وصلت إليه.

أما عن مراهقتي، فقد عشت محافظاً طوالب سنيّ عمري، ويرجع ذلك لطبيعة عائلتي المحافظة بشدة علىٰ أخلاقها الإسلامية، ولا أذكر أنني تمرّدت علىٰ سنّي أو بلدي.

أنا.. والرياضة:

شاركت في إقامة أول نادٍ رياضي في المملكة عام ١٩٢٩ ولعل اسمه «نادي الأردن». وبقيت أتابع الرياضة لفترة طويلة، لكن كثرة أشغالي منعتني وحرمتني من متابعة تلك الهواية.

وبقيت أتعاطف مع النوادي دون إلتزام، أما بالنسبة للالتزام السياسي، فأنا لا أذكر أنني انتميت لأي حزب أو جماعة سياسية وقد كنت أشعر أنني يجب أن أكون دائماً حراً طليقاً ملتزماً بالسلوك الإسلامي والعربي.

متعتي كانت أن أتم أي عمل أبدأه بإتقان وحسن أداء ساعات فراغي أستغلها بالمطالعة، سواء في الكتب الأدبية أو التاريخية أو الدينية.

وأنا صغير كان نموذجي شريف مكة المغفور له الحسين بن علي ، واختلطت كثيراً بالمغفور له جلالة الملك عبدالله ، وكنت ممن يزورونه ويرتادون مجالسه ومن المعجبين بسعة إطلاعه، وقد انتقل كل ذلك الإعجاب إلىٰ حفيده جلالة الملك الحسين.

الجيل الجديد

أشعر أن الجيل الجديد مُجد وراء العلم للاستزادة منه، لكن ينقصه الخلق الديني والمعرفة الدينية التي لم تعد هدف الكثيرين. حتىٰ أن بعضهم يظنها رجعية يجب التخلص من كل قديم.

تستهويني الموسيقىٰ وأطرب لسماع صوت العود والبيانو والقانون، كما أطرب لبعض الأصوات التي تنطق بالحكمة كصوت أم كلثوم وعبدالوهاب.

سافرت كثيراً، وكانت أغلب «رحلاتي» للعمل. وقليل منها للترويح. زرت معظم أوروبا وأمريكا وكندا وشمال أفريقيا والبلاد العربية باستثناء اليمن.

أحب الخضرة وأتعاطف مع أي مشروع زراعي، وعلىٰ الرغم أنني بلغت الثمانين عاماً إلىٰ أنني لا زلت أعشق الأزهار وأتفاءل بها.

بالنسبة لعاداتي في العمل، فلا شك أنها تغيّرت بتغيّر الزمان مثلاً، كنت أعتمد علىٰ العمل اليدوي، أصبحت الآن أعتمد علىٰ الآلة بالإضافة لأمور أخرىٰ تدخل في تفاصيل الحياة.

اقرأ. . ولا أحب المظاهر

حياتي العامة بسيطة، أدعىٰ لكثير من الحفلات لكنني أجعتذر بلباقة، لأنني لا أحب السهر وأجواء الحفلات المثيرة والتي عادة ما تزدحم بالأصوات والأشخاص مما يعيق التناغم الإنساني ويشعرني بالضجيج يملأ جوانحي.

أحب القراءة الأدبية والتاريخية والدينية، ومن الشعراء الذين أفضلهم «المتنبي» الذي يقدم الحكمة والخبرة في كثير من قصائده.

ربما تظن أن رجلاً مثلي يملك الملايين ووقته لا يتسع لحالات الصفاء الوجداني والتأمل في الذات والآخرين.

والحقيقة، أنني ولله الحمد ممن يعيشون حياتهم ببساطة مع أبنائهم وداخل بيوتهم.

أصلي وأقدم للمحتاج دون أن تدري شمالي بما تجود به يميني.

المال بالنسبة لي وسيلة لتحسين الأوضاع وما يزيد أنفقه في مشاريع الخير، وأجد من الخجل ما يمنعني من التوغل في هذا الموضوع.



الحاج بدير أيام مجلس الأعيان





منظر عام لوسط عمان عام ١٩٣٠

المقرىء الشيخ محمد رشاد الشريف

حملت شريط صوته وانزويت ساعة فظننت أنني أستمع للمرحوم الشيخ محمد رفعت، وعن الأخير حدث ولا حرج.

إنه الشيخ محمد رشاد الشريف، المقرىء القادم من مدينة الخليل حيث يقيم.

إستقبلناه في «الدستور» وكان هذا الحديث.

ولدت بالخليل عام ١٩٢٣.

وأكملت الثاني الثانوي في مدينة الخليل سنة ١٩٤٠ ميلادية، وهو آخر مرحلة دراسية في المدينة في تلك الحقبة، وتقدمت بعد تعييني معلماً لامتحان المعلمين ثم لامتحان التربية.

حفظت القرآن الكريم كله والحمد لله وتلقيت قراءته وأحكامه عن أستاذنا الإمام الشيخ «حسين أبو سنينة» وهو واحد من أئمة القراءة في العالم الإسلامي. وقد أجازني بالقراءة والإقراء بروايتي حفص وورش.

أما الخط فأكتب منه الرقعة أو الرقعىْ وأكتبُ الفارسي والثلث. وأجيد الخط الرقعي إجادة متفوقة.

العمل:

تشرفت بالعمل معلماً مدة أربعين عاماً تقريباً إذ أني بدأت بالتعليم وسني (١٨) عاماً، درست خلال هذه الفترة اللغة العربية وعلوم القرآن واللغة الانجليزية

والتاريخ ، أما علوم القرآن فقمت بتدريسها في جامعة الخليل ودور القرآن التي أشرف علىٰ أكثرها الآن .

الانجازات :

أ ـ سجلت القرآن العظيم كله في دار الإذاعة الأردنية الهاشمية بتكليف من وزارة الأوقاف ، وتنسيب طرح في جلسة من جلسات المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في جدة قبل عدة سنوات ، وقد تم البدء بهذه المهمة المباركة في عهد وزير الأوقاف الأستاذ كامل الشريف . وقد تم اختتامها وإعداد (مصحف بيت المقدس المرتل) وهو بين يدي سماحة وزير الأوقاف الحالي الدكتور علي الفقير راجين أنْ يتم توزيع هذا المصحف قريباً علىٰ العالم الإسلامي .

ب ـ أعددت كتاباً لأحكام التجويد أرجوا أن يطبع قريباً و لا يزال صوتي وصورتي بعيدين عن التلفزيون والإذاعة الأردنية .

جـ ـ أعـددت كتاب القراءة العربية للصف الأول الابتدائي بتكليف من قسم المناهج في وزارة التربية الأردنية ، وقد تم طبع الكتاب بالألوان ، وقامت وزارة التربية بتوزيع ألف نسخة منه علىٰ المدارس بغية الاطلاع عليه وتوطئة للبحث في إمكانية إقراره ، وقد أقبلتُ علىٰ تدريسه رياض الأطفال في الضفة الغربية ، فكانت نتائجه مذهلة ، ولا غرو فهو حصيلة جزء ثلاثين عاماً في هذا الميدان .

قصتي مع الشيخ محمد رفعت :

كنت في الصف الخامس الابتدائي وكان ذلك عام **١٩٣٥**م حين خرجت مساء يوم مع أحد زملائي من الطلاب ، فتوقفنا قريباً من مقهىٰ والده المرحوم حامد أبو زينه ، وكان عنده مذياع ضخم يكاد يكون المذياع الوحيد في المدينة ، وإذا بترتيل ملائكي ينبعث من ذلك المذياع ، فما كدت أسمعه حتىٰ غشيتني حالة غريبة من الذهول مأخوذاً بما أسمع ، وبعد أن عدت من رحلتي وأفقت من سكرتي ، التفت

إلىٰ زميلي قائلاً: من هذا وما هو؟؟ أهو بشر! ! سل عنه والدك وارجع إلي ففعل، ما أجمل هذا الاسم (محمد رفعت) عرفت مواعيد تلاوته مساء كل من يومي الثلاثاء والجمعة، ومنذ تلك الساعة حرصت علىٰ المبادرة بالحضور إلىٰ خلف المقهىٰ في قطعة أرض جرداء صغيرة، منتظراً أن تمتد يد صاحب المقهىٰ إلىٰ المذياع، فاستمع دون أن يكون في حسباني ضرر يلحقني من برد أو ظلمة أو أي شيء آخر في هذا الليل البهيم، فأنا في عالم غير هذا العالم إنني أعشق كل جميل، وأهل الفن أدرىٰ الناس بمواطن الجمال في كل شيء، ولكن هذا الجمال إنساني كل جمال، وعُدت بعدها متعلقاً بهذا الحبل الرباني الممدود إلىٰ أعلىٰ عليين.

لقد استمعت في حياتي إلىٰ أقطاب الأداء الجيد أمثال عبدالحي حلمي وصالح عبدالحي والشيخ يوسف المنيلاوي وسيد صفي وأخيراً أم كلثوم وعبدالوهاب، وكم جلت بفكري في ألحان محمد القصبجي ورياض السنباطي وزكريا أحمد، ولكن هذه النجوم بدت باهتة عندما طلعت شمس الشيخ محمد رفعت، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «من لم يتغن بالقرآن فليس منا». وذلك كي ينصرفوا بحبهم للسماع إلىٰ القرآن ويهجروا الغناء الفاحش، فأين الطرب كله من الطرب حين يتلو الشيخ رفعت سورة طه، أو سورة يوسف أو سورة مريم أو الكهف؟؟ لو قدر للإذاعة المصرية أن تسجل ترتيلات الشيخ رفعت لكان الأمر غير الأمر ولاستمع الناس إلىٰ صوت عجيب وأداء أعجب. والأشرطة التي تذاع الآن لا تصور ترتيل الشيخ إلا تصويراً باهتاً، فقد سجلها له صديقه «خميس بك» وهو صغير لم ينضج بعد فناً وصوتاً، والذي كان يسمع الشيخ وهو يقرأ من الإذاعة هو الذي يعرف ما هية صوته وقراءته، كانت الإذاعة مشغولة عنه بتسجيل الأغاني الرخيصة لمطربين جيء بهم في موجة من الدعايات والإعلان كي ينسىٰ الناس الألحان العربية التي كانت تصاحب الأصوات الرخيمة كصوت صالح عبدالحي، فغدونا نسمع الدنيا سيكارة وكاس من عبدالوهاب وأفوق عليكي في نص الليل من فريد الأطرش وأغرق أغرق من عبدالحليم حافظ بدل (المحاسن واللطافة) من سيد حنفي. . (وليه يا بنفسج) من

صالح عبدالحي. وقد تدرج هؤلاء بأم كلثوم من الكلمة الجيدة (وحقك أنت المنىٰ والطلب) و(أمانا أيها القمر المطل) إلىٰ الكلمة المبتذلة (خذني لحنانك خذني) فمن سماء الحب والإيثار إلىٰ حضيض الشهوة ومخاطبة الغريزة.

كيف كان الشيخ رفعت يتلو القرآن:

الذين تحدثوا عن الشيخ رفعت وعقدوا من أجله ندوات، وأقاموا احتفالات وكتبوا في الصحف، أكثر من أن يحصىٰ لهم وللمعجبين عدد، فالعالم الإسلامي يموج بهذه المحافل الهائلة، ولكن الذين يعرفون حقيقة أداء الشيخ رفعت هم أرباب القلوب ثم أهل العلم باللغة والترتيل، ثم أرباب الإحاطة بالمقامات الموسيقية، ومن فضل الله تعالىٰ أن جعلني من هؤلاء فلله الحمد والشكر.

أرباب القلوب؟؟؟:

كان الشيخ صاحب قلب خفاق بمحبة الله ورسوله، رقة نفس ودقة حس يبتغي بترتيله رضوان الله، فهداه الله إلىٰ أحسن الترتيل صحة وأصدق بياناً وأجمله فنا وإيقاعاً وطرباً.

اللغة:

كن ذا علم باللغة ومقاصد القرآن الكريم، تشهد بذلك ابتداؤه، ووقوفه فإذا تلا في سورة يوسف ﴿**وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت**﴾ وقف طويلاً علىٰ كلمة فكذبت ثم قال: ﴿**وهو من الصادقين**﴾ إشعاراً إلىٰ أزلية صدقه وعصمته وقرأ مرة آية: ﴿**فجاءته إحداهما تمشي علىٰ استحياء قالت إن أبي يدعوك..**﴾ الخ الآية!!فلم يقف إلا علىٰ آخر الآية، ثم أعاد الآية فوقفت علىٰ كلمة ﴿**تمشي**﴾ ثم بدأ بقوله تعالىٰ: ﴿**علىٰ استحياء قالت..**﴾ الآية!! فسأله بعض أهل اللغة من الحاضرين بعد انتهائه من التلاوة: لماذا وقفت يا سيدي علىٰ كلمة تمشي مع أنها موصولة المعنىٰ بما بعدها فهي تمشي علىٰ استحياء؟؟ فأجابه الأستاذ رفعت في رفق: «يا

ولدي كما يكون الاستحياء في المشي، يكون في القول، فقرأت في المرة الثانية ﴿علىٰ استحياء قالت﴾ والوقوف علىٰ تمشي يشير إلىٰ أنها جاءت بأدب واحتشام، ولم تك تركض في رعونة بعض النساء اللواتي يتشوقن لمخاطبة الرجال!!.

الإحاطة بالموسيقىٰ:

كان الشيخ أستاذاً في الموسيقىٰ والتلحين، وقرأت في بعض النشرات عنه أنه والمرحوم الشيخ علي محمود كانا مرجعين للموسيقار محمد عبدالوهاب إذا تعثر معه لحن فيجد في صوت كل منهما ووعيه شفاءً للغليل، وكثيراً ما كان يدور بسمعه المرهف في دنيا الألحان الغربية ممحصاً مقارناً لا متتلمذاً كما تتلمذ بعض ملحنينا فأفسدوا غناءنا إذا رتل آية فيها وصف لجنة الخلد ونعيمها، انطلق صوته الساحر بمقام «البيات» إنطلاقاً يتضاءل أمامه عزف محمد القصبجي ومحمد عبده صالح ومحي الدين يعبون، يبدو ذلك في أوائل سورة مريم «الشريط المحفوظ في إذاعة لندن» وليس الشريط الموجود في إذاعة القاهرة وعمان، فإذا بلغ وصف مخاض مريم وولادتها وحرجها انتقل برفق إلىٰ مقام الحجاز الذي يُفيض بالحنان والرأفة، وإذا بلغ مجال المحاورة بين مريم ومن حولها من المستفسرين المتسائلين انتقل إلىٰ مقام «الراست» ممزوجاً ببقية الحجاز وهو يتلو «قال إني عبدالله» كل ذلك لإبراز المعاني وشد الأسماع والقلوب إليها، ويبدو هذا التصرف جلياً في سورة «طه» فيبدأ السورة علىٰ غير عادة القراء بمقام الراست ويتنقل إلىٰ المقامات الأخرىٰ مختتماً به، وفي هذا مشقة يعرفها أهل الوعي وأهل التلحين.

استشهاد المغفور له الملك عبدالله بن الحسين:

أعلنت الإذاعة الأردنية الهاشمية الحداد العام مدة أربعين عاماً، وكانت الإذاعة حينئذ في القدس، وكنت حينئذ معلماً للغة العربية في مدارس «الخليل» فاستدعتني الإذاعة للتلاوة طيلة أيام الحداد ليل نهار، وقد ساعدني حفظ القرآن علىٰ إعداد الآية المناسبة للظرف ومقدار الوقت، فلم يذع في تلك الفترة أية أغنية أو قطعة موسيقية،

وكنت أقرأ في اليوم والليلة خمس مرات أو ستاً، الأمر الذي أبرز معالم هذه التلاوة فاستمع إليها العالم العربي والإسلامي الذي بقي مشدوداً إلىٰ الإذاعة الأردنية بمناسبة الحادث الجلل. وقد تقاطرت علي وعلىٰ الإذاعة برقيات ورسائل كثيرة تعرب عن إعجابها بالترتيل، وتعرب كذلك عن شكرها للإذاعة وتستزيد.

بعد انتهاء أيام الحداد عدت للقراءة مرتين في الأسبوع تستغرق المرة سبع دقائق إلىٰ العشر فقط، فظن البعض في الخارج أنني انقطعت عن الإذاعة فأرسلوا يستفسرون، وأرسلوا إلي بواسطة الإذاعة مستفسرين كذلك، وكانت أكثر الرسائل التي تلقيتها من مصر ولبنان. وأبرز تلك الرسائل ما ورد من الأستاذ «أمين عبدالمجيد الديدي» من مدينة السويس وهو أحد رجالاتها وعين من أعيانها وقد جمعت تلك الرسائل، وجلدتها كي تكون كتاباً أدبياً يقرأ لما حوت من روائع العبارات وصادق الكلمات، ولست مبالغاً إن قلت أنها أحسن أو من أحسن ما قرأت، فقد كنت أحد قراء مجلة الرسالة وأقرأ لصاحبها أحمد حسن الزيات وكتابها أمثال مصطفىٰ صادق الرافعي والعقاد وسيد قطب وزكي مبارك، وقد دعاني صاحب هذه الرسائل إلىٰ مصر ظناً منه أنني مصري فدعاني إلىٰ العودة إلىٰ مصر فأخبرته أنني من بلد خليل ابن إبراهيم، وأعمل مدرساً، فأصر علىٰ زيارتي له في العطلة الصيفية ففعلت وكان ذلك سنة ١٩٥٤م، فمكثت هناك مدة شهرين ونشرت جريدة المصري نبأ قدومي، وكانت من قبل قد نشرت صورتي بعد الاتصال بي واقترحت علىٰ الإذاعة أن تدعوني للقراءة وذلك تحت عنوان «صوت الشيخ محمد رفعت يبعث من جديد». وبعد نشر نبأ القدوم تقاطرت الدعوات علىٰ بيتِ المضيف، ترجو أن أتلو القرآن فقد صادف أن تكون الفترة فترة قدوم الحجاج، وفي مصر بالمناسبات ينصب سرادق كبير (صيوان) لكل حاج يتصدره مقعد يسمونه «دكه» يستريح عليها «القارىء» فيتلو القرآن وحوله الآلاف.

ولا أنسىٰ ما كان لتلك اللقاءات من أثر وغبطة وإعجاب هو في الحقيقة إعجاب بالشيخ رفعت ثم بالذي استطاع بغير تكلف أن يحاكيه.



الشيخ محمد رشاد الشريف

محمد رفعت
المقرئ

تحريراً في ٣ اكتوبر سنة ١٩٤٤

بشارع [illegible] نمرة ٣٠ بالقلعة - السيدة زينب مصر
تليفون رقم ٤٢٩٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي العزيز الاستاذ الشيخ محمد رشاد الشريف المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فقد [illegible] الكريم [illegible] الشريف [illegible]
[illegible] وكنت من قبل قد تلقيت رسالتكم [illegible]
[illegible] كلماتها من قلبي في احسن موضع . لقد اشعرتني [illegible]
[illegible] جميع المخلصين [illegible]
[illegible]
[illegible] جزاكم الله عني خير الجزاء .

اما عن تلاوتكم القرآن الكريم [illegible] فهو تشريف لي . [illegible]
[illegible] الفلسطينية [illegible]
[illegible] اخاكم انني استمع الى محمد رفعت الثاني من فلسطين .

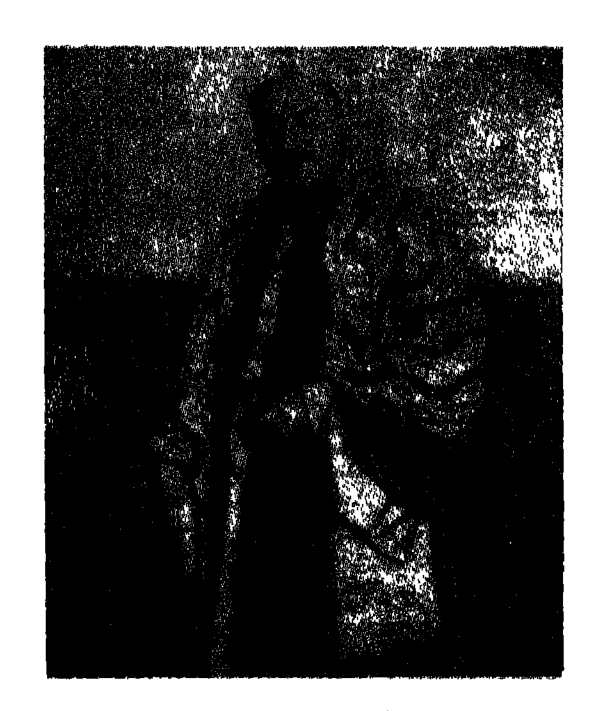
[illegible] ان يسدد خطاك [illegible] انه سميع مجيب الدعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد رفعت
المقرئ

ملحوظة : [illegible] صورة لي ولكم الشكر

رسالة الشيخ محمد رفعت



المرحوم محمد رفعت

ميخائيل جميعان

ارتبط اسمه بالجهاز الذي يعين الموظفين في الدولة، جاء بالفكرة من نيوزيلاندا ومرت بمراحل قبول ورفض، حتىٰ أستوت ونضجت وصارت «ديوان الموظفين» ثم ديوان الخدمة المدنية حالياً.

ميخائيل جميعان أسهم بالإضافة إلىٰ ذلك بقانون التقاعد المدني وقانون معهد الإدارة ونظام البعثات العلمية.

مؤلف لكتب في الإدارة وتدرج في ديوان الموظفين حتىٰ بلغ منصب وكيل الديوان.

عمل مستشاراً إدارياً في الحكومة الليبية عام ١٩٦٩ وحتىٰ ١٩٧٠ ، عاد بعدها ليعمل مديراً لمعهد الإدارة العامة لسنتين، ثم كان عمله في القطاع الخاص، حادثته وحددنا موعداً للقاء.

تكلم بلغة جزلة وبعقل مرتب وترك بين يدي قصته مع ديوان الموظفين، أو لنقل حكاية الموظفين في الأردن من خلال صاحب فكرة ديوانهم.

عدنا إلىٰ الماضي وعاد معنا عبر هذا الحديث:

ولدت في مأدبا سنة ١٩١٥ ، أنهيت الدراسة الابتدائية والإعدادية في عمان، ثم انتقلت إلىٰ السلط، حيث أكملت تعليمي الثانوي عام ١٩٣٤ ، عملت معلماً لمدة سنتين في مدينة مأدبا، بعد ذلك التحقت بالجامعة الأمريكية في القاهرة ما بين

عامي (٣٦ـ٤٠)، وحصلت علىٰ بكالوريوس في الآداب والعلوم الاجتماعية.

تدرجت في العمل، واشتغلت مترجماً مع القوات الاسترالية في فلسطين من عام ١٩٤٠ إلىٰ عام ١٩٤٣، ثم ذهبت إلىٰ رام الله للتدريس هناك حتىٰ عام ١٩٤٥.

إلىٰ نيوزيلاندا:

عام ١٩٤٧ عملت مساعداً لرئيس حسابات الجيش العربي وحتىٰ عام ١٩٥٠، . وقبلها بعامين أرسلت في بعثة مالية إلىٰ بريطانيا لمدة أربعة شهور.

ثم نقلت إلىٰ دائرة الجمارك وكانت تتبع وزارة التجارة، وكنت أسجل العلامات التجارية، وبذلك اكتسبت خبرة قانونية أهلتني للمرحلة التالية.

عام ١٩٥٣ كانت بداية مهمة ليس لي فقط، بل لأبرز إنجازات حياتي، حصلت علىٰ منحة من الأمم المتحدة للدراسة في نيوزيلاندا وتحديداً في العاصمة «ولنغتون»، ذهبت إلىٰ دائرة هناك اسمها مجلس الخدمة المدنية، وفوجئت عندما علمت أن هذا المجلس هو المسؤول عن تعيين جميع الموظفين بالدولة بمن فيهم وكلاء الوزارات وترفيعهم وتدريبهم وإيفادهم في بعثات علمية، وكل ما يتصل بشؤون الموظفين.

هناك.. تذكرت الأردن:

ما رأيته في عاصمة نيوزيلاندا، أعادنيب إلىٰ الأردن، تذكرت البيان الوزاري الذي كان يلقيه السيد رئيس الوزراء عندما كان يشير إلىٰ أنه سيرفعمستوىٰ الجهاز الإداري وتنقيته من الشوائب.

إهتممت بدراسة الموضوع دراسة عميقة واشتركت في نحو (٣٥٠) حلقة دراسية جمعت كبار الموظفين في الحكومة النيوزيلاندية لتدريبهم علىٰ شؤون الإدارة الحديثة.

أما عن كيفية إنشاء مجلس الخدمة المدنية النيوزيلاندي فهذا يعود إلىٰ عام (١٩١٢)، عندما كانت الإدارة الحكومية تسمىٰ إدارة الأسلاب والمغانم، ذلك أن التعيينات كانت تقوم علىٰ أساس المؤثرات الذاتية والمحسوبية وتعيين الأقرباء.

رأت الحكومة هناك أن تشكل لجنة ملكية تطوف بالبلاد وتدرس الأحوال، وخرجت إلىٰ ضرورة إنشاء مجلس للخدمة المدنية، لإبعاد الوظيفة عن المؤثرات السياسية والذاتية والمحسوبية.

عود علىٰ بدء:

حينما عدت إلىٰ الأردن أواخر عام ١٩٥٤، قدمت تقريراً إلىٰ السيد وزير التجارة في ذلك الوقت، رفعت منه ثلاث نسخ حول دراستي في نيوزيلاندا، نسختين إلىٰ السيد رئيس الوزراء وقد كان وقتها (المرحوم توفيق أبو الهدىٰ)، فلما اطلع عليه الوزير (انسطاس حنانيا)، أمر بطبعه «وسحبه» علىٰ (الستانسل) وتوزيعه علىٰ جميع الوزارات الحكومية، كما قامت جريدة «الأردن» بنشر كامل التقرير علىٰ صفحاتها وقد بلغ سبعة عشر مقالاً.

كان لذلك أثره في ترسيخ فكرة إنشاء مجلس خدمة مدنية في الأردن وعرف المسؤولية بمهامه وواجباته، وكان في ذلك الوقت، قد قدم إلىٰ الأردن خبير إنجليزي اسمه (بانك هيرست) الذي كان يسمىٰ (خبير الكادر)، ولما حولت إليه نسخة من تقريري طلب أن نلتقي، حيث شرحت له ما تضمنه التقرير، فقال: أنا أتفق معك بكل ما ذكرت! وأضاف (هيرست):

إن الأفكار التي تحملها هي نفس ما أحمله.

وطلب مني ترجمة التقرير إلىٰ الانجليزية فترجمته، وقال: سوف ننشىء ديوان موظفين في الأردن وستكون أول المعينين فيه!!

واجتمع المجلسان:

بدأنا بوضع النقاط الأساسية التي سوف يتضمنها المشروع، ثم أرسل إلىٰ وزارة المالية التي حولته إلىٰ رئاسة الوزراء، ومن هناك إلىٰ مجلس النواب لإقراره، بعد ذلك حول المشروع إلىٰ مجلس الأعيان فرفضه الأخير بداعي أنه مخالف للمادة (١٢٠) من الدستور، والتي تنص علىٰ أن تعيين الموظفين يكون بأنظمة!!

عندئذ، اجتمع المجلسان (الأعيان والنواب) في مجلس واحد لبحث القانون، ونهض المرحوم توفيق أبو الهدىٰ، رئيس الوزراء وقتها، وقال: نحن الآن أمام السلطة التشريعية بكاملها، نريد أن ننشيء ديوان الموظفين بقانون، لا بنظام، حتىٰ يكون لرئيس الديوان حصانة برلمانية، وكي لا يقع تحت مؤثرات مجلس الوزراء وبالتالي، يعدل النظام في حالة وضعه كنظام كما يشاء المجلس. . فأقر القانون عام ١٩٥٥، وظهر لأول مرة في الأردن ديوان الموظفين وكان أول رئيس له المرحوم محمد أديب العامري ووكيله المرحوم حافظ عبدالهادي، ومن أوائل المعينين به السادة: ثابت الطاهر، شفيق خميس، محمد النوباني، محمد الطاهر، ميخائيل جميعان. ثم عين الدكتور عبدالكريم غرايبة وسعيد الدجاني وحسن إبراهيم في جهاز الديوان.

وكرت المسبحة:

وبدأ الديوان مسيرته، وقام بتعيين الموظفين علىٰ أسس محددة خلافاً للأسس التي كانت تسير عليها دوائر الدولة ولم تعد تلك الدوائر تعين موظفيها كما تريد.

عام ١٩٥٦ وضع الديوان أول تقرير سنوي عن نشاطاته، وكان عدد الموظفين في الأردن في ذلك الوقت ـ خمسة عشر ألفاً بينما ميزانية الدولة بلغت خمسة عشر مليون دينار، عام ١٩٥٧ كانت هناك محاولة لإلغاء الديوان عن طريق إلغاء المخصصات أو إنقاصها، فكتبت مقالة بتوقيع «مواطن» ذكرت فيها أهمية بقاء

الديوان، والمحاذير الدستورية في حالة إلغائه، ونشر المقال في جريدة «الدفاع» و«الدستور».

(١٢) موظفاً. . وطابعتان:

كان عدد العاملين في الديوان وقتها اثني عشر موظفاً وطابعتين، ثم بدأ ينمو ويكبر ويزداد عدد الخريجين والتعيينات التي كاتنت تسير حسب معدلات الثانوية العامة، وحسب الدور.

طبعاً كان هناك استثناء في تعيين المعلمين في الألوية الجنوبية بحيث كان يعين الحاصل علىٰ الخامس الثانوي وإن لم يكن حاصلاً علىٰ (التوجيهي) لضعف النتائج في تلك الألوية بالنسبة للمعلمين لا بالنسبة للطلبة!

أسباب. . وأسباب:

كان ثمة مخالفات كثيرة، كأن يعزل الوزير بعض الموظفين، بينما نظام الخدمة المدنية يتطلب وجود تنسيب من وكيل الوزارة.

أيضاً، كان مجلس الوزراء ـ أحياناً ـ يعزل بعض الموظفين لأسباب مختلفة في الوقت الذي تكون الصلاحية للوزير وليس لمجلس الوزراء، فيصار إلىٰ لفت أنظار المسؤولين إلىٰ ذلك، وعندما لا يستجيبون، تقام الدعاوىٰ في محكمة العدل العليا. . ويكسبها الموظفون!!

وقد حدث ـ علىٰ سبيل المثال ـ أن سجن أحد موظفي الديوان لمة ستة أشهر بتهمة إنتمائه لأحد الأحزاب، فعدنا إلىٰ نص النظام، ـ نظام الخدمة المدنية ـ، فوجدنا أنه لا تنتهي خدمة أحد الموظفين إلا لأحد الأسباب التالية:

(الوفاة، الاستقالة، فقد الوظيفة، الحكم عليه بجناية أو جنحة).

ولم يكن بين هذه الأسباب، السبب الذي أدىٰ إلىٰ سجن ذلك الموظف.. فأعيد إلىٰ وظيفته!!.

.. وبكت السيدة:

كان رئيس ديوان الموظفين يقدم تقريره السنوي إلىٰ مجلس النواب ويحاسب الوزراء علىٰ المخالفات التي ترد في تقرير الديوان الذي كان من مهامه تعيين وكلاء الوزارات ومديري الدوائر، ولكن بعد تعديل قانون الخدمة المدنية أصبح التعيين بيد مجلس الوزراء، من المفارقات التي حدثت ـ أيامنا ـ، إحدىٰ السيدات عينت بوظيفة مصنفة، وخدمت (١٢) سنة خدمة مقبولة للتقاعد، وكانت تحمل شهادة الخامس ثانوي (ما يعادل الثالث الثانوي هذه الأيام) وكان قد صدر في ذلك الوقت قرار يشير إلىٰ أن المعلمة! تعتبر فاقدة لوظيفتها في حالة زواجها، ثم صدر قرار مجلس الوزراء بإلغاء ذلك النص.

تلك السيدة، فقدت وظيفتها بسبب زواجها، وبما أن قانون التربية لسنة ١٩٦٤ كان يشترط أن يكون الشخص حاملاً للثانوية العامة لكي يعين في سلك التعليم، فأخبرناها بعدم جدوىٰ عودتها، أخحذت تبكي، واتهمتنا بالوقوف في مستقبلها.

قلت لها اكتبي التفاصيل مرة ثانية، كتاريخ زواجك، وتاريخ إبلاغك بإنهاء الخدمة، كانت لدي المراجع القانونية حول الفقه الإداري وقرارات محاكم العدل العليا في مصر، عندما كنت أطالع تلك المراجع وجدت نصاً يسمح بإعادة الموظف إلىٰ عمله في حالة عزله أو إنهاء خدمته قبل وصول قرار التبليغ إليه، حينئذ وجدت أن هناك سنداً قانونياً يبيح لي أن أكتب إلىٰ وزير التربية أذكر فيه أن هذه الموظفة تستحق رواتبها كاملة وينبغي إعادتها إلىٰ العمل رجوعاً إلىٰ النص القانوني.

وأعيدت السيدة إلىٰ عملها!!!



ميخائيل جميمان



جهاز ديوان الموظفين عام ١٩٥٦ وهم: ميخائيل جميمان، سعيد الدجاني، محمد الطاهر، حسن إبراهيم، ثابت الطاهر، أحمد الدبعي.

المهندسة نبيلة الأسمر

من الصعب أن تجري حديثا مع شخص ـ أيا كان ـ دون أن يكون الزمن معك، في قلمك أو في لحظة التصوير. كل شيء ممكن، إلا أن تحادث المرأة عن الزمن، خاصة إذا كان المقصود زمنها الذي يمتد إلى الخلف عشرات السنين.

لهذه الأحاديث نكهة معينة، لأنها تدخل الزمن، وتسافر إلى الوراء. رجعنا عشرات السنين إلى الخلف، وهذا ما تقوله السيدة نبيلة الأسمر، أول مهندسة معمارية في الأردن.

عائلة هندسية:

ولدت في يافا عام ١٩٤١، أسرتنا تنتمي إلى عائلة الأسمر في نابلس، هذا أصل العائلة.

والدي درس في الجامعة الأمريكية ببيروت وتزوج في يافا، ومن يومها لم يعد إلى (جبل النار) رغم أنه كان من رجال ثورة ١٩٣٦ والتي دفع ثمنها النفي إلى جزيرة «أرواد» على الشاطىء السوري مع مجموعة من رفاقه.

لا أذكر يافا جيدا، فقد خرجنا بعد مولدي بسنوات سبع، واحتضنتنا أرض لبنان، كنا نعتقد أننا سنمكث شهرا أو شهرين، ولم ندر أن المسألة ستطول لسنة، ولعدة سنوات، أمي لبنانية وعندما حصل أخي على (المترك) ذهبنا صغارا إلى بغداد عام ١٩٥٢.

بغداد والمثلثات:

عشقي للهندسة تولد في المرحلة الإعدادية، كنت أحس بذلك الشوق للأرقام والمثلثات، وفي قاعة الدرس أشعر بمتعة وأنا أداعب مسائل الهندسة، وأحلها كما لو كانت ثياب عروس جميلة.

بغداد أكملت هذا الشوق، فتهيأ الجو العلمي، وكان من الطبيعي والحالة هذه أن أكمل فرصتي العلمية.

بدأت لهفتي للهندسة تمتد لتصبح رغبة حقيقية، وعندما بلغت المرحلة الثانوية قلت لأهلي:

ـ «أريد بيتا كما أريده أنا، وليس كما ترسمونه أنتم»!

دخلت الجامعة، وأخذت خلاياي تتشرب طموحي، قبلت في الهندسة المدنية، لكن عميد الكلية طلب مني التحويل إلى كلية الطب، لأن العائلة كلها درست الهندسة.

ذهبت إلى الكويت لإعادة التوجيهي، نجحت وتقدمت إلى جامعة الأسكندرية لدراسة الهندسة المعمارية، وهناك قضيت سنة كاملة، رغبت في الانتقال إلى بغداد، رفضوا، فضاعت مني سنتان كل ذلك من أجل هذا العشق العلمي الكبير.

الاختلاط عادي:

كانت تسود العائلة تقاليد ومعان رفيعة، مبنية على الفهم والاحترام والوعي.

لم تكن ثمة (عقد) لدينا من الاختلاط الآخرين، أخي كان يعود إلى البيت ومعه زملاؤه، وكنا نتعامل معهم دون خوف ولكن باحترام وأدب.

من هنا انطلقت إلى عالم الجامعة، عالم مفتوح النوافذ والأبواب والسقف أيضا.

جو الهندسة المعمارية كان خيمتنا من الصباح وحتى الصباح التالي، سهر

طويل، مشقة، عناء علمي جميل، أن نتخرج، أن نكون نكون أنفسنا. . هذا هدفنا. .

حياتنا لم تخل من مرح ومتعة، مثلا، كنا كل خميس نتنافس ونتسابق من العاشرة صباحا وحتى العاشرة مساء. . نشتغل في «السكتش» لنقدمه، لإظهار مقدرتنا الخاصة وتفوقنا على الشباب الذين كانوا يقضون بعض الوقت في لعب تنس الطاولة للخروج من جدية الوقت.

أول عمل:

الهندسة، علمتني الدقة والشدة في التعامل مع الزمن.

كل شيء له ثمن، حتى الدقيقة والثانية.

لهذا، عندما تخرجت من الجامعة في تموز عدت إلى بغداد من أجل تقديم الشكر لإدارة الجامعة التي أعطتني نصف الحلم، ثم كان العمل. .

أخي الذي سبقني، قدم لي عملا بعد تخرجي بشهرين، وعندها أحسست أن علي أن أبدأ من الصفر.

عملت في وزارة الأشغال العامة، كانت أعمالها محدودة، لا ترضي طموحاتي، اصطدمت تطلعاتي بها.

صممت مدرسة في (جناعة) وكانت لدي رغبة على التصميم الهندسي للمباني والمنشآت. طبعا كانت تقابل باستغراب من قبل بعض المسؤولين.

بعدها عملت في وزارة الإسكان، وخططت المرحلة الثانية من إسكان العقبة وأشرفت على المرحلة النهائية في مؤسسة الإسكان والمجلس القومي للتخطيط.

كما أشرفت على ترميم مشروع مجلس الأمة والتربية والسياحة في السبعينات.

عام ١٩٧٥ التحقت بمكتب أخي وظل التصميم الهندسي أهم ما يشغلني.

ضد الأنوثة:

لا أعتقد أن هناك مهنة ضد أنوثة المرأة، وجسمانيا المرأة تتحمل أي شيء.

فهي تعود من عملها لتقوم بواجباتها المنزلية نحو الأسرة والزوج والأولاد.

طبعا ثمة أعمال يتفوق بها الرجل، مثل تلك التي تعتمد على العضلات كأعمال البناء، بالنسبة لي لم تؤثر المهنة على نفسيتي سلبيا، فكنت أخرج مع فريق العمل، كل يتحمل مسؤوليته، وهنا أذكر أن بعض العمال كانوا يستغربون أن تصدر لهم الأوامر من (واحدة ست)، ربما مرد ذلك إلى طبيعة الرجل، الذي اعتاد أن تكون له السلطة؟

بالنسبة للعواطف، فالإنسان يظل إنسانا، ومن الطبيعي أن يجتاحه الحنين للآخر، والعواطف ليس لها علاقة بالعمل.

نعم نوع الدراسة يؤثر على عقلية المرأة، فالمواد العلمية تجعلها أكثر عقلانية من المواد الأدبية.

مخططات الأردن بين يدي:

وقتي موزع بين عملي في مجمع النقابات المهنية وبين رعاية ولدي (قيس وقصي) حيث أعيش معهما مشاكلهما الدراسية يوما بيوم.

لم أتدخل في ميولهما (العلمية) صحيح أنني أشجعهما على الأمور الأدبية (المتعبة) وذلك كي يجتازا الامتحان وكنوع من التوازن العلمي.

كل مخططات الأردن، في مجال البناء الهندسي، تمر بين يدي، فأنا التي أدققها معماريا، لطبيعة عملي في نقابة المهندسين.

تربطني علاقات بزملاء من المهندسين والمهندسات حديثي التخرج، وأنا أرى أن الجيل الجديد لا يأخذ المسائل بجدية كما كنا في مثل سنهم، فهدفهم - في الغالب - مادي، إذن حب المهنة غير متوفر لديهم مئة بالمئة.

لهـذا فوجئـوا بتغير الـوضـع، واصطدموا بالبطالة، وأنا لا أقول هذا من باب «الأستذة» عليهم، فأنا لم أحقق ما أريد حتى الآن، صحيح أنني أرضيت غروري بتصميم ما أريد، لكن بقيت مناطق طموحي مزدحمة بالأسئلة.

أحب الضجيج.. أحيانا:

الموسيقى صاحبت ليالي الدراسية والعملية، فكان من الطبيعي أن نعمل ونسمع.

ولك أن تستغرب أنني أتوق للضجيج أحيانا، فالهدوء الدائم يصيبني بالاكتئاب.

كذلـك فأنـا ممن يكـرهـون الثرثرة والزيارات التي تكون المجاملات مادتها الأساسية، ولا أذكر أنني لا أجيد هذا الأسلوب الاجتماعي.

بقي أن أقول، إن جلالة الملكة نور قد كرمتني بدرع أول معمارية في الأردن.

أما عدد المشاريع التي نفذتها كمهندسة فقد زادت على المائة والخمسين مشروعا.

نبيلة ارشيدات
أول صيدلانية في الأردن

. . في مهنة الصيدلة أرى نفسي، كما لو كنت أنظر في مرآة» . .

جملة اختصرت علي تفاصيل عشق مع مهنة الدواء بدأتها السيدة نبيلة ارشيدات، أول صيدلانية في الأردن. مكالمتان بالهاتف ثم التقينا في منزلها وسط طقس أسري دافيء، حيث توافد أبناؤها للترحيب بنا، بينما طافت عيناي بالجدران تلتقطان جمال اللوحات واحدة بعد الأخرى.

طلبت في بدء الجلسة ألبوم الصور، صور الماضي. . كي أسافر إلى ينابيع التكوين الأولى.

وافقت السيدة ارشيدات بعد تردد، فأدركت السبب، وعندما وصلت الصور أثنيت على أيام زمان وأضفت أن الفرق بسيط بين الماضي والحاضر. فكانت تلك «مجاملة» تقبلتها مضيفتنا باحترام شديد.

ثم بدأت تكر «المسبحة».

نشأت في بيت علمي، جدي كان طبيبا، هكذا أخبروني لأنني لم ألتقيه. وعلمت أنه كان طبيبا شهيرا يعرفه أهالي الشام.

أما أبي وعمي فقد ورثا المهنة من أبيهم. عينوا أبي بالجيش العثماني وأرسلوه إلى الحجاز. كذلك تسلم أخي «راية» الصيدلة من أبي، فدرس في سوريا، وذهب في دورات إلى فرنسا. دراسة أخي كانت أقوى من دراسة أبي، وعشقته المهنة أكثر من خلاله.

رائحة الدواء:

منذ بدأت أعي خطوات أبي وأخي العلمية، ومنذ صرت أراهما يعودان مساء بملابسهما البيضاء التي تنبعث منها رائحة الدواء التي كانت تزكم أنفي وتجعلني أتضايق جدا. صحيح أنني أحببت المهنة لكن خارج البيت وكان حبا من بعيد لبعيد.

درست الابتدائية في مدرسة «الطليان» بدمشق، ثم انتقلت إلى «درجة الأدب» بأبي رمانة، ومن امنياتي وقتها أن أصبح وزيرة بالمستقبل.

استفدت كثيرا من المعلمين الذين علموني، لأنهم كانوا من خريجي جامعة «السوربون» ومنهم من صار وزيرا مثل الدكتور وجيه السمان وغيره ممن لا يحضر في اسمه الآن.

أحببت علم النفس بسبب الدكتور عادل العوا مدرس علم النفس، وكان يمنحني علامة (٩٧٪) وهي أعلى درجة تمنح للطالب وقتها، وكان يعتذر عن منحي العلامة الكاملة (١٠٠٪) التغذية المتصل بالطفل.

الجامعة لم تكن جامعة:

دخلت جامعة دمشق برغبة ومحصنة بعلم الأهل، رغم أن والدي كان يرغب أن أدرس الصحافة، لأسباب كثيرة، أهمها أنه لم يكن يتوقع أن أتعلم «مادة» تنزل بصاحبها إلى السوق.

كما أنه كان يريدني فتاة مثقفة تجلس في البيت فالفتاة بنظره تحتاج إلى الثقافة، لكن دون أن تغادر موقعها المنزلي.

أخي شجعني ـ لأنه كان صيدلانيا ـ، وكان يرى أن هذه المهنة تدر ربحا وفيرا لصاحبها.

أحببت العمل الإداري بالمستشفيات، وبعد تخرجي مباشرة، دخلت ميدان العمل بالمستشفى لمدة سنتين، كنت خلالها أقوم بالتحليل الكيماوي والبترولوجيا.

ومما أسعدني، الأطباء كانوا ينبهرون بنتائج تحليلي وعليه يمنحون العلاج للمرضى.

هذه السعادة تحولت إلى لذة في العمل، فصرت أعمل بهمة ودأب نحلة نشطة.

عشقت الرسم، وكنت أمارسه مع صديقاتي في الصف. فيه كنا نفرغ همومنا وأحلامنا التي لم تكن وردية تماما خاصة بالنسبة لي.

الأرستقراطية:

حياتي الجامعية كانت للدراسة فقط، ولم يكن لدي الوقت الكافي، ولا حتى التفكير بفتى الأحلام ـ كما يسمونه ـ لهذا أطلقوا علي لقب الأرستقراطية، لمظهري الأنيق ووضعي الاجتماعي المريح.

كنت أسافر كثيرا حتى في سنيني الأولى، ولك أن تستغرب أنني شاركت بمؤتمر علمي وعمري لم يتجاوز سن التاسعة.

وأذكر أن رئيس وزراء مصر وقتها النحاس باشا شاهدني بالقاهرة ولم يستغرب وجودي مع أبي. دخلت قصر الملك فاروق، ورأيت الوصيفات وأواني الذهب، وكنت أحضر العشاءات الفاخرة في فندق هليوبولوس وكانت مثل ليالي ألف ليلة وليلة.

رفضوني صيدلانية:

خالي محمد كرد علي مؤلف كتاب «خطط الشام» كان يحيطني برعايته أدبيا وثقافيا. لا أنسى جلساته حيث العلماء والكتب والمطالعة.

قرأت المنفلوطي في بداية حياتي ومجلة «الرسالة» للزيات، ومجلة «بنت النيل».

وتعرفت بالكاتبة أمينة السعيد، كنت متخرجة حديثا عندما زارتني واكتشفت شخصية هامة ثقافيا وإنسانيا، لم يوافقوا على عملي كصيدلانية، لأن النساء كن ممنوعات من هذا العمل بالجيش والصحة.

وشهد عام ١٩٦٨ معركتي الحقيقية مع الحياة المهنية وكان مخيم الوحدات مسرح تلك المعركة.

فتاة من «سيشل» سارت معي في الظلام، ونمنا معا في الوقت الذي اندلعت فيه الغارات الإسرائيلية، وكانت تساعدني لإخفاء الأنوار وقت الغارة.

في الوحدات اكتشفت ذاتي:

كما قلت، فإن مخيم الوحدات شهد انطلاقتي المهنية، وكنت سعيدة جدا للقائي المباشر والتصاقي بهموم الآخرين. المناطق الشعبية تمنح المرء قدرة وعمقا إنسانيا قل أن يتوفر في المناطق المترفة.

فأنت أمام الناس البسطاء، ومعهم، تعيش مشاكلهم، همومهم، هواجسهم، أحلامهم، لحظة.. لحظة.

في البداية كانت النساء يأتين إلي، يسألنني ماذا يطعمن أبناءهن وكيف يحفظن الطعام، وأسئلة كثيرة حول التعقيم.

وكانت أغلب الأسئلة حول «الرشح» والعدوى التي تنتقل عبر تناول الماء من كأس واحدة.

حقيقة، لم يكن يعنيني المال وحده في تلك الفترة، إحساسي أنني أقدم «شيئا» مفيدا للآخرين، كان يفوق طموحي المادي.

كذلك استفدت من التعمق بمشاكل الناس، فاكتشفت ذاتي وقدرتي على

العطاء بلا مقابل.

كلهم أولادي:

تعلمت العيشة الكريمة بالترشيد الصحيح وليس بالمال والثراء.

كما بدأت أعتبر كل أبناء المخيم أبنائي، ومشاكلهم لا تقل عن مشاكل أولادي.

حياة ممتدة، وصلة موصولة تحكمها المحبة والإخلاص والتفاني.

ويوم كانت السيدات يأتين بمشاكل أبنائهن المهاجرين والمسافرين للدراسة بالخارج، كنت أحزن لغياب هذه الطاقات والعقول بعيدا عن البلد المحتاج لهؤلاء الشباب.. وهو أولى بهم من أوروبا وبلاد الأجانب.

الزواج مثلا:

وسط حياة مليئة بالعمل والطموح، كان التفكير بالزواج يتراجع، ولم أفكر أيام دراستي بالزواج من طالب جامعي، كانت حياتي الاجتماعية تتسم بالخصوصية وكانت لي وحدي. لكن الأقدر، وأنا بطبعي امرأة قدرية، لعبت دورا في زواجي، وهي التي جمعتني، بزوجي الصيدلي نعمان ارشيدات.

من المفارقات الغريبة، أنني أيام الزواج الأولى لم أكن أجيد «الطبخ» وإعداد الطعام، وكان أهل العريس هم الذين يرسلون لنا الطعام. وقد ضحكوا علي بالشام فبدأت أتعلم الطبخ وإعداد الولائم..

ربما يرجع سبب ذلك لأمي التي لم تكن تطبخ. فلم تعلمني، وقد تغير الحال وأصبحت ست بيت ممتازة، والآن أجيد كافة أنواع الأطعمة.

كسرت الحاجز النفسي:

انضمامي إلى مجلس العائلة مبكرا، وتلك اللقاءات التي كانت تجمع أبناء

وبناء الأسرة كلها، ساهمت بكسر الحاجز النفسي بين الذكور والإناث.

وكانت جلساتنا أشبه بالنادي الثقافي، نتبادل الرأي والمعرفة والثقافة.

صحيح أنني واجهت صعوبة بلقاء الجمهور وجها لوجه، حيث كنت أشعر بمتعة في العمل المخبري والتحليلي. وهذا أثر على شخصيتي فيما بعد.

أشياء.. وأشياء:

المواقف الطريفة في حياتي المهنية كثيرة، ومن الصعب إلقاء القبض عليها مرة واحدة.

لكني أذكر أن بعض الناس كانوا يسألونني عن «التحاميل» كيف تبلع وكم مرة باليوم؟

القراءة كانت ولا تزال أهم هواياتي، كتبت الشعر وأنا صغيرة. فأحببت الطبيعة وصارت صديقتي قادني ذلك إلى الاهتمام بالروحانيات، حيث أشعر بقراءتها بالتنفس السليم والنقي. حصلت على وسام نقابة ـ الصيادلة. وأشعر بمتعة لمواصلتي المهنة، كما أنني سعيدة لانتقال هذا الحب إلى ولدي الحاصل على دكتوراه في صيدلة المستشفيات.

أمس.. واليوم.. وغدا:

هذه الأيام نلاحظ إقبالا نسائيا على مهنة الصيدلة ولكن ما ينقص هذا الإقبال الإبداع.

ثمة تقليد كل فتاة تريد أن يكون لها صيدلية بمواصفات معينة.

صحيح أيام زمان كانت الأمور أحسن، لكن الوضع الاقتصادي وظروف العالم المتغيرة ساهمت بطمس الصورة المشرقة بعمل الصيدلي. الكل يحاول أن يكون ذاته، وأنا أتمنى تحقق تلك الرغبات والطموحات لبناتنا وأبنائنا العاملين الجدد بهذه المهنة الجميلة.



وادي موسى ـ البتراء



نبيلة إرشيدات بقايا قوس النصر في البتراء

نظام شرابي

تستحوذ علينا الذكريات حين نغوص في الماضي بحثا عن عبرة أو حكمة تضيء شمعة لجيل آت، أو تكشف غمة لحائر في زحام لا ينتهي.

بطبعي، أحب الماضي - كتاريخ - منه أتعلم بعدما أتأمله بحيادية وأجره إلى زمني هذا.

من هنا سافرت إلى ذكريات السيد نظام الشرابي وزير الاقتصاد الوطني ووزير الدفاع في إحدى المراحل التاريخية.

اسمه فقط هذا الحديث، صحيح أنني عرفت شقيقه طيب الذكر الدكتور المفكر هشام شرابي في وقت سابق.

الآن أزعم أن المعرفة اكتملت ونضجت بعد حديث استمر ساعتين في منزله، كانتا سفرا طويلا في عمق الأيام والأحداث!!

في البدء.. كانت نابلس:

ولدت في نابلس ضمن عائلة نابلسية، أمي صيداوية وأمها شركسية من عائلة «أباظة» أما والدي فقد درس الحقوق في الجامعة التركية وانتدب رئيسا لبلدية نابلس عام ١٩١٦ أبان العهد العثماني، ثم عين في النيابة العامة، بمدينة صور، وهناك تزوج والدتي.

عين أبي قاضيا في حيفا ثم يافا ثم نشأت وسكنت مع أسرتي حتى عام ١٩٤٨، وكان ذلك في عهد الانتداب البريطاني.

بطبيعـة الحال تربطني بـ «يافا» روابط قوية، تولدت من طفولة وصبا وشباب وسكن في أحيائها المختلفة، وكذلك من صداقات وانتساب لنواديها وتمثيلها في ميادين الرياضة (التنس وكرة القدم وكرة الطاولة) التي طالما أجدتها وبرعت فيها.

عندما كنت دون العاشرة، أرسلت مع شقيقي «نظيم» إلى كلية النجاح الداخلية ـ في نابلس ـ، ولا زلت أذكر الأناشيد الوطنية التي كنا نتعلمها ونهتف بها، فتثير فينا الأحـاسيس الصـادقـة وتؤجج المشاعر الوطنية والقومية لتمتد أرواحنا خارج حدود فلسطين لتشمل الوطن العربي.

عام ١٩٢٦ أدخلنـا والـدي الكلية الأسكتلندية في صفد، وفيها تعرفت على طلاب من مدن فلسطين الشمالية وعلى طلاب من شرقي الأردن، منهم المرحوم دولة السيد عبد المنعم الرفاعي وشقيقه السيد نظير الرفاعي والمرحوم حسني المفتي (ابن عم السيد سعيد باشا) والمرحوم السيد مصطفى الكردي والسيد عبد المجيد الجندي والمرحوم معالي السيد يعقوب معمر الأخوان سعيد وعسكر الناصر.

كنت صديقا لهؤلاء:

كان الصـديق نظير الـرفاعي يقص علينا ونحن صغار، ما يشبه الأساطير عن المغفور له جلالة الملك عبدالله طيب الله ثراه.

هذه الصداقات لم تكن العامل الوحيد الذي ربطني بشرقي الأردن، فعائلتي من أمد بعيد ـ قبل الاحتلال البريطاني ـ كانت موزعة بين نابلس والسلط، وكانت أول مدرسة منظمة أنشئت فيها هي المدرسة الرهوانية في بناية لعائلة الشرابي، كونها كانت واسعة، حسبما أعلمني معالي السيد رياض المفلح وعطوفة السيد حكمت مهيار.

أذكـر من أيام دراستي في الكلية الأسكتلنـدية في صفـد، أنـاشيد الشبـاب والشابات اليهود عن «جابوتنسكي».

كما أذكر ـ في هذه المرحلة ـ حبي للألعاب الرياضية ككرة القدم والتنس وتنس

الطاولة «البنج بونج».

بيروت..

عام **١٩٣٣** أدخلت الصف الأول علمي بالجامعة الأميريكية في بيروت لدراسة العلوم السياسية.

درست التاريخ العربي وازداد نضجي بلقاء الأخوة العرب من بلدان مختلفة، فتأثرت مثل سواي بشخصية ومبادىء الأستاذ الكبير قسطنطين زريق التي وجهت الطلاب العرب نحو القومية العربية والوحدة العربية ونبذ الإقليمية والطائفية.

كانت جمعية العروة الوثقى في الجامعة، تمثل الاتجاه العربي المشترك، وكانت بعض الجمعيات القطرية، وقد شكلنا ناديا واحدا ضم الطلاب الفلسطينيين والشرق أردنيين، وكان من أعضائه المرحوم السيد محمد علي رضا.. وأنا!

طلاب الجامعة الأمريكية العرب، كانوا ـ عموما ـ في الثلاثينات يهتمون بالطموحات القومية والمناسبات الوطنية، رغم وجود أحزاب أدخلت فئات من الطلبة في عضويتها.

وكانت المناسبات التي يضرب فيها الطلاب أو يتظاهرون هي مناسبات وطنية مثل ذكرى «وعد بلفور» المشؤوم، والاحتجاج على ضم منطقة الأسكندرونة إلى تركيا.

أذكر، كنت سكرتيرا لمجلس الطلبة والجامعة أخذت علينا عهدا بألا ندعو إلى الإضراب «بيوم بلفور» ولكن عندما جاءت الذكرى المشؤومة قمنا بالإضراب فحلت إدارة الجامعة مجلس الطلبة وقبلنا القرار دون إثارة شغب أو مشاكل، لأننا لم نك نعادي الجامعة، بل نترجم شعورا وطنيا.

تنس.. وكرة قدم.. وكابتن!

برزت في الجامعة الأمريكية في ألعاب التنس وكرة الطاولة، وكنت رئيسا لفريق

الجامعة لكرة القدم ولعبت «قلب دفاع» لمنتخب لبنان بكرة القدم عندما كان السيد بيير الجميل رئيسا لفريق النهضة.

كسبت بطولة الجامعة ولبنان على مدى سنوات عديدة في كرة الطاولة، وكان من اللاعبين البارزين في تلك الحقبة (نديم دمشقية) السفير اللبناني السابق، وكذلك أخي نظيم وجورج حداد المواطن اللبناني عضو الحزب القومي السوري الذي تشاجر فيما بعد مع رئيس الحزب القومي السوري جورج صليبي (قطرمين) فمع محلول حافظ.. للذكرى.

فزت بالبطولة.. فأخذ شقيقي هشام الكأس:

كذلك كان من أبرز اللاعبين الابن الأصغر للشاعر رياض الخطيب مستشار جلالة الملك عبدالله، وفي عام **١٩٣٩** فزت ببطولة الجامعة ـ وحصل نفس الشيء في عام **١٩٤٠**، حيث فزت ببطولة لبنان في التنس.

وأذكر أن أخي هشام شرابي سارع نحو الكأس يحمله بينما كان الدكتور خليل السالم ـ وقتها ـ يراقب ما يحدث من شباك غرفته بالكوليج هول.

طبعا فوزي على الصعيد الرياضي لم يكن على حساب تفوقي العلمي حيث حصلت على شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية (بتفوق)، ثم حصلت على شهادة الماجستير في نفس التخصص. وقد عملت معلما صغيرا للغة الإنجليزية بالجامعة وفي القسم الفرنسي، وللتاريخ والعلوم السياسية للصفين الأول والثاني، وكان من أفضل وأذكى طلابي الأستاذ رجا العيسى وهذه شهادة حق وليس مجاملة لصديق عزيز. ومن تلاميذي أيضا الأستاذ غسان تويني الوزير اللبناني السابق وكذلك عبد الرحمن الصلح (السفير) وابن رئيس الحكومة اللبنانية سامي الصلح.

الطريق إلى غزة:

بعد مغادرتي الجامعة، عينت في دائرة الشؤون الاجتماعية في غزة وكانت

شقيقتي زوجة المرحوم المزارع المحامي فريد الشوا شقيق الزعيم الفلسطيني الحاج سعيد الشوا والد السادة رشد وعادل وعزالدين ورشاد الشوا وكلهم برزوا في الحياة العامة.

نقلت إلى نفس الدائرة في حيفا لمدة سنة تقريبا، وهناك تعرفت على العقلية اليهودية من خلال عدد منهم، واتضح لي أن اليهودي مهما اقترب من الوعي تظل لديه العقدة الصهيونية والطمح بأراضي فلسطين.

عام ١٩٤٤ طلبني رئيس دائرة الشؤون الاجتماعية لمقابلته، فعرض علي بعثة دراسية إلى بريطانيا.

كانت الحرب العالمية مشتعلة، وخجلت أن أعتذر خوفا من الإصابة أو القتل، حيث كانت المدن البريطانية تضرب بالقنابل الألمانية، وعندما أبلغت عائلتي بأنني قبلت البعثة ظنوا أنني أمزح مزحة لا طعم لها، فوجدت صعوبة في إقناعهم بأنني لم أكن «أمـزح» وأن ثمـة أمل بأن يتمكن الحلفاء من دفع القوات الألمانية خارج الأراضي الفـرنسية والهـولندية والبلجيكية المحتلة، فلا يتمكن الألمان من ضرب المدن البريطانية بالقنابل الطائرة.

بعيدا عن الأرض:

في شهر تشرين الأول عام ١٩٤٤ ركبت الباخرة من بورسعيد متوجها في أول قافلة خلال الحـرب تعبـر البحر المتوسط إلى جبل طارق، ومن هناك أبحرنا عبر المحيط الأطلسي بعيدا عن الشواطىء التي يحتلها الألمان، ثم دارت واتجهت نحو ميناء ليفربول حيث رست بسلام بعد مخاوف صاحبتنا طوال الرحلة التي استغرقت واحدة وعشرين يوما.

ثم توجهنـا بالقـطار إلى مدينـة (بـرمنجهـام) وذهبت لأقيم في معهـد لطائفة (الكويكرز) والتحقت بجمعتها لأتخصص لعامين متتاليين في الدراسات والخدمات الاجتماعية وانحراف الأحداث وطرق إصلاحهم، وحصلت على الدبلوم الأول في

برنامج مكثف وفي سنة واحدة بدلا من عامين، وذلك لكوني حائزا على شهادة البكالوريوس والماجستير، وفي السنة التالية تفرغت للدراسات الابتدائية في مختلف أنحاء بريطانيا، حيث زرت العديد من السجون والإصلاحيات والمحاكم.

أذكر أنني أثناء جلوسي في إحدى المحاكم، كانت تعقد محاكمة لطبيب عربي متهم بالقتل غير العمد تهمة (الإجهاض). وكان لا يبعد عن كتفي سوى سنتمترات قليلة.

كنت أرغب في محادثته أو مبادلته الكلمات العربية لكني لم أستطع بسبب ظروف المحاكمة.

انطباعات من بلاد الضباب:

تولدي لدي انطباعات في بلاد الضباب أثناء إقامتي هناك، أدركت أن الإنجليز يحترمون الأسكندنافيين والهولنديين أكثر مما يحترمون ويحبون الفرنسيين والبلجيكيين، وهم يميلون إلى العزلة والحرية الشخصية دون أن يعني هذا أنه ليس لهم حياة اجتماعية فيها اختلاط ومودة وتعاطف.

عدت إلى يافا مديرا للشؤون الاجتماعية في اللواء، وأسست مع رفاقنا من الجامعة الأمريكية النادي العربي الذي ضم في عضويته برهان الدجاني ويوسف وإحسان أبو ضبة والدكتور حمادة وأكرم عبد الرحيم وشفيق القبرصي وأخي نظيم.

عندما ابتدأ القتال بعد إعلان قرار التقسيم، جاء راضي العبدالله وطلبنا منه أن يدربنا على الرماية لنقاتل، وكان واضحا أن الدفاع عن يافا ضعيف، ومن الخطر أن يقول أي كائن أنه ضعيف. وحين عاد رئيس بلدية يافا من جولة من الأقطار العربية أبلغني بصورة مكتومة بأن المساعدات لن تأتي.

كانت موجات الرحيل عن يافا قد نشطت، عائلتي كانت في عكا ومنها رحلت إلى بيروت، والدي رحل إلى نابلس في أواخر نيسان ١٩٤٨ وكنت برفته.

وزعنا المؤن:

تشكلت لجنة برئاسة المرحوم قدري طوقان وعضوية شبان طيبين (تيسير كنعان ونزيه كنعان وراشد النمر وعلي وأحمد عبد الهادي وغيرهم).

سجلنا أسماء الناس ووزعنا المؤن على اللاجئين ضمن ترتيبات منظمة. كان لاجئو اللد والرملة يأتون على الأقدام وعانوا كثيرا من تلك المآسي الرهيبة، حتى استلم الصليب الأحمر الدولي منا المسؤولية، وصار يقدم الإعاشة حسب السجلات وضمن مراكز التوزيع.

زرت عمان، مع عدد من السادة ومنهم حكمت المصري والمرحوم أحمد طوقان، وتشرفنا بلقاء المغفور له جلالة الملك عبدالله، وقد استدعيت إلى عمان لتنظيم إعاشة اللاجئين.

كنت أنام في مخيم العبدلي مع الدكتور يوسف هيكل رئيس بلدية يافا وعبد الحميد ياسين في ضيافة الضابطين علي الهنداوي وتركي بعارة، وكانا مضيفين طيبين.

مساعد مدير:

عرض علي اتحاد جمعيات الصليب الأحمر العمل معهم في الأردن، فقبلت بمركز مساعد المدير وساهمت بالإشراف على عمليات تسجيل وإعاشة وتنظيم مخيمات اللاجئين، حيث تعرفت على المرحوم صدقي القاسم محافظ العاصمة في ذلك الوقت، وقد وجدته إداريا قديرا وحظيت بصداقته في سنين لاحقة. وكان أثناءها مسؤولا حكوميا على شؤون اللاجئين في العاصمة عمان.

لقد عشنا أياما صعبة بسبب تدفق اللاجئين في حالة سيئة وتوتر وجوع وتشرد عام (١٩٤٨ - ١٩٤٩)، وفي سنة ١٩٤٨ عينت مراقبا للاستيراد والتصدير بالأردن حتى تقرر تأسيس وزارة الشؤون الاجتماعية عام ١٩٥١ (كانت هناك دائرة شؤون

اجتماعية في الضفة)، فطلبت نقلي وكيلا للوزارة الجديدة التي كانت تضم شؤون الأحداث المنحرفين ومراقبة السلوك.

بعدها وافق دولة السيد سمير الرفاعي على طلبي وأصبحت وكيلا لوزارة الشؤون، وبقيت على صلة وثيقة بشؤون اللاجئين بحكم منصبي.

.. وتزوجت:

عندما فكرت بضرورة اتخاذ قرار بشأن الزواج وجدت أن من الصعب أن يفي راتبي بمتطلبات عائلة ـ في ذلك الوقت ـ فقبلت بعرض السيد عبد المجيد شومان للانضمام إلى البنك العربي. بمنصب مدير (درجة أولى).

أما قصة زواجي، فقد بدأت حين سألت إسحق النشاشيبي عام ١٩٣٥ الذي كان مساعدا لوكيل الوزارة والشؤون الاجتماعية أن كان ثمة بنات للمرحوم روحي باشا عبد الهادي فأجاب: نعم. وتحدث مع خال العروس. ثم كانت الخطبة والزواج من السيدة سلمى عبد الهادي ورزقنا الله بأربع بنات هن (جمانة وليلى وهانية ونادیا).

وزير:

في أواخر عام ١٩٦٣ تركتب مكتبي في البنك العربي وذهبت إلى بيتي لتناول طعام الغداء.

وفي لحظة رن الهاتف لأدعى إلى الديوان الملكي الهاشمي وهناك عرض علي سيادة الشريف حسين بن ناصر أن أكون وزيرا للمالية مكان عبد الرحمن باشا خليفة الذي استقال.

كان العرض مفاجأة لم أتوقعها.

وعندما حدثني دولة السيد بهجت التلهوني بحرارة قبلت شاكرا ولم أعد إلى

البنك الذي كنت قد شغلت منصب مساعد المدير فيه، منذ ذلك اليوم حتى عدت عام ١٩٨٠.

عام ١٩٦٥ وحتى عام ١٩٦٨ شغلت منصب وزير الاقتصاد الوطني بالإضافة لوزارة المالية، ثم وزيرا للمواصلات والدفاع في وزارة رئيسي وأخي الكبير بهجت التلهوني (أبو عدنان) وأخيرا وليس آخرا كنت عضوا في مجلس الأعيان حتى ١٣ آب ١٩٨٨.

حدث في مؤتمرات القمة:

شاركت بمؤتمري القمة اللذين عقدا بالقاهرة عام ٦٤، ٦٥.

كان الرئيس الراحل عبد الناصر يقدر ظرف الأردن عندما اقترح (الشقيري) وضع القوات الفلسطينية في الأراضي الأردنية فقال الرئيس عبد الناصر أن ظروف الأردن لا تسمح بذلك.

وهناك عدة مواقف تحسب لعبد الناصر أثناء مؤتمري القمة (اللذين حضرتهما ـ على الأقل ـ) وكانت تنم عن بعد نظر قومي وعربي.

وللحقيقة فإن أفضل المتحدثين في مؤتمري القمة اللذين شهدتهما كانا جلالة الحسين والرئيس الراحل عبد الناصر.

كذلك من المواقف الغريبة والعجيبة، أن بعض زعماء الدول العربية المشاركة في القمة كانوا يقترحون خطة لتدمير إسرائيل ويشرعون ـ كما حدث أمامي ـ بوضع الخرائط والأسهم أمام الصحفيين العرب والأجانب بكل بساطة.

كلمات.. ودلالات:

مـدن

- يافا: المدينة العزيزة التي نشأت فيها.
- صيدا: بلد أمي وخالاتي وأقاربي من ناحية الأم.

● برمنجهام: المدينة البريطانية التي التحقت في جامعاتها وعشت في ضواحيها الجميلة مدة سنتين خلال الحرب العالمية الثانية.
● نابلس: مسقط رأسي.
● عمان: المدينة التي بلغت فيها سن النضج وساهمت في خدماتها.

أشخاص وأشياء:

● د. هشام شرابي: أخي الحبيب، المفكر الوطني، المعني بقضيته.
● زوجتاك: رفيقة حياتي.
● بناتك: سعادتي.
● خبز الطابون: الأكلة الرائعة.
● الطفولة: سعادتي في البيت والمدرسة.
● السياسة: تظل ناقصة ما لم تقم على أسس وطنية وقومية.
● الأحزاب: تشكيلات طبيعية تبرز المبادىء المختلفة التي تعتنقها فئات مختلفة، ولكن الخطر أنها كثيرا ما تعني بمصالحها الحزبية على حساب المصلحة العامة.
● المنصب: خدمة ومسؤولية.
● مشوار حياتك: سرته دون خيار مني وسوف أسيره بشرف واستقامة إن شاء الله.



مع زوجتي وبناتي



شرابي يقلب الذكريات



مع سيادة الشريف حسين بن ناصر ويظهر السادة ذوقان الهنداوي والدكتور هاني الخصاونة والسيد محمود أبو الزلف

الحاجة وصيفة عودة

أول معلمة في الكويت

من يافا إلى الكويت.

وبالعكس..

اختصار رحلة الحاجة وصيفة عودة أول معلمة في الكويت. تركت فلسطين لتزرع العلم ونور المعرفة في صحراء الخليج.

ونجحت ومعها شقيقتيها رفقة وسكينة وشقيقها عودة وآلاف الفلسطينيين الذين أفنوا حياتهم من أجل أهل الكويت. لم تتزوج وقد اختارت حياتها المستقلة وملأتها بالتدريس والنضال في يافا والفن.

شجعها والدها عيسى عودة واشترى لها أول «عود» لتعزف عليه. لقيتها في جبل التاج بعدما تقاعدت منذ سنين من العمل في وكالة الغوث وأظهرت حزنا كبيرا على ما لقيه ويلقاه الفلسطينيون في الكويت من تعذيب وطرد دون سبب.

تذكرت قول الشاعر: علمته الرماية يوما.

فلما اشتد (ساعدهم).. طردونا!!

ولدت في يافا عام ١٩١٤ وتربيت فيها. والدي عيسى عودة من قرية (نعلين) وكانت نصف أراضي البلدة لنا. والدتي من يافا وأبي عاش أغلب حياته في يافا.

نحن أربع بنات وأخ واحد، وقد توفي الأخ والأختان وبقيت وشقيقة واحدة. أختي رفقة وسكينة وأنا الأكبر سنا.

درست في يافا في المدرسة الإيطالية، كنا ندرس اللغة الإيطالية والفرنسية إلى

جانب اللغة الإنجليزية وأنا أجيد أربع لغات. كانت دراستي نظامية لأن فلسطين كان بها نهضة علمية وتعليمية ولم تكن الكتاتيب موجودة في ذلك الوقت.

حصلت على شهادة الدبلوم من المدرسة الإيطالية. كان الصف الثاني الثانوي بمثابة التوجيهية «الثانوية العامة»، ثم درست سنتين للحصول على شهادة الدبلوم من المدرسة الإيطالية، وكان أخواتي رفقة وسكينة قد حصلت على شهادة الدبلوم.

قمت بالعمل في مجال التدريس بالمدرسة الإيطالية لمدة أربع سنوات كمدرسة للغة العربية وعملت أختي رفقة كمدرسة للغة الإنجليزية.

الطريق إلى الكويت:

بدأت رحلتي إلى الكويت عام ١٩٣٧، قبل اكتشاف النفط. كانت الرحلة شاقة جدا. وأول محطة وصلنا إليها دمشق. مكثنا فيها بضعة أيام لأن سيارة السفر لم تكن جاهزة. وبعدها أخذنا (شقيقي وشقيقتي وأنا) طريقنا وجهة العراق عبر تلك الصحراء الشاسعة المحرقة حتى وصلنا الرطبة، ثم واصلنا السير حتى «الرمادي» ومن ثم مدينة بغداد (بلد الرشيد العظيمة).

هناك ـ أيضا ـ مكثنا عدة أيام في انتظار وصول القطار ليتسنى لنا السفر إلى مدينة البصرة ومن ثم إلى الكويت. مرورا بقرية الزبير وغيرها. وقد استغرقت هذه الرحلة أكثر من عشرة أيام وقد أصيبت خلالها شقيقتي «رفقة» بوعكة صحية شديدة بعد وصولنا الكويت. توجهنا مباشرة إلى مقر السكن الخاص للإقامة فيه.

لقد كانت الصدمة قاسية جدا، إذ أن البيت كان عبارة عن غرفتين صغيرتين مبنية من اللبن فوق سطح المدرسة التي عملنا بها. وكانت جميع المواصفات الصحية سيئة، بل أنها كانت معدومة. وكان اسم (مدرسة المعارف) وكانت تتكون من ثلاث غرف. لقد حاول والدي ووالدتي منعنا من السفر وكانت لدينا الرغبة في اكتشاف العالم ووافق والدي لأن أخي عودة ذهب معنا وقد عمل هو الآخر بالكويت مدرسا

في المدرسة (المباركية).

وكان يعمل من أهل يافا في ذلك الوقت بالكويت السادة: محمد المغربي ومحمود نجم ومحيي الدين الإمام وعمر الدجاني.

مياه الكويت من شط العرب:

كان أهل الكويت وقتها يعملون في الغوص وتجارة ما يخرج من البحر كالسمك، وكانت الكويت مثل قرية مشيدة مثل «الطوابين» وكانت الأمطار شحيحة. أما مياههم فقد كانوا يذهبون إلى شط العرب (العراق) فيحضروا الماء ويكررونه ثم يشربونه.

كانوا يضعون زيرا فوق زير (طريقة تسمى الناقوط) أو طريق الترشيح.

كنت أحصل أيامها على راتب قدره (٢٠٠) روبية. ومن أوائل الكويتيات اللواتي درستهن (غنيمة وسبيكة وزكية) بنات الشيخ عبدالله الجابر وكذلك: عائشة وحصة وفاطمة الغانم (بنات أحمد الغانم). ومنهن أيضا: حياة السيد رجب الرفاعي، سليمة السيد قاسم، قدرية وجيهان عقل، موضي مساعد شقيقة الشيخ يوسف الجناعات، لطيفة عبدالله الملا، بدرية يوسف المرزق.

أمضيت في الكويت سنتين وفي السنة الثالثة وقعت الحرب العالمية الثانية. وذهبنا إلى فلسطين. ولم نستطع العودة بعد ذلك إلى الكويت. عشت في مدينة يافا ثانية وكانت تحظى بعدة جمعيات خيرية أذكر منها جمعية السيدات العربيات التي كنت أنتمي إليها. وكانت تضم عددا كبيرا من سيدات وآنسات يافا مسلمات ومسيحيات.

كما كان لي شرف المشاركة في جمع التبرعات من أهالي يافا والقرى المجاورة الذين كانوا يتبرعون عن طيب خاطر وبسخاء ليس له نظير.

وكانت اللجنة المنبثقة عن الجمعية تقابل من قبل القرويين بالأهازيج والأناشيد الوطنية وبروح تعاونية صادقة، مما يدل على مقدار حبهم لوطنهم وتفانيهم في الدفاع عنه. وكانت هذه التبرعات ترسل إلى المناضلين عن طريق اللجنة القومية في يافا.

انفجار:

عام ١٩٤٨، كانت الساعة تقترب من الواحدة إلا ربعا مساء، كنت في السرايا (الشؤون الاجتماعية) في يافا، وفجأة دوى ذلك الانفجار المروع الذي هز أركان مدينة يافا بأسرها وضواحيها، كما هز قلوب ومشاعر الآلاف المؤلفة من الجماهير التي فزعت لهول الحادث الذي ارتكبه اليهود بواسطة سيارة ملغومة.

راحت الناس تنظر بهلع وسخط شديد إلى ذلك الصرح الشامخ الضخم الذي انهار فجأة بعد أن طوى تحته وبين أنقاضه ما يربو على المئة شهيد من موظفي السرايا وممن حولها من المحلات المجاورة. ولم ينج من هذه الكارثة المفجعة سوى ثلاثة من موظفي السرايا ـ أنا واحدة منهم.

تدريس:

كنا في الكويت ندرس اللغة العربية والدين والحساب والعلوم والجغرافيا والفنون والتطريز. وكنا نزود الطالبات بالكتب المدرسية التي تحضرها دائرة المعارف من العراق.

بالنسبة للطالبات فقد كن يرتدين الزي الأسود ـ الزي المدرسي ـ وقد اخترناه لأن الطالبات كن يستخدمن أقلام الحبر المائي الأسود ولئلا يتسخ الزي أيضا كان اللون الأسود لوث ثياب المدرسة في يافا ـ تلك الأيام ـ وبالإضافة إلى التدريس، كنا نعلم الفتيات أنشطة التطريز والتربية النسوية والرياضية وندربهن على الأناشيد والتمثيليات.

أما عن وقت الفراغ، فقد كنت أقرأ الكتب التي أحضرتها معي إلى الكويت ونزور بعض العائلات.

حوادث:

أقمنا سنة **١٩٣٨** معرض أشغال يدوية ورسوم لمدة يومين يوم للرجال ويوم للنساء. وقد افتتح المعرض أحمد الجابر الصباح ـ أمير الكويت ـ وقتها. وقدمنا له هدية عبارة عن لوحة مطرزة بالورود تتوسطها صورة الأمير والآية القرآنية ﴿**إنا فتحنا لك فتحا مبينا**﴾.

الحادثة الثانية عام **١٩٣٩**: دربت الفتيات على رواية صلاح الدين الأيوبي. وقد اخترت عددا من الفتيات المناسبات لتمثيل المسرحية، أذكر منهن عائشة الغانم، حصة السيد عاصم، دلال السيد عاصم. واستمر تدريبي لهن ثلاثة أشهر. وقبل الحفلة بثلاثة أثام، جاءت ثلاث سيدات وقلنا لهن تفضلن. فلم يدخلن، وقلن: «ما بصير، ستات يشوفونا أو نشوفهم، وفوجئنا، كيف سيحضرن الحفل».

ووصل الخبر إلى زوجة الأمير فقالت: الستات يكشفوا وجوههم على بعض».

كما واجهتنا مشكلة أخرى، حيث كانت إحدى الفتيات تمثل دور صلاح الدين، وفي إحدى المشاهد يكون مريضا وعلى الفتاة أن تستلقي على السرير ـ كما يتطلب الدور ـ وسمع والدها واحتج على هذا الأمر. كما احتج أن تلبس ابنته ملابس الرجال. وأرسلت له رسالة أرجوه فيها الموافقة لأنه لم يبق على العرض سوى يوم واحد ولا يمكن تدريب فتاة أخرى على الدور.

وجائتني الموافقة، وتم عرض المسرحية في مسرح المباركية. يومها وضعوا شرطة على كل مفارق الطرق وصفوا الحراس على جانبي الطريق وترأست الحفل أم الأمير جابر (زوجة الشيخ أحمد).

والحادثة الثالثة التي أذكرها: فقد وجهت لنا الدعوة لزيارة منزل السيد محمد الخرافي. وكان الشيخ عبدالله الجابر قد قال لأخي عودة: إذا أردتم زيادة أي بيت، بلغوني حتى أعرف أين أنتم. وبلغت أخي عودة. وعندها قال له الشيخ «هؤلاء ـ يقصدنا ـ أحسن ناس وهم أحسن منا».



وصيفة عودة

○ صورة لشهادة مدرسية عام ١٩٤٠ في الكويت

○ مدير المتحف الوطني الكويتي يقدم وسام للحاجة وصيفة في مؤتمر بانلونغ

وليد صلاح

رجل أحب المحاماة وعاش لها وبها ورضع حليبها منذ نعومة عقله ووجدانه في بيت والده أحد أشهر المحامين العرب أيام الانتداب البريطاني على فلسطين.

ارتبط بصلات وثيقة بكبار زعماء العالم وكان الرئيس الراحل عبد الناصر يعتبره صديقا حميما، ومن المحاماة انتقل إلى السياسة وبينهما خيوط «غليظة» فشغل منصب وزير الخارجية، وانتخب نقيبا للمحامين في ثلاث دورات.

أردناه حديث ذكرياته طابعه إنساني بعيد عن السياسة وإشكالياتها لكننا لم نفلح فجاء حديثه جامعا بين الخاص والعام، الإنساني والسياسي.

أقدم إليكم السيد / وليد صلاح بشيء من اختصار الذكريات.

بداية المشوار:

ولدت في نابلس عام ١٩١٧.

ووالدي المرحوم عبد اللطيف صلاح ووالدتي صفا هاشم.

درس والـدي الحقوق في الأستانة (اسطنبول) ثم أصبح فيما بعد مديرا عاما لمجلس المبعوثان (أشبه بمجلس نواب الامبراطورية).

حضر والدي إلى دمشق الأمير فيصل وكلف بتأسيس كلية الحقوق وكان أول عميد لها ثم عاد إلى فلسطين.

عام ١٩٢١ جرت انتخـابات المجلس الإسلامي الأعلى وهي أعلى مؤسسة إسلامية في زمن الانتداب وكانت تتحدث باسم الشعب الفلسطيني.

انتخب والدي عضوا في المجلس الأعلى عن مدينة نابلس ولوائها. وكان يرأس المجلس الحاج أمين الحسيني وكان الأعضاء عبدالله الدجاني (يافا) وعن حيفا مفتي حيفا والحاج أمين الحسيني عن (القدس) والحاج سعيد الشوا عن (غزة) وعندما انتهت مدة المجلس صمم الانتداب على أن يعين أعضاء المجلس تعيينا فرفض والدي وترك المجلس.

كان والـدي من المحـامين المشـاهير في فلسـطين والعـالم العربي، وألقى محاضرات في كلية الحقوق ثم ألف حزب الكتلة الوطنية، ولما تألفت الهيئة العربية العليا كان والدي أحد أعضائها الذين كانوا (راغب النشاشيبي، جمال الحسيني، د. حسين الخالدي، يعقوب الغصين، أحمد حلمي باشا).

عندما كان عمري سنتين أرسلني والدي مع شقيقتي إلى ألمانيا وبقينا هناك ست سنوات. وقد تعلمت في تلك الفترة النظام والصراحة والصدق والنظافة (اليد والقلب واللسان).

ثم أرسلني والـدي بنصيحـة من السيد/ أحمد سامح الخالدي (مدير الكلية العربية وقتها) إلى كلية صفد التي كانت معروفة بالكلية الأسكتلندية.

درست الابتدائية والثانوية وأنا مدين لهذه الكلية بأنها علمتني كيف أفكر لا كيف أبصم. من زملائي في المدرسة المرحوم عبد المنعم الرفاعي و د. صبحي عمرو ونظام شرابي وغيرهم. التركية، الألمانية، الفرنسية، وتعلم الإنجليزية أثناء وجوده بالمنفى.

تخـرجت عام ١٩٣٩ ومـارست المحاماة في نابلس، وقد رافعت في إحدى القضايا المتروكة من والدي، فطلبني رئيس المحكمة (بريطاني) ونصحني أن أذهب لأفتح مكتبا في حيفا لعدم وجود محام مسلم قدير، فيها.

ذهبت إلى حيفا وبدأت الدفاع عن ذلك ويتخلصوا من هذا السرطان حتى لا

يتفشى في كل فلسطين، ولأن العرب كانوا واقعين تحت تأثير الغوغاء ويرفضون أن يروا الواقع أو قبول ما يمكن الحصول عليه . .

وعندما صدر الكتاب الأبيض فإن حزب والدي وبعض الأحزاب الأخرى وافقت عليه باستثناء الحاج أمين الحسيني .

الأردن عندما اتصلت به من أجل الموافقة على اتحاد المشرق العربي بزعامة العراق إذا ما تخلت عن حلف بغداد، وقد جمعت سيادته بوزير خارجية العراق (موسى شهبندر) وأكد له عبد الناصر ما أكده لي وبعد أن وافقت الدول العربية الموقعة على اتفاقية الدفاع العربي المشترك على توحيد سياسة الوطن العربي عسكريا وسياسيا واقتصاديا، وضعنا البنود من أجل ذلك، ووافق عبد الناصر عليها وجميع وزراء الخارجية .

واتفقنا على أن نعود إلى بلادنا من أجل الحصول على الموافقة الدستورية وكان ذلك عام ١٩٥٥ ، لكن نوري السعيد لم يوافق على ذلك وعزل وزير خارجيته (شهبندر) .

ولو تحقق ما وافق عليه الرئيس عبد الناصر لكنا اليوم في خير ولما توسعت إسرائيل ولما حدثت الانقلابات المتعاقبة والمشاكل المعقدة بالوطن العربي .

كما ربطتني علاقة بالزعيم الهندي جواهر لال نهرو وسألته في أيام مؤتمر (باوندونغ) الذي شاركت فيه كرئيس للوفد الأردني، كيف استقلت الهند دون استخدام القوة .

فأجابني : عندما تخلصنا من جميع العملاء في الهند ولم يجد الإنجليز شخصا يسقيهم شربة ماء أو يبيعهم أي شيء . فاضطروا إلى الرحيل وكان الاستقلال .

شو ان لاي:

أما الرئيس الصيني شوا ان لاي، فلن أنسى موقفه من القضية الفلسطينية بعدما شرحنا له أيام مؤتمر باندونغ الوضع. وأيد قضيتنا بشكل مطلق وتحدث فيها محاولا بأفضل شكل ممكن.

كذلك ارتبطت بعلاقة مع رئيس وزراء بورما (السيد أونو) وقد قابلته لأشرح له القضية الفلسطينية. فقال لي هل سمعت بـ «بورما»، قبل أن تأتي إلى هنا؟ قلت: نعم. قال هل تعرف أنه لم تتبادل معنا التمثيل الدبلوماسي والتجاري والثقافي أية دولة عربية، بينما تبادلت إسرائيل معنا التمثيل السياسي والثقافي والاجتماعي، فهل تقبل مني أن أطعن صديقي في ظهره؟

قلت: لقد جئتك، وأنا أعلم أنك صديق لإسرائيل وأظهرت له خريطة العالم العـربي. وأخبرته أن إسرائيل مثل نقطة في بحر العرب ماذا يحصل لو أن الدول العربية اتحدت. بالطبع ستزول هذه النقطة.

محام على الطريق:

درست في الجامعة الأمريكية ببيروت وكان هدفي أن أصبح محاميا، ولما لم يكن بالجامعة كلية حقوق انتقلت إلى كلية الحقوق في القدس (التي تخرج منها وزير العدل الأردني الحالي السيد تيسير كنعان) وعندما حلت الهيئة العربية العليا اعتقل بعض أعضائها وأرسلوا إلى «سيشيل» وكان والدي وقتها في فرنسا وكان سيعود بالباخرة وبمساعدة مصطفى باشا النحاس رئيس وزراء مصر السابق.

نزلنا في الأسكندرية وحذرنا من دخول فلسطين خوفا من الاعتقال وعاش في المنفى خمس سنوات.

كان والـدي يتقن (العـربية) المتهمين أمـام المحاكم العسكرية ثم أصبحت معروفا وازدهر عملي.

وصدف أن توكلت في قضايا جزائية كبيرة عن الحق العام بإذن من النائب العام، وهو ما كان جائزا في ذلك الوقت.

كانت القضايا التي تأتيني أكثر مما كنت أستطيع معالجتها وكنت أرفض الكثير منها.

أذكر حادثة مهمة عام ١٩٣٤ جاء إلى زيارة والدي المرحوم توفيق باشا السويدي وكان يزور أعضاء الهيئة العربية العليا، وكنت حاضرا فقال لوالدي أنه كان في بريطانيا واجتمع إلى كثير من ساستها، وأن اليهود موافقون على إنشاء دولة بين حيفا ويافا، ونصح أن يقبل الفلسطينيون.

نصيحة من رياض الصلح :

تزوجت سنة ١٩٤١ وأنجبت ثلاثة أولاد وبنتين، الكبير (منذر) ويعمل طبيبا في لندن والثاني يعمل في التجارة وهو المهندس.

لقد وجهت أبنائي إلى العلوم لأنني أعتقد أنه بعد ضياع فلسطين لا بد أن يتعلم أبنائي مهنة علمية يستطيعون العمل بها في أي مكان.

عملت بالمحاماة حتى سقوط حيفا عام ١٩٤٨ ثم انتقلت إلى لبنان وهناك التقيت المرحوم رياض الصلح رئيس الوزراء الأسبق فأخبروني أن العرب لن يحاربوا إسرائيل مرة ثانية وعلى الفلسطينيين أن يتدبروا أمرهم.

كما أكد لي ذلك رئيس وزراء سوريا الأسبق جميل مردم ووزير خارجيتها محسن البرازي. وقد جمعت الشخصيات الفلسيطينية في لبنان وأخبرتهم بذلك وحثثتهم على المطالبة بتنفيذ قرار التقسيم والعمل من أجله.

كذلك عقدنا مؤتمرا في قصر المرحوم خالد الشهاب عم الأستاذ أحمد الخليل وكنت أول المتحدثين، إلا أن المؤتمر قد فشل.

شخصيات مهمة في حياتي:

من الشخصيات المهمة والتي أثرت على حياتي المغفور له جلالة الملك عبدالله، والذي أعتبره أبعد الزعماء العرب نظرا وأكثرهم شجاعة. لقد كان يرى الواقع بعين ثاقبة ونصح الشعب الفلسطيني مرارا وتكرارا بقبول المجلس التشريعي عام ١٩٢٤ لحل المشكلة الفلسطينية.

كذلك ربطتني علاقة طيبة وصداقة عميقة بالزعيم الراحل جمال عبد الناصر وقد قابلته أكثر من مائة مرة وأذكر أنني كنت وزيرا لخارجية تستخدم العقل فتحافظ عليه بحيث يرضى العيش معنا بسلام.

فقال: لقد وضعتني في موقف صعب وهذا يحتاج إلى تفكير.

وفي اليوم التالي أعلن تأييده للقضية الفلسطينية.

صلاحيات واسعة:

كنت نائبا عاما في القدس قبل أن تتوحد الضفتان. وكانت لي صلاحيات واسعة (مثل بريطانيا التي لا يوجد فيها وزير للعدل).

وعندما تأسست محكمة التمييز كنت أحد مؤسسيها وكنت أول رئيس نيابات في الأردن. كما كنت عضوا في محكمة التمييز.

وفي عام ١٩٥٤ عينت وزيرا للخارجية والشؤون الاجتماعية وفي عام ١٩٥٧ عينت وزيرا للعدل والإنشاء والتعمير كما انتخبت نقيبا للمحامين ثلاث مرات.

عدت من الكويت عام ٧٣ وعينت عضوا في مجلس الأعيان وفي ربيع عام ١٩٧٥ كلفني جلالة الحسين في مهمة خاصة في لبنان كسفير بصلاحيات واسعة وكانت اتصالاتي مقتصرة على جلالة الملك الحسين ورئاسة الوزراء فقط.

وفي عام ١٩٧٦ استقلت وذهبت إلى بريطانيا وعشت فيها حوالي خمس

سنوات. وعدت عام ١٩٨٢ وعينت عضوا في مجلس الأعيان حتى عام ١٩٨٨.

أحب القراءة والسفر والرحلات والتعرف على مختلف بقاع الأرض وقد زرت معظم بلاد العالم باستثناء استراليا.

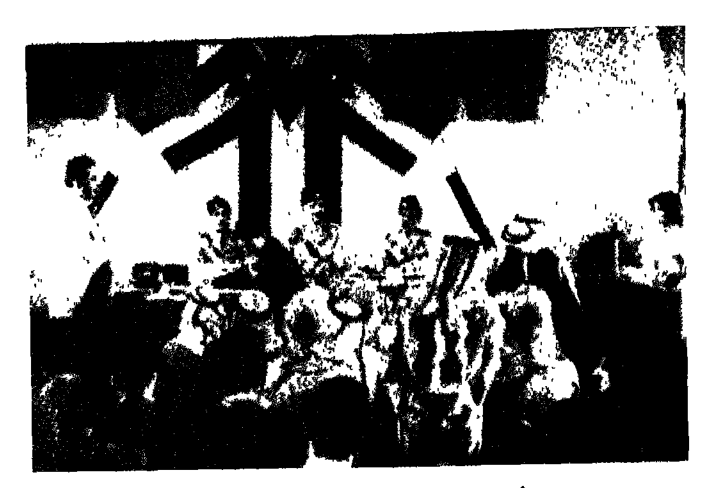
وكنت قد حققت في حادثة اغتيال الملك عبدالله واستطعت أن أحضر القضية في الذين تآمروا على مقتله فعلا. في الوقت الذي زجت الشرطة بحوالي ثلاثمائة شخص اتهموا بالاغتيال، وأفرجت عنهم.



وليد صلاح



في مؤتمر باوندونغ



أثناء محاكمة المتهمين باغتيال الملك عبدالله



مع الزعيم الراحل عبد الناصر

الحاج يحيى كريشان

عدت ثانيـة إلى معان بحثا عن معمرين، بحثا عن الماضي. استعنت بأحد الأخوة، الذي صحبني إلى الشيخ يحيى علي كريشان. استقبلنا في بيته وبأعوامه الـ ٩٥.

كان يتحدث عن الماضي فيشتبك مع السنوات، تارة يذكر حادثة وقعت هنا، ثم يعود ليصحح الرواية وهكذا فعلت به السنون. مع ذلك فقد روى ذكريات دقيقة وبقلب مفتـوح على الحاضر. واحد من آبار الخبرة الباقين في مدينة معان وهذا بعض ما قاله:

«هيك» علمونا!

درست عامين في العهـد التركي وكنت ذكيا و«شاطرا» حتى أن المدرس كان يقول لي بالتركية «أفرين» أي «عفارم».

أذكر كان عددنا في الصف الواحد ما بين ثلاثين إلى خمس وثلاثين تلميذا. وكان الواحد منا يرتدي ثوب قماش أبيض.

أبي يشتري الشعير، والدتي تطحن على الرحى. وأمام البيت طابون «نزبله» بزبل الحمير. وحين ينضج قرص الخبز كنا نهجم عليه ونتشاجر (أخوتي وأنا) كي نضعه في الماء ثم نأكله.

العائلة كان تعيش في «قنطرة» طولها (٨ م) مبنية من الطين. توقد النار طوال الليل نأكل ونشرب ونحيا أسرة متحابة.

شيء من العدس:

شوربة العدس كانت أجمل الأكلات لدينا، وعندما تعدها الوالدة، كنا نشعر وكأننا في حفلة. نتلاعقها قبل أن تغادر النار.

علاقة الناس ببعضها كانت أكثر تكاتفا ومحبة، مثلا كنت أذهب إلى جيراننا وأتناول الطعام عندهم كما لو كنت في بيتي تماما.

عملت وأنا في سن الثامنة عشرة في «الحراثين» نحمل على الحمير بضائع المسافرين بواسطة القطاع الذي كان يجمعنا بزاموره فنهرع إلى محطة «سكة الحديد» لنحمل متاع الركاب ونسير بها مسافة (٥) كيلومترات إلى معان مقابل قرش وربع.

تزوجت بثلاثة دنانير:

بالنسبة لزواجي (عام ١٩٢٦) أذكر أنني تقدمت إلى بنت خالي ودفعت مهرها ثلاثة آلاف قرش تركي أي ما يعادل ثلاثة دنانير أردنية.

كانت بيت الزوجية يتكون من فراش (مزودة) نفرشها بالصوف ونغطيها بقماش أبيض. ويوم العرس أخذوا العريس إلى الشارع العام وساروا بها وأنا كنت أسير في شارع آخر.

اعتاد الناس في تلك الأيام أن يهدوا العريس سكرا وقرفة وزنجبيلا دعما له.

أما نقوط العريس فقد كان ربع ريال تركي، صمدوني عند شيخ القبيلة حتى صلاة العشاء وزفوها إلى بيت أهلها وهي تحمل سكينا تضعها بين عينيها وكانوا يغنون:

«يا بيّ أحمد على الساحرة جاجيلي
حياهم الله، لو كانوا ثمانيني!!».

ثم كانوا يأتون إلى البيت، فإذا كان العريس بخيلا يقول:

أنا ضعيف، وزيتاتي بقناديلي

لا تنفشني نفشة الرجاجيلي!!

أي لست بحجم المديح الذي تقولونه.

وعندما تخرج العروس من بيت أهلها يرددون:

«بنت أصعب الرأس قوموا إطلعوها

بالمجالس قاسي يا رأس أبوها»!!

٣ نساء و ٣٥ حفيدا:

في حياتي تزوجت ثلاث نساء ولدي من الأبناء (١٨)، أما أحفادي فعددهم (٢١) ذكرا و(١٤) أنثى. كنا نعيش على خبز الشعير والبندورة الناشفة وجريشة القمح والبرغل والعدس المجروش الذي نصفه حجارة وتراب..

إضاءتنا كانت بواسطة قنديل الكاز «أبو فتلة طويلة».

خمس دقائق:

أول سيارة شاهدتها في حياتي كانت من نوع فورد وكانت للسيد هيومل عوجان. كانت عجبة من العجائب نلتف حولها ونتابعها بعيوننا وهي تتدحرج فوق الأرض الترابية.

دخلت الجيش وذهبت إلى مدينة الزرقاء التي تضم خمسة بيوت فقط.

وأذكر أنني تأخرت يوما على الوحدة العسكرية، لمدة خمس دقائق، فكانت عقوبتي الحجز وعدم إعطائي إجازة لمدة سبعة أيام كاملة.

الطوفان:

فوجئنا في تمام الساعة الخامسة صباح يوم ١٩٦٦/٣/١١ بالسيول تنسكب من

جبال الشراة.

كان يوم جمعة، والناس في نومهم يغرقون. فإذا الماء يتدفق عبر الجدران الترابية. هربنا، بعضنا تسلق المآذن والمنارات العالية. فإذا بها تسقط عليهم وبهم.

استمر «طوفان معان» مدة نصف ساعة ذقنا خلالها كل أنواع الذعر والخوف. وراح فيها ما راح!!



يحيى كريشان

صدر للمؤلف:

- واحد خارج القسمة ـ قصص ـ عام ١٩٨٧ (دار الكرمل).
- نصوص الشوارع ـ نصوص حرّة ـ عام ١٩٩٢ (دار قدسية).

- تم ترتيب هذا الكتاب حسب الحروف الأبجدية.
- نشرت جميع الأحاديث في صحيفة «الدستور» بين عام (٨٨ ـ ١٩٩٢).

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
تقديم	٧
إشارات	٩
١ ـ المهندس أحمد الناصر	١١
٢ ـ د. أحمد أبو قورة	١٧
٣ ـ أديب الدسوقي	٢٧
٤ ـ الحاج إسماعيل أبو ريان	٣٧
٥ ـ أنور الخطيب التميمي	٤٣
٦ ـ د. أنيس إيراني	٥١
٧ ـ الحاجة أنيسة شقير	٥٥
٨ ـ توفيق مرار	٦٣
٩ ـ جريس هلسة	٧٠
١٠ ـ الحاج حمدو الأنيس	٧٤
١١ ـ د. سامي خوري	٨١
١٢ ـ المهندس سعيد بينو	٨٧
١٣ ـ شفيق الخليلي	٩٧
١٤ ـ شوقي عميرة	١٠٤
١٥ ـ صياح الروسان	١١٣

١٦ ـ د. عبد اللطيف عقل ١١٩
١٧ ـ د. عبد الرحمن الكيالي ١٢٨
١٨ ـ الشيخ عواد السطام الفايز ١٣٦
١٩ ـ د. فايز أبو جابر ١٤٢
٢٠ ـ الشيخ محمود أبو هديب ١٤٨
٢١ ـ الشيخ محمد يونس العزة ١٥٦
٢٢ ـ الحاج محمد علي بدير ١٦٣
٢٣ ـ الشيخ محمد رشاد الشريف ١٧١
٢٤ ـ ميخائيل جميعان ١٧٩
٢٥ ـ المهندسة نبيلة الأسمر ١٨٦
٢٦ ـ نبيلة ارشيدات ١٩١
٢٧ ـ نظام شرابي ١٩٩
٢٨ ـ الحاجة وصيفة عودة ٢١٠
٢٩ ـ وليد صلاح ٢١٦
٣٠ ـ الحاج يحيى كريشان ٢٢٤
الفهرس ٢٣١



إن القصص والأحداث التي يذكرها الكتاب لا ترتبط بالماضي أو بالتاريخ فقط ، ولكنها تحتوي على الكثير من إنجازات «الأوائل» : أول قابلة ، أول مهندس ، أو طبيب . .» . ولذلك فإن هناك ومن خلال الربط الذكي ، حديث عن انجازات المستقبل تمت في الماضي .

وثمّة إثبات قائم على البساطة بأن التاريخ الشعبي وبالتأكيد السياسي بين الشعبين الأردني والفلسطيني مرتبط إلى نقطة اللاعودة ، وأن هذا الترابط لم تصنعه الجغرافيا وحسب ، بل صنعه الشعبان عبر عملية طويلة وهادئة من التفاعل والتمازج والتضامن .

وهؤلاء الناس الذين يروون إنجازاتهم ويستعرضون أمامنا حياتهم البسيطة زاخرة بالعطاء ، هم المثال الحي والتجدد على الذين صنعوا وحدة الماضي ووحدة المستقبل .

في بلاد الغرب ، نجد كل صاحب تجربة يكتب عنها ، والكتابة عندهم واجب وهي ليست في السياسة فقط ، ولكن في كل مناحي الحياة .

من هنا ، أصبح لهم تراكم ثقافي كبير . أما نحن في الشرق ، والأردن يدخل ضمن هذا الإطار ، فقد مرت علينا أحداث جسام وتغير مسار منطقتنا مرات . . ومرات . وظهرت دول واختفت أخرى وحدثت تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية مهمة . ولا نجد إلاّ المصادر العربية التي تؤرخ لتلك الأحداث .

